



جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات النقدية والأدبية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير بعنوان :

السَّريُّ الرَّفَاءُ حَيَاتِهِ وَشَعْرَهُ

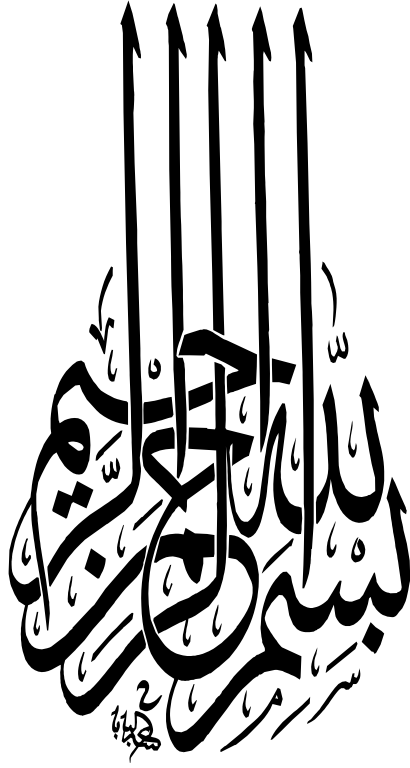
إشراف الدكتور:

صلاح عبد اللطيف محمد احمد

إعداد الطالبة:

سلافه عبد الله عبد الرحمن عبد المجيد

(1434هـ / 2013م)



قال الله تعالى:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا

اللَّهُ }^(٤٢)

صدق الله العظيم

الإهداء:

إلى روح أبي رحمه الله..

إلى أمي الحبيبة....

إلى زوجي..

إلى نعمة حياتي (أبنائي)..

إلى إخوتي سموال ولاحمد..

إلى إخوتي...

إليهم جميعاً وفاءً وحرماناً أهدري

نمرة جهدي...

الشكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين، والشكر لله من قبل ومن بعد، وسبحانه وتعالى الذي أنزل في محكم تنزيله: (لِيَنْ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ) (1).

الحمد لله الذي خلق الأشياء بقدرته وأتقنها بلطف صنعه ودبرها بحكمته، أحمدته على نعمته وأصلي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

ما كان لعمل إن يتح لأحد إلا يبجد آخرين يعينونه ويهدونه، فأوجه شكري وتقديري إلى جامعة أم درمان الإسلامية لإتاحتها لي فرصة الدراسة. كما أتقدم بشكري إلى الدكتور / صلاح عبد اللطيف محمد أحمد مشرف، فقد كان خير إشراف، أسأل الله أن يوفقه ويكمل حياته بالنجاح والتوفيق.

كما تمتد عبارات الوفاء للدكتور / محمد الحسن وكم كانت استفادتي منه عظيمة ومقدرة، والشكر إلى جميع أساتذة اللغة العربية بالكلية.

وأيضاً أخص بالشكر وحدة المكتبة المركزية، فقد كان تقديم مساعدتهم على مستوى رفيع، فلهم منا الشكر الجزيل ولكل من وقف معي فلهم مني الشكر والتقدير.

(1) سورة إبراهيم، الآية 7.

المستخلص

تناولت هذه الدراسة الشاعر السرى الرفاء (حياته وشعره). وتأتى أهميتها فى أنها تسهم فى إبراز معالم شخصية السرى الرفاء الأدبية، وملكته الشعرية، ولاسيما أنه كان من كبار فحول الشعر فى العصر العباسي وهو من المجموعه السيفيه(سيف الدولة الحمدانى). ومادعانى لاختيار هذا الموضوع أن الرفاء جاء بدرر، ولكنه لم يحظ بعناية واهتمام ودراسة شاملة.

تهدف الدراسة إلى التعريف بالشاعر وعصره، ثم بيان الأغراض الشعرية التى نظم فيها، ومكونات الصورة الفنية فى شعرة، بجانب بيان موسيقاه الشعرية، وبناء قصائده ولغة واسلوبه

اتبعت الباحثة فى هذه الدراسة المنهج التاريخى الوصفى التحليلى

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها:

-نظم السرى شعره فى معظم الأغراض الشعرية، وأكثرها الوصف فهو شاعر دقيق الأحساس مصور بارع.

-لعبت الصورة الفنية دوراً فى شعرة

-نظم الشاعر شعرة فى احد عشرة بحراً

-اهتم بالمحسنات البديعية كدأب اهل عصره

-اتسم شعرة بقوة الألفاظ الجزلة والأسلوب العذب

Abstract

This study about AlsayeAlrfaa (his life hair).

The importance comes in they contribute in highlighting personal milestones AlsayeAlrfaa literary, poetic and his queen, especially that it was top stallions hair in the Abbasid era, one of Group Asifih (Seif al-Dawla al-Hamdani).

And Madeany to choose the subject that Alrfaa wrout, but did not receive care and attention and a comprehensive study.

The study aims to introduce the poet and his time, then statement purposes noodles which systems, and technical components in hair, next to a statement his poetry, music and building his poems, language and style

Researcher followed in this study the historical descriptive analytical method

The study concluded a number of important results:

- Secret hair systems in most poetic purposes, the most precise description is a poet masterful sense photographer.
- Technical picture played a role in hair
- Poet hair systems in eleven sea
- Cares about (Almahsnat Alibdieih) manner of folks squeeze
- Characterized by a hair strongly easy words and fresh style

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً، والصلاة والسلام على حبيبنا وقائد الغر المبجلين، وسيد المرسلين عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين.

منذ العصر الجاهلي بدأت العربية في الازدهار والرقى، حتى تحقق لها ذلك بفضل الإسلام، حيث نزل القرآن بلسان عربي مبين فأعطى اللغة العربية قداسة وسمواً، وكانت الدعوة إلى الله بالسيف واللسان حتى استقرت دوله وانتشرت اللغة، فجاء العصر الأموي، الذي كان مداداً لصدر الإسلام، فتشكلت فيه الخطابة، فظهر الشعراء بجميع ألوانهم.

وفي العصر العباسي ظهر العباسيون الذين أنشأوا دولتهم التي وصفت بأنها دولة كثيرة المحاسن، جمة المكارم، أسواق العلوم فيها قائمة، وبضائع الآداب فيها نافعة، والخيرات فيها داره، والدنيا عامرة، والحرمان مرعية، والثغور محصنة⁽¹⁾. وقد أثرى شعراؤها المكتبة العربية، ورفدوها بإنتاج شعري رائع، ومن هؤلاء الشاعر السرى الرقأء، فقد حمل لنا ديوانه كثيراً من الجديد، وتضمن الأطر القديمة، وجاء شعره زاخراً بالمعطيات الإنسانية، حيث صور لنا ما تحوى النفس وأحوالها ورسم بنظمه ألوان الحياة، فهو شاعر ذاع صيته في الصر العباسي، واستطاع أن يقدم لنا فيض شعر جميل لا يقل كثيراً عن معاصريه، وكان لأغراضه الشعرية وقوافيه وأوزانه تمثيلاً فنياً. إذ أن شعره وعاء ثقافته ومستوى تفكيره وخير دليل على إبداعه، وإخراج هذه الدرر التي نثر شذاها فأثرت أن أختار حياته وشعره لموضوع بحثي هذا.

(1) الفخري في الآداب السلطانية. ابن طباطبا، دار صادر، بيروت: 1966م.

دوافع اختيار الموضوع:

لعلّ من أهم دوافع اختياري لديوان السرى إعجابي بهذا الديوان. فقد رأيتُه حافلاً وثيراً ومن خلال دراسته أبرز شخصية الشاعر ومكانته الأدبية.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة لتحقيق أهداف هي:

1- التعريف بالشاعر وعصره وبيئته التي أحاطت به.

2- دراسة الأغراض الشعرية التي نظم فيها.

3- بيان إسهام الصورة الفنية ودورها في شعره.

منهج البحث:

المنهج المتبع هو: التاريخي – الوصفي – التحليلي.

هيكل البحث:

يتكون البحث من: مقدمة ، ثلاثة فصول ، وخاتمة، ونتائج، وتوصيات.

ترتيبها كالاتي:

الفصل الأول : عصر الشاعر والتعريف به:

ويشتمل على ست مباحث:

المبحث الأول : الحياة السياسية.

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية.

المبحث الثالث : الحياة الثقافية.

المبحث الرابع : التعريف بالشاعر.

المبحث الخامس : العلاقة بينه وبين الخالدين.

المبحث السادس : الحنين إلى الوطن.

الفصل الثاني : الأغراض الشعرية:

المبحث الأول : الوصف

المبحث الثاني : المدح

المبحث الثالث : الغزل

المبحث الرابع : اللهو والمجون

المبحث الخامس : الهجاء

المبحث السادس : الرثاء

المبحث السابع : أشياء أخرى.

الفصل الثالث: الدراسة الفنية

المبحث الأول: مفهوم الصورة الفنية فى شعر الرفاء

المبحث الثانى: الموسيقى الشعرية

المبحث الثالث: بناء القصيدة

المبحث الرابع : اللغة والأسلوب

الفصل الأول عصر الشاعر والتعريف به

المبحث الأول : الحياة السياسية

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية

المبحث الثالث : الحياة الثقافية

المبحث الرابع : التعريف بالشاعر

المبحث الخامس : العلاقة بينه وبين الخالدين

المبحث السادس : الحنين إلى الوطن

المبحث الأول الحياة السياسية

الدولة العباسية هي تلك الدولة التي أقامها بنو العباس ومعاونوهم من عجم وبعض القبائل الناقمة على بني أمية، نادى العباسيون إلى تكوين دولتهم سرّاً في البدء، معتمدين على أنهم أصحاب حق في الخلافة، وظلوا يطالبون، بإسقاط الدولة الأموية والثأر منهم وكان الأمر الظاهر هو مبايعة آل البيت (العلويين) وهم أبناء عمومه لهم. فتنشبت الثورة العباسية المشتركة، بينهم وبين آل البيت، فجود العلويين جذب الناس ودفعهم إلى قيام الثورة، ومما وساعد على إثمار الأمر أن الأمويين قد بالغوا في شدتهم وتعصبهم للعرب مع الإذلال للطوائف الأخرى⁽¹⁾.

وبعد القضاء على الدولة الأموية والفتك بهم فتكاً ذريعاً أعلن العباسيون قيام دولتهم (132هـ) بمبايعة أبي العباس (السفاح)^(*) وقالوا قولتهم المشهورة (رد علينا حقنا) وأخذوا البيعة لأنفسهم دون العلويين⁽²⁾. وبدأوا في تكوين دولتهم وتوطيدها باستخدام الشدة على الشعب وتقريب العلماء والفقهاء لتمكينهم بالحكم والاستعانة بهم في تثبيت الخلافة.

(1) تاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف ، القاهرة، ط3 ، ج4- ص421.

(*) السفاح: هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس السفاح، ولي يوم الجمعة 132هـ، هو أول عباسي تولى الخلافة، تحول من الحيرة إلى الأنبار سنة 134هـ، توفي سنة 136هـ، وكانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر، وأمه بنت حارث، انظر تاريخ الأمم الأرامية، محمد حضري بك، المكتبة التجارية، بمصر، ص46.

(2) العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، دار المعارف، بالقاهرة، ط2، 1996م، ص 12 وما بعدها.

ووقع الاختيار على بغداد لتكون، مركزاً آمناً والبعد بها عن العلويين وسميت بعد ذلك بـ(دار السلام) وأصبحت من أهم المدن في العالم العربي الإسلامي، تعتبر مركزاً للتجارة، والصناعة، وساحة للعلماء والأدباء⁽¹⁾.
إذن رسخت قواعد الدولة على هذا الوضع، معتمدة على أيدي العجم⁽²⁾، وخاصة الفرس، وهذا الاعتماد له الأثر الكبير في تشكيل الحياة السياسية والحياة عامة.

فأصبحت الدولة العباسية متأثرة بالنظام الساساني في كثير من أمورها مثلاً في نظام الوزارة، على الرغم من أن كلمة وزير عربية ووردت في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي﴾⁽³⁾ وتعني المساعدة والمؤازرة.
نمت الدولة واتسعت فقد امتدت (من حدود الصين وأواسط الهند شرقاً والمحيط الهندي والسودان جنوباً إلى بلاد الترك والروم، عاشت أجناس هذه المناطق تحمل التعدد في النوع، واللغة والثقافة، فانصهرت وتبلورت في بؤرة عربية⁽⁴⁾).

وتبعاً لهذا التوسع، فقد ظهر العلماء، والأدباء والشعراء والفلاسفة، والأطباء؛ مما أدى إلى اتساع آفاق الفكر الإسلامي حيث تكونت المعاجم اللغوية، وكثرت المكتبات⁽⁵⁾.

وأولوا الترجمة اهتماماً كبيراً، فمثلاً ترجمت كتب اليونان وغيرها.
ومن أحسن ما امتاز به هذا العصر الاهتمام بالحديث الشريف ووضعت علومه⁽⁶⁾.

-
- (1) العصر العباسي الأول: شوقي ضيف ص 23.
 - (2) تاريخ الحضارة العربية الإسلامية: بشير رمضان التبليس، جمال هاشم، دار المدار الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ص74.
 - (3) سورة طه، الآية 29.
 - (4) العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، ص89.
 - (5) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي: حسن إبراهيم، مكتبة النهضة العربية بالقاهرة، 1965م، ط3، ج3، ص332.
 - (6) الفهرست: لابن النديم. دار المعرفة - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية، 1997م، ص 212.

واتسعت الدولة حتى صارت ممتدة وأصبح لها مطامع خارجية وداخلية، وظلت الخلافة تتداول بين بني العباس ففي عهد بعضهم رخاء وثبات للأمر وفي عهد بعض ضعف وتفكك، والخلافة بين مكاييد وديانس، وولياً خليفة وخلع الآخر، وأيدي العجم لها الدور الأكبر⁽¹⁾.

فصور لنا الشعراء هذه الأوضاع، انظر إلى قول ابن المعتز:

وَكُلَّ يَوْمٍ مَلِكٌ مَقْتُولٌ أَوْ خَائِفٌ مُرَوِّعٌ ذَلِيلٌ⁽²⁾
وقال آخر:

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قال له كما تقول البيغا⁽³⁾

وصور لنا دعبل الخزاعي أمرهم قائلاً.

لَقَدْ ضَاعَ أَمْرُ النَّاسِ إِذْ سَاسَ مُلْكَهُمْ وَصَيْفٌ وَأَنْسَاسٌ وَقَدْ عَظُمَ الْكَرْبُ⁽⁴⁾

وظهرت عادات لم تعرفها العرب من قبل كسمل العينين الذي حدث للمعتضد الملقب بالقاهر⁽⁵⁾، ومن خلال هذه الأوضاع بدأ وضع الدولة في تصدع وانقسام وانهايار حتى بغداد المركز، وقعت فريسة في أيدي البوهيين^(*) سنة 33هـ⁽⁶⁾.

(1) تاريخ الإسلامي: حسن إبراهيم، ج3/ص315

(2) ديوان ابن المعتز، شرح يوسف شكرى، دار الجبل، بيروت الطبعة الأولى 1995م.

(3) مروج الذهب: المسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية بمصر الطبعة الرابعة 1964م، ج4، ص61.

(4) ديوان دعبل الخزاعي، مجيد طراد، دار الثقافة ببيروت ص88.

(5) تاريخ الخلفاء: السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين، دار الثقافة ببيروت، ص18.

*البوهيين يرجع نسبهم للساسان دخلوا بغداد واستولوا على أمرها وأمر خليفاتها، عملوا على أضعاف الإمارة الحمدانية، وفي عهدهم كان الاهتمام بالأدب والعلم، إلا أنهم زرعوا الفتن في العراق وساد الفساد. انظر: تاريخ الأدب ادوارد براون، ترجمة احمد كمال الدين حلمي، مطبوعات جامعة الكويت، ط2، ج3- ص231.

(6) حسين أمين: حصار بغداد في العصر العباسي، المورد، مج23، ع1995، ص2، ص9.

ومع انقسام الدولة إلى دويلات أو إمارات إلا أن هذا ساعد على ازدهار الأدب⁽¹⁾، لنرى مثلاً من هذه الإمارات والدول إمارة بني حمدان التي ظلّ سماءها الشاعر السري الرفاء.

بنو حمدان من قبيلة عربية الأصل من قبائل ربيعة⁽²⁾، وهي قبيلة كبيرة وقد قيل فيها (لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت تغلب العرب)⁽³⁾، وقيل عنهم (كان بنو حمدان ملوكاً، وأمراء، ألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة، وسيف الدولة المشهور بسيادتهم وواسطة قلاذتهم، كان غرة الزمان، وسداداً للثغور ومطلع الجود، ومحط الرحال، وموسم الأدباء والشعراء)⁽⁴⁾.

يقول فيهم ابنهم أبو فراس الحمداني:

وَقَدْ عَلِمَتْ رَيْبَعَةٌ بَلْ نِزَارٌ بَأْنَا الرَّأْسِ وَالنَّاسِ الذَّنَابِي⁽⁵⁾

وقال عنهم :

لَنَا أَوْلٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَآخِرٌ وَبِاطِنِ مَجْدِ تَغْلِبِي وَظَاهِرِ

ويقول السري الرفاء فيهم:

حَسَبُ الْأَرَاقِمِ إِذْ أَنْتُمْ ذَوَائِبُهَا وَهِيَ الذَّوَائِبُ فِي الْأَحْسَابِ وَالْقَلَلِ⁽⁶⁾

هذه هي حال الحمدانيين ومؤسسها الأول هو أبو الهيجاء^(*) والدمير سيف الدولة ، كانت في الموصل وحلب منذ (293هـ - 90م) ، وامتدت من

(1) تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ ، دار الملايين لبنان - ط1 1968م - ج2 - ص33

(2) معجم القبائل: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط1، ج1، ص93.

(3) ديوان أبو فراس الحمداني، عبد الجليل حسن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، 1981م، ص17.

(4) تاريخ الإسلام: حسن إبراهيم، ج3، ص129.

(5) ديوان أبو فراس الحمداني. ، ص9.

(6) ديوان السري الرفاء، ص353.

(*) أبو الهجاء : هو عبد الله بن حمدان بن عطية البكري الحجازي المؤسس الأول للإمارة الحمدانية

سير إعلام النبلاء ، الذهبي مؤسسة الرسالة بيروت 1410، ج7، ص19، ص271

الموصل حتى تكريت ومن حانه على الفرات حتى البحر المتوسط مشكله خطأ مستويًا يمر جنوب حمص، وشكلت هذه الإمارة سداً منيعاً أمام أطماع الروم⁽¹⁾. ولكن رغم هذا النجاح وعظمة هذه الدولة ، فالمتتبع للتاريخ كآين من حضارة علت وسمت لأبد من نهاية، فهي طبيعة الدنيا خلقت لتداول بين الناس وحقيقة الأمر وما أثبتته التاريخ أن الدولة العباسية على الرغم ما حدث بها من تغير سلبي أو إيجابي فقد شيدت حضارة إسلامية عربية شهدت لها الدنيا، لكن ضعفت الدولة وتفرقت الأمة فضاع أمرها وبعد هذا العرض القليل لفترة طويلة للحكم العباسي، نشير إلى أهم الأسباب التي أدت إلى انهيار الدولة، وهي سيطرة العجم من (فرس، وترك، وغيرهم) على الأمور في الدولة، وانغماس الخلفاء في اللهو والعبث والمجون، فكانت الدولة تعم فيها الفوضى، فأموالها تختلس وتتهب، وكذلك غلبت النساء على الحكم، وقيام الثورات الداخلية، مثل ثورة القرامطة^(*)، وبهذه الأوضاع تصدعت أركان الدولة، وآلت الدولة العباسية إلى المغول من سنة 656هـ⁽²⁾.

(1) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: مصطفى شكعة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص72.

(*) القرامطة

هي فرقة ضالة من فرق الإسماعيلية بنسبه إلى حمدان بن الأشعث والذي عرف بقرمط لأنه كان قصيراً، ظهر في العراق نحو 258هـ ، وأسس دعوته عام 294هـ، وهو من طائفة من الباطنية أظهروا التشيع ثم ادعوا أن الناس شركاء في كل شيء، استولوا على مكة عام 317هـ زال ملكهم على يد السلاجقة. المعجم الإسلامي، طة أبو الذهب، دار الشروق، القاهرة، ط، 1423هـ ، ص 467.

(2) العصر العباسي الثاني: شوقي ضيف ، ص17.

المبحث الثاني الحياة الاجتماعية

أخذت الحياة الاجتماعية العباسية طابعاً غير الذي كان في العصر الأموي، وظلت في تطور خلال هذا العصر العباسي الطويل الذي نجد أن الحياة الاجتماعية مرتبط بما حدث في الحكم والحياة السياسية، فقد تشكل مجتمعاً جديداً عربياً ممزوجاً بالأجناس الأجنبية.

وعاش هذا المجتمع العباسي منقسماً إلى ثلاث طبقات كما وصفه شوقي ضيف: (عليا، ووسطى – وعامة)⁽¹⁾. وتبعاً لهذا التقسيم، كانت حياة الترف والبخ مقصورة للطبقة الأولى، وهم الخلفاء، والأمراء، والوزراء، وكبار الكتاب، وهذه الحياة التي عاشها هؤلاء أشبه بالأساطير⁽²⁾. فقد اهتموا بالسكن الفاخر وبالملابس الفاخرة المطرزة بالذهب والفضة، واهتموا بالطعام وتقنوا فيه⁽³⁾.

ونضرب مثلاً لهذا الترف، يقال إن زبيدة زوجة الرشيد (أنها أول من اتخذ الآنية من الذهب والفضة المكلفة بالجواهر)⁽⁴⁾. فقد استخدمتها كأوان. وكل هذا الترف راجع إلى خزائن الدولة فهي المعين الغدق الذي هيا لهم وضع هذه الحياة، فقد كانت يحمل إليها الذهب والفضة من أطراف الأرض⁽⁵⁾.

(1) العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، ص53

(2) أمراء الشعر العربي: أنيس المقدس، دار العلم للملايين، بيروت 1967م، ط3:ص

(3) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع: آدم متز، محمد عبد الهادي القاهرة 1941م، ج2، ص164
فقد عرفوا الطعام وتقنوا فيه وعرفوا التوابل والتحميض لحفظة، وبلغوا فيه شأن لم يكن معروفاً من قبل .

(4) مروج الذهب: المسعودي، ج4، ص595

(5) المصدر نفسه، ص 516.

وقيل : بلغوا مبلغاً من الترف والبذخ جعلهم يبنون القصور بغرف على عدد أيام السنة⁽¹⁾.

أما صغار الكتاب والموظفين والشعراء والأدباء وغيرهم من التجار والصناع، تعيش عيشة فيها كثير من السعة، وهي مرتبطة بما في القصور، مما يجدون من عطايا وهبات⁽²⁾.

وهناك طبقة دنيا أو عامة ككل العصور التي مرت على البشرية هم يهيئون أسباب العيش للطبقات سالفه الذكر، فهم الذين ينهضون بالعمل، وكانت حياتهم مع العباسيين قاسية بائسة، حيث كان الفقر والغلاء يطحنهم في كثير من الأزمان. يقال: (بلغ الغلاء حداً أكل الناس فيه الميتة وامتألت الطرقات بالموتى)⁽³⁾.

يضاف إلى ذلك آخرين شكلوا أثراً واضحاً في المجتمع وهم أهل الذمة، والنصارى، واليهود وكانوا يتمتعون بالتسامح الذي كفل لهم حياتهم.

وكذلك وجود الرقيق وهم طبقة من أسرى الحرب كان لهم شارع ببغداد خاص بهم، لم يعاملوا بامتهان والدليل أغلب أمهات الخلفاء والأمراء تكون فارسية أو تركية وغير ذلك، عاش هؤلاء وفيهم من يحمل البغض والكراهية للعرب⁽⁴⁾، وكان لهذا البغض أثر في إشعال الثورات.

(1) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لابن تغري الاتباكي ، وزارة الثقافة بمصر ، ج4، ص198

(2) العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، ص47.

(3) تاريخ الإسلام: حسن إبراهيم، ج2، ص324.

(4) المصدر السابق، ص125.

ومن هؤلاء ما يسمون بالشعوبية⁽¹⁾، انظر إلى ما قاله أبو نواس^(*) للرقاشي^(*):

ما الَّذِي نَحَّاكَ عَن أَصْـ َ لِكِّ مِّنْ عَمِّ وَخَالِ
قَالَ لِي قَدْ كُنْتُ مَوْلَى َ زَمَنًا ثُمَّ بَدَا لِي

مع ذلك كان ينسبون أنفسهم أنساباً عربية مثل أبو تمام (حبيب بن أوس).

وعاش المجتمع الجديد وهو يحمل في طياته ما جاء به العجم وما حفظه من قديم فأصبح التغيير واضحاً على كل نواحي الحياة⁽²⁾.

ونقول عنة كما وصفه صاحب ظهر الإسلام قائلاً أصبحت حياتهم (جنة ونار) — نعيم مفرط وبؤس مفرط⁽³⁾.

(1) الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصدائها: صالح بيلو، مكة المكرمة 1988م، ط1، ص180.

(*) أبو نواس: هو الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح الحكمي، ولد سنة 145هـ بالأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد، وتوفى بها سنة 196هـ، من آثاره ديوان شعر، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق يوسف على طويل ومريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1419هـ، 1998، ج2، ص78

(*) الرقاشي: هو ابن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي، أديب، شاعر، اختص بنقل الكتب المنشورة إلى الشعر المزدوج منها كليلة ودمنة، وله قصائد سماها ذات الحلل، وقد عاش في القرن الثاني الهجري، انظر: معجم المؤلفين عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1414هـ — 1993م.

(2) التيارات الأجنبية في الشعر العربي، عثمان موافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص23.

(3) ظهر الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، ط6، ج1، ص90.

المبحث الثالث الحياة الثقافية

بعد أن استقرت الدولة العباسية، اتجه الخلفاء إلى الاهتمام بالعلم والعلماء والعلوم كافة، وتميز القرن الرابع الهجري بنمو حركة ثقافية أدبية، حتى سمي بقرن الثقافة، والسبب الأول في تسميته بهذا الاسم هو ما ورثه هذا القرن من ثقافات أخرى، وثانٍ هو اهتمام الخلفاء الواسع بجانب الترجمة والتدوين، حيث تم تدوين الحديث واللغة والشعر والتاريخ فكان العصر عصر تسجيل للتراث وتدوينه في مؤلفات تنتقل على السطور ما كان يجري على الألسنة، وما كانت تحوي الصدور من ألوان المعرفة التي تقف عند ألوان الثقافة العربية، وقد احتفظ الخلفاء بأعظم خصائص العروبة، وهي حب الشعر وتقدير غرر الكلام والقدرة على تمييز جيده عن رديئة، ونقد ألفاظه ومعانيه لسلاسة حاستهم الفنية وأذواقهم المرهفة (1).

وكذلك انقسام الدولة وظهور دويلات مستقلة ساعد على ظهور بيئات متعددة، وهذا التعدد أدى إلى وجود تنافس بين الأدباء والمفكرين (2). ورغم الاضطراب السياسي والتفتت نجد أن الأدب سعد بذلك ونضج الفكر، بما وجد من ثقافات نقلت إلى العربية (3)، فقد كانت الترجمة لتلك الثقافات في الفترات الأولى من قبل تم نضوجها في العصر العباسي الثاني فهذا له أثر كبير في الأدب واللغة وغيرهما، وبسبب هذه الترجمة أصبح التمحيص والنقد يتقدم قليلاً قليلاً .

(1) نفع الطيب، أحمد بن محمد التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، ج1، ص394.

(2) الدولة الحمدانية في الموصل، مصطفى شعكه، المكتبة التاريخية، القاهرة 1959م، ج1، ص 359.

(3) العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، ص 31.

فلقد كان الاهتمام الكبير بالترجمة خاصة في عهد المأمون، وفي هذه الفترة تمّ تطور دار الحكمة فكانت مركزاً علمياً كبيراً⁽¹⁾، وأقيمت مراكز أخرى أدت إلى سمو الحياة العقلية الفكرية كما كانت في البصرة ويقال إن: "للبصرة دوراً كبيراً في نشر الحياة العقلية عن طريق دورها المتعددة ومساجدها وحلقاتها الكثيرة"⁽²⁾.

وقد قيل: (أن العرب انتهوا من ترجمة الثقافة اليونانية وغيرها إلى العربية مثل ما في موسوعات الفارابي - ثم خلاص دور الترجمة ودخل طور الاستساغة والاشترار في المجهود العقلي)⁽³⁾.

وعلى الرغم من وجود الترجمة إلا أن هناك ضعفاً يؤثر في الأدب، لعدم التلاؤم بين الحياة العربية والحياة الوافدة اجتماعياً ودينياً، حيث أن العرب كانوا يعتقدون بما لديهم ويرونه الكمال ولكن أصبح التأثير في الخيال اللطيف، والتعبير الدقيق وعمق الإحساس، وإن الثقافات هذه كانت منبعاً استمدت منه العربية ووسعت مادتها⁽⁴⁾.

هذا الاهتمام بالأدب، وكافة العلوم أدى إلى ظهور فلاسفة، وعلماء وأدباء، وظهر نشاط واسع في الشعر، وأحاط الشعراء بذخائر فكرية جديدة متنوعة⁽⁵⁾. ولقد جاء الوصف لحالة هذا العصر: "فقد كان فيه ضروب شتى من التفكير، وضروب شتى من البحث. وقد كان فيه ولوع بالمعرفة وانصراف إلى العلوم والفنون في قوة وإيمان"⁽⁵⁾.

(1) الحياة الأدبية في البصرة : احمد زكي , دار المعارف بمصر 1971م,ص33

(2) الفن ومذاهبه، شوقي ضيف: دار المعارف - القاهرة ط6، 1968م، ص222.

(3) تاريخ الإسلام: حسن إبراهيم، ص403-404.

(4) العصر العباسي الثاني: شوقي ضيف، ص6 وما بعدها.

(5) تاريخ النقد الأدبي عند العرب: طه أحمد إبراهيم، دار الحكمة بيروت، ص111.

مع وجود جانب المنير للترجمة، عمدت طائفة ممّن يسمون بالشعبوية "العجم" إلى استغلال الفرصة، فعمدوا إلى تشويه الثقافة العربية، وينسبون الشعر إلى غير قائله، ويترجمون الكتب على عقائدهم القديمة مثل المانوية والمزدكية⁽¹⁾، وليست هذه الأفكار والمعتقدات في الفكر الإسلامي، وقد تطلب هذا جهداً كبيراً من علماء المسلمين فاتخذوا بالغ الدقة والصرامة لبيان الصحيح من الزائف وهذا النظام هو نظام التوثيق⁽²⁾.

إذن نهض الأدب في العصر العباسي بتشجيع الخلفاء، حيث بنوا المراكز وأقاموا الحلقات والمناقشات في قصورهم فمنهم شعراء فحظي الشعر بنصيب وافر عندهم⁽³⁾.

(1) الثقافات الأجنبية، صالح بيلو – ص 31 وما بعدها.

(2) الرؤية والفن في الشعر، عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية بالقاهرة – 1994م، ط1، ص 122.

(3) ملامح الأدب في العصر العباسي، عبد الهادي عبد الله عطية، جامعة الإسكندرية، مكتبة المعرفة، ص 48 وما بعدها.

المبحث الرابع التعريف بالشاعر

اسمه :

السرىّ بن أحمد الكندي الرفاء الموصلّي.

كنيته:

يكنى أبو الحسن.

لقبه:

الرفاء. كان يرفو الثياب فعرف بالرفاء.

وقال إن إفسار حاله اضطره إلى أن يتخذ الرفو مهنة، وأن يكون في سوق الرفائين⁽¹⁾، وله حديث مع الإبرة وإنها على حد ما كفلته.

قائلاً:

يُنبيكَ عن صِحَّةِ أخباري عُسري من العِشْقِ وإيساري
وسُوقَةَ أَفضَلِهِم مُرْتَدٍ نَقْصاً ففخري بينهم عاري
وكانت الإبرةُ فيما مضى صائنةً وجهي وأشعاري
فأصبح الرزقُ بها ضيقاً كأنه من تُقبها جاري⁽²⁾

ميلاده:

لم يذكر أحد تاريخ ميلاده، ولم أعثر على كتاب يشير إلى تاريخ ميلاده، وأشعاره ، لم يذكر تاريخها أي غير محددة بزمن لنفترض تاريخ مولده ، غير أن ما جاء في الديوان وأثبتته كثير من الكتب أنه عاش في بلاط سيف الدولة، إذن عاش في نهاية القرن الثالث الهجري وبداية الرابع الهجري

(1) يتيمه الدهر: لأبي منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي، المكتبة التجارية، مطبعة

حجازي، القاهرة، ج2، ص137.

(2) الديوان: ص235.

، وأكدت المراجع أنه من الموصل⁽¹⁾، ولد بها ولم أجد نسبه كاملاً، كل الذي أمدتنا الكتب به ووضحه شعره أنه عربي من قبائل كنده اليمينية من أصل بني النجار، هاجروا إلى العراق⁽²⁾.

قال في قصيدة يرثي فيها آباءه وأجداده:

وطلّأُها الصّيد الأشاوس	كرّ الخطوبِ على الفوارسِ
دح أو يُصَبِّحُ بالدّهارسِ	والدّهَرُ يطرقُ بالفوا
سِ وبالذخيراتِ النَّفائسِ	غازٍ يُظْفَرُ بالنفوسِ
وسَطًا على أحرارِ فارسِ	أردى مَقاولَ تَبَّعِ
فغدّتْ سُعودُهُمُ مَناحِسِ	غاداهُمُ مَتَمَّراً
تلك الأسيْرَةَ والقَرابِسِ ⁽³⁾	وملوكِ كِنْدَةَ حَطَّ عن

كعادة الشعراء لم ينس أن يفخر بأجداده الذين ينتمون إلى قبيلة كندا اليمينية وهذا الفخر يجمل به شعره كما يفعل سلفه من الشعراء.

نشأته:

نشأ في أسرة فقيرة، ليس في شعره ما يشير إلى أسرته وعشيرته كما معروف عند العرب، ولم يذكر زوجه ولا أولاد وفي شعره اقتباس من

(1) يتيمة الدهر: ج2، ص137. وشذرات الذهب، لابن عماد، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م، ط1، ج3، وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1960م، ج3، وتاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، مصطفى عطا، ط1، دار الكتب العلمية، 1997م، ج9، ص193.

(2) ديوان المحب والمحبوب والمشروب والمشموم: مصباحا غلاونجي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، ص6.

(3) الديوان، ص258،

الأشاوس: المرتفع.

الدهارس: مفردها دهرس وهي الدواهي.

المقاول، ملوك حمير.

القرآن الكريم ما يؤكد أنه أسلم أو نشأ نشأة دينية⁽¹⁾ وتكرر الباحثة أن كل ذلك مقتبس مما ذكره في شعرة حيث إنه لم يتطرق إلى حياته بالتفصيل.

قال عن نفسه :

فلو أنني هممتُ بقُبْحِ فِعْلٍ لدى الإغفاء أيقظني العَفَاف⁽²⁾
فهو حياته للهو والطرب ومعاقرة الخمر حتى أصبح يُبعدُ عن ما يذكره
بالآخرة. ففي رأى إنه يدعي هذه العفة.

قال في آل البيت:

وجدنا حـبكم سـبباً يرِضي الإله به عناً ويرضينا⁽³⁾
عاش في بلاط سيف الدولة^(*)، ولكن ليس له علاقات مع كبار رجال
الدولة ولا نفوذ مثل المتنبى وغيره من الشعراء الذين ظلهم بلاط الأمير يقال
أنه كان يتمنى مكانة المتنبى وهذا دأب من معه يتشوقون إلى هذا الحظ قال
مرة: للأمير سيف الدولة الحمداني إن شئت جاريت المتنبى فأعطاه
الأمير قصيدة المتنبى التي ورد فيها هذا البيت.

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق أراه غباري ثم قال له الحق⁽⁴⁾

فعرف السري أن الأمير ما أراد به إلا هذا.

لكن له علاقات إنسانية طيبة مع أصحابه وبعض أصحاب المهن
والحرف ، وبعض الكتاب وكبارهم، ويقال أنه كان معجباً بالشاعر

(1) يتيمة الدهر: للثعالبي، ج2، ص 18.

(2) الديوان، ص 310.

(3) المصدر نفسه، ص453

(*) سيف الدولة الحمداني: هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، يكنى أبا الحسن، وهو أمير، ولد
في (ميارفاين) بديار بكر سنة 253، ملك حلب وتوفي سنة 363 هـ

الأعلام : خير الدين الزركلي ، دار العلمين للملايين ببيروت، ط1، ج4، ص 303.

(4) ديوان المتنبى:تحقيق- يحيى الشافعي، دار الفكر العربي ببيروت ، ط1، 1997، ص198

كشاجم^{*} إذ كان آنذاك ريحانه الأدب وأعجب بالصنوبري^١ شاعر الطبيعة
الأول ونهج نهجها⁽¹⁾.

مدح الحمدانيين وأميرهم، وعاش بطلب، فسعد حاله ولكن هناك من
حال دون ذلك.

ومدحه للأمير سيف الدولة من أجل التكسب كما معروف؟ أم إعجابه
بالفارس العربي سداد الثغور. وهذه صفات محببة لكل عربي.

قال مادحاً لهم:

قَوْمٌ إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ غَدَتَ أَيَّمَانُهُمْ بِفِعَالِهِمْ غُرًّا
سَادُوا وَسَادَهُمْ أَبُو حَسَنِ بَعْلَى تَزِينُ النَّظْمَ وَالنَّثْرَا
مَلِكٌ إِذَا اسْتَلَّتْ صَوَارِمُهُ ذَهَبَتْ دِمَاءُ عِدَاتِهِ هَدْرَا

وعندما ساء موقفه، وتعكر صفوه في حلب ترك هذا كله وقصد العراق

حيث الوزير المهلب^٢ آملًا أن يسعد بقربه قال فيه:

أَسَاءَ إِلَيْنَا الدَّهْرُ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ فَلَمَّا تَنَافَرْنَا إِلَيْكَ تَجَنَّبْنَا
دَعَوْتَ إِلَى الْجَدْوَى وَمِثْلِكَ مَنْ دَعَا ب: حَيَّ عَلَى مَاءِ الْحَيَاةِ فَثَوَّبْنَا
فَمَا بَعَدَتْ نِعْمَاكَ عَنِ ذِي قَرَابَةٍ وَلَا جَانَبَتْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْنَابَا
لِيَصْدُرَ عَنْكَ الشُّعْرُ مَالًا مَسُومًا إِذَا نَحْنُ أوردناه دُرًّا مُتَّقَبَا⁽²⁾

(*) كشاجم هو محمود بن الحسين ابو الفتح الرملي ، شاعر، عاش بطلب، وكان من الشعراء الحمدانيين له
ديوان شعر ، توفي 360هـ. الأعلام، للزركلي، ج7 ص167.

(*) الصنوبري هو أحمد بن محمد بن مرار الضبي ، شاعر سكن حلب ودمشق عاش في ظلال أمير حلب
سيف الدولة له ديوان شعر توفي 334هـ. معجم المؤلفين ، رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ج1، ص258

(1) بيتيمة الدهر، للثعالبي، ج2، ص118.

١ الوزير المهلب: هو أبو الحسن محمد بن هارون كان وزيراً تولى الوزارة سنة 339هـ في بغداد

انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج2، ص105

(2) الديوان، ص212

عاش ببغداد وآثر فيها شيئاً من الحسن وسعد حاله قليلاً ولكن لم يدم هذا
طويلاً فكان فيها غريب دار فحن إلى داره ومسقط رأسه.

يقول:

كَيْفَ خَلَّاصِي مِنْ الْعِرَاقِ وَقَدْ أَثَرْتُ فِيهَا مَعَادِنَ الْكَرَمِ
رَأَيْتُ فِيهَا خَلَاعَةً وَصِيَّاتُ أَطْرَافُهَا بِالْعُلُومِ وَالْحَكَمِ⁽¹⁾
وتارة قائلاً:

أَقْعُدُ بِالْعِرَاقِ أَسِيرَ دَهْرٍ غَرِيباً لَا أَزُورُ وَلَا أُزَارُ⁽²⁾

عمله:

انتقل من رفو الثياب إلى تطريز الكتاب يورق وينسخ الشعر وهذا المجال
بلا شك ساعده في إنماء موهبته حيث أنه كان مولعاً بالشعر من
صغره⁽³⁾.

والحديث عن السري الرفاء فهو شاعر عذب الألفاظ، دقيق الإحساس،
مشغولاً بمفاتيح الطبيعة، وصف مجالس الشرب، والسفن الراكدة، ووصف الصيد
في البر والماء، وصف الأزهار، وكل ما احتوته الطبيعة آنذاك. وشعره موسيقي
جميل، حسن الانسجام، وألفاظه رقيقة عذبة، ويقال أنه جامع نظم عقود الدر، شاعر
موجود، حسن المعاني وما أعذب بحره، وأصفى قطره.

(1) الديوان، ص 412

(2) المصدر نفسه، ص 218

(3) يتيمة الدهر، ج 2، ص 137.

وقال عنه العسكري^(*): (ليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع
الجزالة والسهولة وألزم لعمود الشعر منه)⁽¹⁾. وقيل إن شعره سار في آفاق البلاد
في خرسان وسائر البلدان⁽²⁾.

آثاره:

له ديوان شعر حصرت فيه هذه الدراسة قدمه وشرحه كرم البستاني، و ناهد
جعفر وطبعته دار صادر - بيروت 1996م - احتوى الديوان 449 من قصيدة
ومقطوعة. وله ديوان المحب والمحبوب والمشروب والمشموم تحقيق
مصباح غلاونجي - دار الجيل - لبنان، ومقسم على أربعة أجزاء.
ويقال له مخطوطات ببرلين، وكتاب الديرة، وأكد ابن خلكان قائلاً: "قد
عمل شعره قبل وفاته نحو ثلاثمائة ورقة وزاد فيه"⁽³⁾.

(*) ابو هلال : هو الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكري، اللغوي الأديب، من آثاره كتاب
الأوائل وكتاب الصناعتين، توفي في حدود سنة 400هـ، انظر: إشارة التعيين في تراجم النحاة
واللغويين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق د. عبد المجيد دياب، ط1، مركز الملك فيصل
للبحوث 1406هـ - 1986م، ص 96، وأنباء الرواة على أبناء النحاة للقطبي، تحقيق محمد أبو
الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1369هـ - 1950م، 183/4.
(1) ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد قممجه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.
ص:

(2) عصر الدول والإمارات ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ص 364-365.
(3) وفيات الأعيان: لابن خلكان، تحقيق يوسف علي طويل، ومريم قاسم، دار الكتب العلمية، بيروت
-لبنان، ج2، ص300.

وفاته:

وكما ذكرت الباحثة من قبل، إن تاريخ ميلاده غير معلوم، وغير موثق، وكذلك فإن وفاته كانت مجهولة. كذلك مشكوك في السنة التي توفي فيها، قال ابن كثير توفي سنة ستين وثلاثمائة، (1) وقال ابن خلكان توفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة (2).

(1) الباية والنهابة أبو الفداء حافظ ابن كثير ، تحقيق احمد جاد ، دار الحديث ،بالقاهرة ط6 ، ج 11 ص262 .
(2) وفيات الأعيان: لابن خلكان، تحقيق يوسف علي طويل، ومريم قاسم، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ج2، ص300.

المبحث الخامس العلاقة بينه وبين الخالدين

كان لابد من التطرق إلى هذه العلاقة والخلاف الكبير الذي نشب بين الرفاء والخالدين^(*) ومدى تأثيره على حياته .

فإن الشاعر الرفاء والخالدين أبناء الموصل - هل هذا له أثر في الخلاف، أم هناك السبب الذي رجحه الكثيرين، وهو ما دار في بلاط سيف الدولة الحمداني، كان الخالديان خازني كتب الأمير، والشاعر الرفاء ظل هذا البلاط، ففعلت المنافسة فعلها بينهم فساءت العلاقة.

حيث إن السري اتهمهم بسرقة شعره وشعر غيره وصار يهجوهم ويهجوانه⁽¹⁾، وقد ذكر الثعالبي أنه قرأ نسخة من شعر السري بخطه ووجد من بين الأشعار أبيات للخالدين نسبوها لأنفسهم⁽²⁾، وهي:

يا مَنْ أَنامِلُهُ كالعارضِ السَّاري وَفَعَلُهُ أَبداً عارٍ مِنَ العارِ
أما ترى التَّلَجَّ قَدْ خاطَبَتْ أَنامِلُهُ ثوباً يُزَرُّ عَلَى الدُّنيا بأزرارِ⁽³⁾

فقد بالغا في إيذائه وسدا عليه رغد عيش الأمير وقد أكد البغدادي ذلك قال: (بالغا في إيذائه وقطعا رسمه من سيف الدولة وغيره)⁽⁴⁾.

(*) الخالدين هما: عثمان وأبو بكر، أبناء هاشم بن بن وعلة بن عرام، ولدا في قرية قريبة من الموصل، تعرف بالخالدية، أبو بكر أديب شاعر عاش في البصرة اشتهر هو وأخوه بالخالدين وكانا في بلاط سيف الدولة الحمداني، توفي سنة 389هـ.

الأعلام، الزركلي ج7، ص 129. وهاشم كنى بأبي عثمان الخالدي وهو أيضاً شاعر أديب وقد اشتركا في تصنيف الكتب، وقيل عنه أنه توفي سنة 377هـ .

الأعلام، ج3، ص 103.

(1) يتيمه الدهر، للثعالبي، ج2، ص 119.

(2) المصدر نفسه.

(3) الديوان، ص228.

(4) تاريخ بغداد، البغدادي، ج9، ص194.

قال في ذلك:

عَلَامَ حَرَمْتِي إِنْشَادَ شِعْرِي لَدَيْكَ وَقَدْ تَنَاشَدَهُ الْأَنَامُ
وَلِي فِيكَ الَّتِي تُلْغِي الْقَوَافِي إِذَا ذُكِرَتْ وَيُْمْتَنَهُنَّ الْكَلَامُ⁽¹⁾

عندما عز عليه الوضع فأجبره بالخروج من الشهباء، ففي قصيدة يعتذر فيها لسيف الدولة عن خروجه بدون إذنه ويتحسر على ما فعله الوشاة به، وهل تعود له أيام الأمير الطيبة قائلاً:

أَيَّامَ أَدْفَعُ عَتَبَهُ بَعْتَابِهِ عَنِي وَأَمْزَجُ كَاسَةَ بَرِضَابِهِ
فَسَقَاكَ سَاقِي الْمُزْنِ أَعَذَبَ صَوْبِهِ وَحَبَاكَ مُذْهَبُ غَيْمِهِ بِذَهَابِهِ
نَزَعَ الْوَشَاةَ لَنَا بِسَهْمِ قَطِيعَةٍ تَرْمِي بِسَهْمِ قَطِيعَةٍ تَرْمِي بِهِ⁽²⁾

وقد ظل يشكو فعل الخالديين معه وردد ذلك كثيراً في الديوان، ويصفهم بأنهما سلا عليه سيوف البغي وسلباه عرائس شعره ويقول فيهم إن كل ما لديهم من شعر ومن نظمه ومن جل أفكاره.

قال:

أَشْكُو إِلَيْكَ حَلِيفِي غَارَةَ شَهْرًا سَيْفَ الشَّقَاقِ عَلَى دَيْبَاجِ أَشْعَارِي
ذُبُّبِينَ لَوْ ظَفَرًا بِالشَّعْرِ فِي حَرَمٍ لَمَزَقَاهُ بِأَنْيَابٍ وَأظْفَارِ
سَلَا عَلَيْهِ سِيُوفَ الْبَغْيِ مُصَلَّتَةٌ فِي جَحْفَلٍ مِنْ شَنِيعِ الظُّلْمِ جَرَّارِ

إلى قوله:

وَاللَّهِ مَا مَدَحَا حَيًّا وَلَا رَثِيًّا مَيِّتًا وَلَا افْتَخَرَا إِلَّا بِأَشْعَارِي
إِنْ تَوَجَّجَكَ بَدْرٌ فَهُوَ مِنْ لُجْجِي أَوْ خَتْمَاكَ بِيَاقُوتٍ فَأَحْجَارِي⁽³⁾

(1) الديوان، ص 424.

(2) المصدر نفسة، ص 36-37.

(3) المصدر السابق، ص 194-195.

إذن دعوة السرقة دعوة مطلقة لم يحدد قصائد بعينها سرقت منة، ففي
قصيدة يحكي فيها ظلم الخالدين :

قائلاً فيها:

وفي كلِّ يومٍ لِلْغَبِيِّنِ غَارَةٌ تُرَوِّعُ الْفَاطِي الْمَحْجَلَةَ الْغُرّاً
إذا عَنَّ لي مَعْنَى تَضاحِكَ لَفْظُهُ كما ضاحَكَ النُّوارُ في رَوْضِهِ الْغُدْرَا⁽¹⁾

وبعد خروجه من حلب قصد الوزير المهلبي بغداد، ولكن لم يطل سعه
فقد لحق به الخالدين، من اجل لحاق به أم لأمر آخر.

فقد أكد ابن النديم ان الشعارين أبناء هاشم يكمن الأمر في طبعهما
قال: (إذا أستحسننا شيئاً غصبا صاحبه حياً أو ميتاً، لا عجز
منهما عن قول الشعر، ولكن كذا كانت طباعهم)⁽²⁾.

قال يمدح الوزير المهلبي، ويتنظم إليه من الخالدين:

لنا من الدَّهْرِ خَصْمٌ لا نُغالبُهُ فما على الدهرِ إنْ وُلَّتْ نوائِبُهُ
يرتدُّ عنه جريحاً من يُسألِمُهُ فكيفَ يَسَلِّمُ منه من يُحاربُهُ⁽³⁾

فقد وصل الأمر بينهم إلى حد بعيد حتى أنه عندما سمع بقدمهم وجه
حديث إلى من كانوا ببغداد يحذرهم من الخالدين ويذكرهم بغارتها على
شعره وسرقة الشعر.

(1) الديوان: ص 210.

(2) الفهرست، ابن النديم، دار المعرفة، بيروت: ط2، 1997م ، ص 205.

(3) الديوان: ص 90.

قائلاً:

قد أظلتك يا أبا إسحاق غارةُ اللَّفْظِ والمعاني الدِّقَّاقِ
وأَتَاكَ الهُمَامُ ذُو النَّظَرِ الشَّزْرِ رِ إليها والصِّلُ ذُو الإِطْرَاقِ⁽¹⁾
فالخلاف بينهم وصل إلى مجلس الوزراء وكبار الدولة وكتابها، وظل
السري والخالديان يقيمان الندوات والمناظرات الأدبية ليثبت كل منهم مقدرته
الأدبية، فأصبح أناس يميلون إلى ما أدعاه السري وآخرون يؤيدون الخالديين
وعلى كل فإن هذا التوارد بين الشعراء موجود⁽²⁾.

(1) أبو إسحاق بن هلال بن زهروان الصبائي: كاتب كان معروفاً بصناعة الطب ومال إلى الأدب،
الديوان ص 333.

(2) يتيمه الدهر: ج2، ص120.

المبحث السادس الحنين إلى الوطن

الموصل هي موطنه ومسقط رأسه، و كما عرف عنها وحكي التاريخ أرضاً خصبة وحدائق غناء، وموارد مونقه، وظلال وارفه، ونسيم عليل، هذا القول أكده السري.

قائلاً :

غَرَاءُ ضَاكِكَةَ إِلَيْكَ تُغَوِّرُهَا ضَحِكَ الحَبِيبِ إِلَى المُحِبِّ الوَامِقِ
سَقِيًّا لِتِلْكَ مَنَازِلًا مَعْمُورَةً مِنْ بَيْنِ مَطْرُوقِ الفِنَاءِ وَطَارِقِ
حُمُرِ القَوَاعِدِ وَالقِيَابِ كَأَنَّمَا أُشْرِبِنَ رَقْرَاقَ الخَلُوقِ الرَّائِقِ
يَلْقَاكَ مِنْ نُورِهَا وَغُيُومِهَا مَا بَيْنَ دُكْنِ مَطَارِفِ وَنِمَارِقِ
وَالهَيْكَلِ المَبْيُضِ يَلْمَعُ وَسَطَهَا كَالأَقْحُونَةِ فِي بَسَاطِ شَقَائِقِ
كَمْ دُمِيَّةٍ خَرَسَاءَ فِيهِ وَدُمِيَّةٍ فَضَلْتَ عَلَيْهَا بِاللِّسَانِ النَّاطِقِ⁽¹⁾

ها هو ذا يتحدث لنا عن أيام الصبا النضر في حياته مع رفاقه، يسلكون طريقهم إلى اللذات، وظل يتذكر هذه الأيام.

قائلاً:

أَمَلَّ صَبُوتِنَا دَعَاءُ مَشُوقٍ يَرْتَاخُ مِنْكَ إِلَى الهَوَى المَوْمُوقِ
هَلْ أَطْرَقَنَّ العُمُرَ بَيْنَ عِصَابَةٍ سَلَكُوا إِلَى اللِّذَاتِ كُلِّ طَرِيقِ
أَمْ هَلْ أَرَى القَصْرَ المُنِيفَ مُعَمَّمًا بِرِدَاءِ غَيْمِ كَالرِّدَاءِ رَقِيقِ
وَقَلَالِي الدَّيْرِ الَّتِي لَوْلَا النَّوَى لَمْ أَرْمَهَا بِقَلْبِي وَلَا بَعْقُوقِ
مَحْمَرَّةَ الجُدْرَانِ يَنْفُحُ طَيِّبِهَا فَكَأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ بِخَالُوقِ
وَمَحَلَّ خَاشِعَةَ القُلُوبِ تَفَرَّدُوا بِالذِّكْرِ بَيْنَ فُرُوقِهِ وَفُرُوقِ

(1) الديوان، ص 341.

الدكن - اللون الأسود.

مطارف - دار من خرز.

نمارق - الوسادة الصغيرة.

أعشاهُ بينَ مُناقِقٍ متجمّلٍ
وأغنَّ تحسبُ جيدهُ إبريقه
يتنازعونَ على الرَّحيقِ غرائباً
صدرتُ عن الأفكارِ وهي كأنها
دهرٌ ترفقُ بي فواقاً صرفه
فمتى أزورُ قِبابَ مُشرفةِ الذرى
وأرى الصّوامعَ في غواربِ أكمها
حُمراً تلوحُ خلالها بيضٌ كما
كَلِفٌ تذكّرُ قبلَ ناهيةِ النهى
فتفرقتُ عبّراته في خده

ومُناضِلٍ عن كُفْرِهِ زنديق
ما قامَ يسفحُ عبّرةَ الإبريق
يَحْسِينُ زاهرةً كؤوسَ رَحيق
رَقراقُ صادرةٍ عن الرّأوق
وسَطاً عليّ فكانَ غيرَ رَفيق
فأوردَ بينَ النَّسرِ والعُيوق
مِثْلَ الهوادجِ في غواربِ نُوق
فصَلَّتْ بالكافورِ سِمْطَ عَقيق
ظِلِّينِ ظلَّ هوىً وظلَّ حَديق
إذ لا مُجبرَ له من التّريق⁽¹⁾

وعن حسن التصابي، وأيام الصبا، وشوق وحنين دائم إليها – وآهات
تخرج من نفسه على تلك الأيام الطيبة في أرضها وكأنه يتمنى عودة هذه
الليالي.

قال فيها:

شبابُ المرءِ ثوبٌ مُستعارُ
طوى الدهرُ الجديدَ من التّصابي
ولم نعطِ المني في القربِ منه
صدودٌ في التّقاربِ واجتتابُ
يطولُ إذا تقاصرتِ الليالي
لحى الله العِراقَ وساكنيه
وجادَ الموصلِ الغراءَ غيثُ

وأيامُ الصّبا أبداً قِصارُ
وليسَ لِمَا طوى الدهرُ انتشارُ
فكيفَ بها وقد شَطَّ المزارُ
وشوقٌ في التّباعدِ وادّكارُ
ويقربُ إن تباعدتِ الدّيارُ
فما للحُرِّ بينهمُ قرارُ
يَجودُ وللبروقِ به انسفارُ

(1) الديوان، ص315.

قلالي الديبر – الصوامع.

النسر يعقوق – نجمان .

كما انهلّت مدامعُ مُستَهامٍ تلهّبُ منه في الأحشاء نارُ
ففي أيامها حَسَنَ التّصابي وفي أفيائها خُلعَ العِذار⁽¹⁾

في البيت السادس إشارة واضحة إلى ضيق حاله وعذابه في الغربة وهو بعيد عن الموصل وقد أكده بقول آخر:

أَقْعُدُ بِالْعِرَاقِ أُسِيرَ دَهْرٍ غريباً لا أزرُ ولا أزارُ
وفي غربيّ جِلَّةَ لي محلٌّ جِوارُ المِكرُماتِ له جِوارُ

وقال وهو يتشوق إلى الموصل التي يسميها بالحسنا ذات التماثيل :

تَذَكَّرَ أَيامَهُ الْخَالِيَهُ فما رَقَاتِ عَبْرَةٌ جَارِيَهُ
أَقُولُ لِمُعْتَكِرِ الطُّرَّتَيْنِ مَنْ الْغَيْثِ مُلْتَهَبِ الْحَاشِيهِ
على الرَبَضِ الْمُرتَدِي بِالرِّيَاضِ سِجَالُكَ وَالبِيعَةِ الدَّانِيهِ
على طَلْعَةِ الْجَدِّ نَغْنَى بِهَا عن الصُّبْحِ فِي اللَّيْلَةِ الدَّاجِيهِ
وَحَسَنَاءَ لَمَّا يَشِينُ حُسْنَهَا تقادمُ أعوامها الماضية
ومأهولةٍ من تماثيلها إذا هي يوماً غَدَتِ خَالِيهِ
وما منحَ الشمسَ شمَّاسُها وما خبأَ القيسُ في الخابية
فَسَقِيًّا لِمَلْعَبِ غِزْلَانِهَا وأَعْظُمَ رُهْبَانِهَا الْبَالِيهِ⁽²⁾

انظر إليه كيف ينظم قوافيه وينظمها منثورة كالدرر في أهلها أصحاب الجود، ويقول انها ميثاء، طيبة الأنفاس، وهو أن بعد عنها لا يطيق فراقها، ولا يعدل عنها شيء في الدنيا. ونلاحظ أن الشاعر حديثة عن الموصل يكسوه الصدق العاطفي.

قائلاً في ذلك:

سقاكَ بِالْمَوْصِلِ الزَّهْرَاءِ مِنْ بَلَدٍ جَوْدٌ مِنَ الْغَيْثِ يَحْكِي جُودَ أَهْلِهَا
أَأَنْدُبُ الْعَيْشَ فِيهَا أَمْ أَنْوَحُ عَلَى أَيامها أم أعزّي عن لياليها

(1) الديوان، ص 217-218.

(2) المصدر نفسه، ص 470.

أَرْضٌ يَحْنُ إِلَيْهَا مِنْ يُفَارِقُهَا وَيَحْمَدُ الْعَيْشَ فِيهَا مِنْ يُدَانِيهَا
فَهِيَ أَرْضٌ خَيْرُ أَهْلِهَا كِرَامٍ وَطَبِيعَتُهَا مِثْلُهُمْ وَيَدْعُو لَهَا أَنْ يَغْدِقَ مَطَرَهَا
وَأَنْ يَعْمَهَا الْخَيْرَ وَهُوَ حَزِينٌ، بَعْدَهُ عَنْهَا وَأَنْ مَا فِي الدُّنْيَا لَا يَمِثُلُ شَيْءٌ
بِالنِّسْبَةِ لَهَا، وَقَدْ وَصَفَهَا وَاسْتَعْمَلَ تَشْبِيهَاتٍ رَائِعَةً وَفَائِقَةَ الْجَمَالِ.

مِثَاءٌ طَيِّبَةٌ الْأَنْفَاسِ ضَاحِكَةٌ تَكَادُ تَهْتَرُ عُجْبًا مِنْ نَوَاحِيهَا
تَشَقُّ دِجْلَةً أَنْوَارَ الرِّيَاضِ بِهَا مِثْلَ الصَّقِيحَةِ مَصْقُولًا حَوَاشِيهَا
لَا أَمْلِكُ الصَّبْرَ عَنْهَا إِنْ نَأَيْتُ وَلَوْ عُوِّضْتُ مِنْ ظِلِّهَا الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا
مَحَلُّ قَوْمٍ يَنْوِبُ الدَّهْرَ جُودُهُمْ عَنِ السَّحَابِ إِنْ ضَنْتَ هَوَامِيهَا
وَدَوْحَةٌ بِفُرُوعِ الْأَزْدِ بَاسِقَةٌ يَفْنَى الزَّمَانُ وَلَا تَقْنَى مَسَاعِيهَا(1)

ويقول وهو يبكيها ويسعد بهذا البكاء، لأنها منبع السرور، ذات القصور
العالية، والجنان الوارفة، فوصفها وصف فنياً انظر إلى قوله (كأن بنات نعش)
وتشبيهه لها بالتبر.

قال:

يَمِيلُ بِنَا الْهَوَى طَرَبًا إِلَيْهَا فَنَبْكِيهَا وَنَسْعَدُ مِنْ بُكَاهَا
تَلَقَّاهَا الزَّمَانُ بِخَفْضِ عَيْشٍ وَعَاوَدَهَا السُّرُورُ كَمَا بَدَّاهَا
نَقُولُ لَهَا سَقَاها الْغَيْثُ رِيًّا وَقَلَّ لَهَا مَقَالَتْهَا سَقَاها
قُصُورٌ حَلَقَتْ فِي الْجَوْ حَتَّى لَقَصَّرَتْ الْكَوَاكِبُ عَنْ مَدَاهَا
مُشْرِقَةٌ كَأَنَّ بَنَاتِ نَعَشٍ تَتَاجِبُهَا إِذَا خَفَقَتْ شَفَاهَا
يُتَوَجَّهًا أَصْفَرًا الشَّمْسِ تَبْرًا فَتُمْسِي وَهِيَ مُذْهَبَةٌ ذُرَاهَا
وَجَنَاتٌ يَحْيِي الشَّرْبَ وَهَنًا جَنَى وَهَدَاتِهَا وَجَنَى رَبُّهَا(1)

(1) الديوان، ص 462-463.

الميناء : الأرض اللينة السهلة.

هواميها: أنصابها.

يرسل قوافيه تبت ما في صدره إلى مسقط رأسه، ومرتع شبابه، ويتألم على ما حدث لها من خراب عندما غمرتها المياه، ويذكر مواردها وظلالها ونسيمها.

قائلاً:

أقول لحنانِ العشيِّ المُغرِّدِ
تبسمَ عن رِيِّ البلادِ حبيبه
على الشرفِ المعمورِ بالعمْرِ فالرُّبَا
فسودِ اللَّيالي من بَنِيَّةِ جَعْفَرِ
بِصَفْحَةِ مصقولِ الأديمِ كأنما
شَوائلُ أذُنابٍ يُخَيَّلُ أنها
فمَشْهُدُ عمروٍ حيثُ يُلعنُ ظالمِ
محلُّ الهوى العذريِّ في غيرِ حِلَّةِ
مَضَتْ نومةُ التعريسِ في ظلِّ أمنه
أمجُّ له العذبِ النَّميرِ كأنه
ولا وِصلَ إلا أن أروحَ مُغرِّراً
إذا ما ارتدى اللَّيلُ البهيمَ فإِنني

يَهْزُ صَفِيحَ البارقِ المتوقِّدِ
ولم يبتسمْ إلا لِإنجازِ مَوْعِدِ
فتلكَ التَّنايا فالطريقِ المعبَّدِ
فَدِمْنَةَ آثارِ الخليفةِ أحمدِ
سَفائِنُهُ رُبْدُ النِّعامِ المُشرِّدِ
عقاربِ دبت فوق صرحِ ممرِّدِ
وتبكي على المظلومِ آلِ محمَّدِ
وعَهْدُ الشَّبابِ الغَضِّ في غيرِ مَعَهْدِ
وأعقبها ليلُ السَّليمِ المُسَهَّدِ
مُجاجةُ مُحَمَّرِ الحماليقِ أسودِ
بأدهمَ في تيارِ أخضرٍ مُزِيدِ
بليَّلينِ منه والدُّجْنَةَ مُرتدي(2)

يبكي على أديمها المصقول، وآثارها وتاريخ حافل بالرخاء، ومحل الهوى العذري، والشباب الغضّ وإعجابه بهذا جاء ترده كثيراً، فالسري برغم ضيق عيشه فيها وسوء حاله، وفقره ولكن ظلت هذه الصور عالقة بخلجات نفسه، وقوافيه التي أرى فيها صدقاً عكس ما في دواخله اتجاه هذه الأرض الطيبة، رغم رحيله إلى حلب التي يقال عنها، (حلب مدينة واسعة

(1) المصدر نفسه، ص464.

(2) الديوان، ص 166-167.

كثيرة الخير أنها طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء، ويقال عنها أيضاً تعددت بها الأمم حتى أصبحت مركز الشرق⁽¹⁾. رغم هذا يظل حنينه إلى الموصل ويواصل قائلًا:

أرى بلدًا يشكو من الماء مثل ما
تخوف غربي القصور كأنما
مكفرة الجدران للمد لا تتي
وعهدي بها مثل الفراقد تنتضي
بقية أبنار البناء كأنما
فيا سطوة الأيام عودي لسلمها
ويا جانبيها بالمناخ سقيتُما
ويا ديرها الشرقي لازال رائح
شكا الغمد من حد الحسام المهند
رُمين على الأيام منه بمبرد
تخر عليه من ركوع وسجد
ذوائبها ما بين نسر وفرقد
تصوغ لها الأصال تيجان عسجد
كما كنت قبل اليوم مغولة اليد
بأعذب ممًا يسقيان وأبرد
يحل عقود المزن فيك ويغدي⁽²⁾

فهو يدعو ويتمنى العودة لما كانت عليها فهي:

مَوارِدُ لهُوَ صَفَقَتْ فِي ظِلَالِهَا
عَلِيلَةُ أَنْفَاسِ الرِّيحِ كَأَنَّمَا
يَشُقُّ جُيُوبَ الوَرْدِ فِي شَجَرَاتِهَا
وَمَلْعَبُ إِفْرَنْدِيَّةِ الرَّوْضِ يَعْتَلِي
صَوَامِعُ فِي سَرْوِ أَنْفِ كَأَنَّمَا
مَوارِدُ مِنْ مَاءِ الكَرُومِ مُورَدِ
يُغَلُّ بِمَاءِ الوَرْدِ نَرَجِسُهَا النَّدِي
نَسِيمٌ مَتَى يَنْظُرُ إِلَى المَاءِ يَبْرُدُ
عَلَيْهِ خَلْقِي البِنَاءِ المُشَيَّدِ
قِيَابُ عَقِيقٍ فِي قِيَابِ زَبْرَجَدِ⁽³⁾

(1) المعجم البلدان، عبد الله الحموي الباقوتي، دار صادر، بيروت، ط3، 207م ص 282.

(2) الديوان، ص167.

(3) المصدر نفسه، ص168.

• فرنديه: أراد بها السيف.

وحنينه إلى الموصل الذي رسمه وأجاد فيه أرى أنه قد أفصح لنا عن
نفس شفافة تواقّة إلى ذلك العهد البريء من الهموم وما يحيط بالإنسان في هذه
الدنيا من تعب وعناء، فهو دوماً يتمني العوده لتلك الأيام التي عاشها في
الموصل فكانت قوافيه ونظمه فيها كلوحةٍ أبدع رسمها .

الفصل الثاني الأغراض الشعرية

المبحث الأول:	الوصف
المبحث الثاني:	المدح
المبحث الثالث:	الغزل
المبحث الرابع:	اللهو والمجون
المبحث الخامس:	الرتاء
المبحث السادس:	الهجاء
المبحث السابع :	أغراض أخرى

المبحث الأول وصف الطبيعة

الوصف هو الكشف والإظهار، يقال وصف الثوب الجسم إذا أظهر محاسنه وبين هيئته⁽¹⁾. وفن الوصف من فنون الشعر العربي القديم . قال قدامه^(*) عنه: "إن جماع الوصف أن يكون المعنى موجهاً للغرض المقصود غير عادل عن الأمر المطلوب"⁽²⁾. ويقول ابن رشيق^(*) عنه: "أحسن الوصف ما نعني به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع"⁽³⁾.

والوصف الأدبي هو الذي يتناول الطبيعة والإنسان وكل ما يتعلق بالإنسان، إذن هو تسجيل باللغة، وهو نظير الرسم والتصوير، ولكن هنا يعتمد على الخيال، وصدق التعبير، وحرارة العاطفة، ومن ثم تكتمل لوحة الشاعر الفنية⁽⁴⁾.

(1) لسان العرب، لابن منظور ، مادة (وصف).

(*) قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي أبو الفرج، كاتب من البلغاء الفصحاء، كان في أيام المكتفي بالله العباسي، وأسلم على يديه، توفي ببغداد سنة 337هـ من آثاره نقد الشعر، وجواهر الألفاظ، وزهر الربيع، انظر الأعلام خير الدين الزركلي ، ط1، ص:

(2) نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، 1962م، ص61.

(*) ابن رشيق هو الحسن بن رشيق المحمدي من المحمدية إحدى مدائن أفريقية. كان متجراً في علم الأدب — من آثاره كتاب العمدة في محاسن الشعر، توفي سنة 450هـ، انظر إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، ص 89.

(3) العمدة في محاسن الشعر ، لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد عبد الحي عبد الحميد، ط3،

المكتبة التجارية، القاهرة 1955م، ج2، ص294.

(4) الأسلوب، أحمد الشائب، دراسة تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة، ط6، 1966م، ص90.

والحديث عن الطبيعة الحية، والصامته وكل ما أدرج في طياتها فهو مرتبط
بالشاعر وبقدرة على إخراج ما فيها من جمال(1).

وللطبيعة سحر وجاذبية أخذت مدى الدهور تعطي لأهل الموهبة ينبوع
لينهلوا منه، ولها كذلك جمال الطبيعة من أروع ألوان الجمال، فقد جاءت
مشاهدها في القرآن الكريم تتجلى فيها قدرة العلي العظيم، المبدع المصور،
نضرب لها مثلاً قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا
فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾(2). وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ
النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ﴾(3).

سبحان الله الذي خلق هذا الجمال وأودع في نفوسنا حبه، والتأمل فيه
والشاعر بطبعه مرهف الإحساس، مستشف لهذا الجمال والشاعر العربي تأمل
بيئته البدوية الصحراوية فاستهوته تلك الصحاري وما فيها وأثارت الأطلال
شجونه وعلى أنه وصف بالمتأمل، إلا أن الوصف البدوي يتجلى فيه الصدق ،
وهناك اختلاف بين الوصف البدوي والحضري(4).

نجد أن شعر الطبيعة ظل في تغيير كغيره من الأغراض الأخرى،
فالعصر العباسي يختلف عن سابقه، حيث لطف أذواق الناس، فتنفنا في
أشعارهم وذلك لما أمدتهم به طبيعتهم فأفسحت لهم الكثير وكانت بمثابة ورد
أتلج نفوسهم، فشخص لنا شعراؤها وجسدوها فأصبح الوصف موضوعاً

(1) شعر الطبيعة في الأدب العربي: سيد نوفل، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1987م، ص23.

(2) سورة يس، الآية (34).

(3) سورة الأنعام، الآية (99).

(4) أنيس المقدسي: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، ط4

1967م، ص348.

شعرياً مستقلاً، وهدفاً لذاته ومع هذا اللون الجديد نجد أن العباسيين أخذوا
بالقديم والجديد⁽¹⁾. فجمعت ثروة القديم مع المكتسب من الثقافات الجديدة فبلغوا
بذلك الذروة في الوصف وغيره⁽²⁾.

فالشاعر السري الرفاء أحد شعراء هذه الطبيعة العباسية تأثر بها فأرانا
ما فيها، وعبر عن دواخله وسجل إحساسه العميق فتجلت لنا الطبيعة في لوحة
فنان فلننظر رسمه.

الطبيعة الصامتة

وصف الصبح: وشبهه بالراهب قائلاً:

والفجرُ كالراهبٍ قد مُزِّقَتْ
من طَرَبٍ عنه الجلابيبُ⁽³⁾

وتارة يشبهه بالمرأة الشابة:

قائلاً:

والفجرُ مصقولُ الرِّداءِ كأنه
جِلابُ خُوْدٍ أشبَعَتْهُ خُلُوقاً⁽⁴⁾

فهو متأثر بعمله حتى في وصفه الطبيعة.

الليل : يطول سهره فيه قلقاً، يناجي نجومه وعجباً لهذا الليل يقاس باليد
ليتعرف على طوله وها هو ذا يبدأ بالألأ لتنبيه القارئ وتقوية المعنى الذي
أرادَه.قائلاً

ألا رُبَّ لَيْلٍ بَتُّ أَرعى نُجومَه
فلم أغمِضُ فيه ولا اللَّيْلُ أغمِضاً

كأنَّ الثُّرَيَّا راحةً تشبُرُ الدُّجى
لتعلمَ طالَ اللَّيْلُ لي أم تعرِّضاً

عَجِبْتُ لَيْلٍ بَيْنَ شَرْقٍ ومَغْرِبٍ
يُقاسُ بشيْرٍ كيفَ يُرْجى له انْقِضا⁽¹⁾

(1) الشعر العباسي الروية والفن: عز الدين إسماعيل، دار المعارف، 1980م، ص 380.

(2) الوصف: لجنة من أدباء الأقطار العربية، دار المعارف بالقاهرة، 1960م، ص 53.

(3) الديوان، ص 97.

(4) المصدر نفسه، ص 314.

الخود: الشابة من النساء.

النجوم: قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾⁽²⁾.

قيل: إن العرب تعظم الثريا وهي من النجوم الثابتة عندهم في البرد والصيف.

قال في ذلك:

كَأَنَّ نَجْمَ الثُّرَيَّا كَفُ ذِي كَرَمٍ مَبْسُوطَةٌ لِلْعَطَايَا لَيْسَ تَتَقَبِضُ
دَارَتْ عَلَيْنَا كُؤُوسُ الْخَمْرِ مُتْرَعَةً وَللْدُجَى عَارِضٌ فِي الْجَوِّ مُعْتَرِضُ
حَتَّى رَأَيْتُ نُجُومَ اللَّيْلِ غَائِرَةً كَأَنَّهُنَّ عَيُونَُ حَشَوُهَا رَمَضُ⁽³⁾

الهلال:

وَكأَنَّ الْهَيْلَالَ نُونُ لُجَيْنٍ غَرِقَتْ فِي صَحِيفَةٍ زَرْقَاءِ⁽⁴⁾
وَقَالَ كَذَلِكَ فِي وَصْفِهِ:

وَلَا حَ لَنَا الْهَيْلَالَ كَشَطْرِ طَوْقٍ عَلَى لَبَّاتِ زَرْقَاءِ اللَّبَّاسِ⁽⁵⁾

البيت الأول لوحة رائعة لشكل الهلال وكثيراً ما استشهد أهل البلاغة بهذا البيت، كذلك البيت الثاني حيث يكتمل الجمال الذي جعل فيه الطوق لأنه يكون في عنق الحسناء. فهو جامع للجمال في كل.

وقال في آخر يصف الثريا:

وَفَتِيَّةٌ دَارَتْ السُّعُودَ بِهِمْ فَدَارَ لِلرَّاحِ بَيْنَهُمْ فَالَاءُ
بِتْنَا وَضَوْءُ الْكُؤُوسِ يَهْتِكُ بِال إِشْرَاقِ سِتْرِ الدُّجَى فِينَهْتِكُ
نَرَى الثُّرَيَّا وَالْبَدْرُ فِي قَرْنِ كَمَا يُحْيَا بِنَرْجِسٍ مَلِكُ⁽⁶⁾

(1) المصدر السابق، ص 268-269.

(2) سورة النجم، الآية 1.

(3) الديوان، ص 268.

(4) المصدر نفسه، ص 22.

(5) المصدر السابق، ص 257.

(6) المصدر السابق، ص 346.

السحاب:

قال: يراه الشاعر أغر صادق الوعد، عندما تغيب أنجمه ويشند رعدَه،
ويغدق الحيا، ففازت مقاصده.

قال فيه:

أقبل كالذود رعت شوارده أغر لا تكذبنا موعده
فظل يعتاد الحياة قائده وراح ظمان الثرى يُناشده
حتى إذا ما ارتجست رواعده وأذهببت ببوقها عطاردُه
عادت بما سر الثرى عوائده وانتثرت في روضها فرائده⁽¹⁾

فتجلت لنا صورة رائعة، واختيار ألفاظ مناسبة، فمثلاً في البيت الثالث
ارتجست قوية الصوت وملائمة لصوت الرعد وجاء ذكر البرق، والرعد،
والسحاب كثيراً في الديوان.

وقال: يصف ليلة شديدة المطر، والريح، والرعد:

طرقنا أبا عامر مؤهناً وما زال يحظى به الطارقُ
وقد سفر الأفق عن شدة لسان السماء بها ناطقُ
وأومض برق كما أومضت يد البكر زينها البارقُ
وهبت جليديئة قررة رداً وأسلمها دائق⁽²⁾

فكلمة أومض وجلدية ودائق وضحت وصفة لشدة برقها ورياحها
الهُجاء فهي ليلة سماءها يبشر بمطر غزير.

(1) الديوان، ص 143.

(2) المصدر نفسه، ص 336.

الثلج:

يعتبر شعر الثلج جيداً ومستحدثاً ظهر في القرن الرابع⁽¹⁾:
"يقال إن كاشجم، والصنوبري قد فتحا الباب أمام شعراء
عصرهم". قال الرفاء فيه:

سكنتُ إلى الرحيلِ وكيفَ أثوي بأرضٍ لم تكن ملقى رحالِ
ألمُ بربعها حذراً فألقى ملِّمَ الشَّيبِ في لَمَمِ الجبالِ
تلاَّاتِ الرُّبى لَمَّا علاها كأنَّ على الرُّبى أثوابُ آلِ
كأنَّ ذرى الغُصونِ لبسنَ منه حلَى الكافورِ ربَّاتِ الحِجالِ
تجولُ العينُ فيه وهو فيها كشهبِ الخيلِ رُحْنِ بلا جلالِ⁽²⁾

فصورة الثلج وهو يتساقط على الأرض وكأنها أثواب تتلألأ كالسراب
وهو يراه في جماله كأن الغصون حسنات لبسن منة حلَى.

وقال عن نهر دجلة:

وصف نهر دجلة قائلاً:

ومسترفدٌ تيارَ دجلةَ رافداً سواحلها من نازحٍ ومقاربِ
يسيرُ وإن لم يبرحِ الدهرَ خطوةً فليس بوقافٍ، وليس بساربِ
مواصلُ إيجافٍ تكادُ تجيبه إذا حنَّ ليلاً موجفاتُ الرِّكائبِ⁽³⁾

(1) وصف الطبيعة عند كاشجم، بقلم صالح علي التشيوي، مج، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية،
بالجامعة الأردنية، 1999م، ص68.

(2) الديوان، ص385-386.

(3) المصدر نفسه، ص82-83.

الجبال:

وصفها في الديوان قليل معظمها في قصائد المدح.

قال الشاعر فيها :

وَكأنَّ قُدْساً أَوْ مَتالِعَهُ وَهَبَ الوَقارَ لَهُ تَوَقُّرُهُ (1)
وقال أيضاً:

لو هَمَّ بِأَسْكَ بِالطَّوْدِ الَّذِي شَمَخَتْ هِضابُهُ لَهَوَى مِنْ بِأَسْكَ الطَّوْرُ (2)

عُرُفت الجبال عند العرب كرمزٍ للقوة والثبات كما كانت دوماً ملهمةً لشعراء العرب الذين تفننوا في وصفها والإستدلال بها وبقوتها وصلابتها كجزء ومكون اصيل من جغرافيا المنطقة واستخدمها شاعرنا لوصف ممدوحيه يصفهم بالقوة والثبات.

(1) الديوان، ص214.

قدس: جبل نجد.

(2)المصدر نفسه ، ص177.

الطبيعة الحية

وصف الطبيعة مجال واسع وخصب لكل الشعراء، يقول عنه قدامة:
"فن واسع الأطراف يصيب سائر الأمور ماديتها ومعنويتها ومجاله الطبيعة
بمن فيها من أناس، وما فيها من الكائنات الحية والجمدة، وأسرار النفوس"⁽¹⁾.
والطبيعة الحية نعني بها كل موصوف متحرك من حيوان أليف، وغير
أليف.ويمكن تناول ذلك من شعر الرفاء.

الباز:

هو طائر يستخدم للصيد ويقال أن الملوك أكثر اهتماماً به وهو من
الجوارح.

قال فيه شاعرنا:

وَلَا حَ ضَوْءُ الصُّبْحِ مِنْ أَعْجَازِهِ	لَمَّا أَجَدَّ اللَّيْلُ فِي انْحِيَاذِهِ
تَحْمِلُ يُسْرَاهُ عَلَى قَفَّازِهِ	دَعَوْتُ سَعْدًا فَآتَى بَبَازِهِ
نَدْبًا هَوَانُ الطَّيْرِ فِي إِعْزَاذِهِ	ضَامِنَ زَادٍ جَدَّ فِي إِحْرَاذِهِ
يُبَادِرُ الْفُرْصَةَ فِي انْتِهَاذِهِ	أَقْرَانَهُ تَتَكَلَّمُ عَنْ بَرَاذِهِ
فَابْتَزَهُ الْمَوْشِيَّ مِنْ طِرَاذِهِ	كَأَنَّمَا رَاحَ إِلَى بَزَاذِهِ
خَمْسِينَ حُرْنَاهُنَّ بِاحْتِيَاذِهِ	فَصَادَ قَبْلَ الشَّدِّ فِي اجْتِيَاذِهِ
وَلَا خَلَا فِي الْوَعْدِ مِنْ إِنْجَاذِهِ ⁽²⁾	مَا أَسْلَفَ الْبِرَّ فَلَمْ يُجَاذِهِ

(1) نقد الشعر: قدامة بن جعفر، ، ص306.

(2) الديوان، ص255-256.

ندبا : الحفيف السريق.

تتكلم : تتكص وتجنب.

فهو سريع وقوي، تخافه الطيور وتهابه، والباز رمز للقوة والعرب تتفاخر به، بل هناك من سمو بذلك من قديم الزمان حتى اليوم.

الزنابير: قال عنها :

وَمُخْطَفِ الْخَصْرِ بُرْدُهُ حَبْرٌ نَحْذَرُهُ وَهُوَ خَائِفٌ حَذِرٌ
مُجَنِّحٌ طَارَ فِي مُجَنِّحَةٍ تصعدُ طوراً به وتَحَدِرُ
كَأَنَّهَا وَالرِّيَّاحُ تَتَشُرُّهَا غرائبُ الزَّهْرِ حِينَ يَنْتَشِرُ
لَهَا حُمَاتٌ كَأَنَّهَا شَعْرٌ تَظْهَرُ مُسْوَدَّةً وَتَسْتَتِرُ⁽¹⁾

يتناول ذلك ويصف شكلها الضامر ولها إبرة فهي لاسعة، نحذرها وهي تخاف منا وهي غير أليفة.

الخطاف:

قال فيها:

وَعَرَفْتَنَا الْحَسَنَاءُ قَدْ زَادَ حُسْنُهَا بزائرةٍ في كلِّ عامٍ تزورها
بِمُبْيَضَّةِ الْأَحْشَاءِ سَوْدٍ ظُهُورُهَا مُزَنَّرَةَ الْأَذْنَابِ حُمْرٍ نُحُورُهَا
مُرْفَرَفَةٍ حَوْلَ الْبَيْوتِ وَفُودُهَا مُحَلَّقَةٍ حَوْلَ السُّقُوفِ وَكُورُهَا
لَهُنَّ لُغَاتٌ مُعْجِمَاتٌ كَأَنَّهَا صَرِيرِ نَعَالِ السَّبْتِ عَالٍ صَرِيرُهَا
تُجَاوِرُنَا حَتَّى تَشَبَّ صِغَارُهَا فَيَلْحَقُ فِينَا بِالْكَبِيرِ صَغِيرُهَا⁽²⁾

يقول هذا النوع من الطيور ذات اللون الأسود، فهي مهاجرة نسعد بزيارتها. ويصف أصواتها بالصوت نعال من الجلد، والناظر للمقطوعة يدرك دقة إحساس وتصوير الشاعر.

(1) الديوان، ص246.

(2) المصدر نفسه، ص 233.

الخطاطيف: مفردا خطاف، وهو طيور تشبه السنونو تأتي في الربيع.

يصف الديك:

قائلاً حينما ودع الليل قام الديك فرحاً بالصبح يهلل ويكبر .

إذا المجرّة مالت بعد تعديلٍ وجاذبَ الليلُ حبلاً غيرَ موصولِ
وهبَّ ذو الرّعاتِ الحمرِ مُنتشياً فارتاعَ من صارمٍ للصُّبحِ مَسلولِ
لَمَّا رآه يَضُمُّ الليلَ أكبرُهُ فعادَ منه بتكبيرٍ وتهليل⁽¹⁾

وصف الحيوانات :

الخيّل:

قال تعالى: ﴿...وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ...﴾⁽²⁾.

قال (ص): "الخيّل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة"⁽³⁾.

وقد اهتم بها العرب كثيراً ووصفوها وتفاخروا بها، والسري كعادة

شعراء العرب نجده واصفاً لها قائلاً فيها:

قال السري فيها:

وأغرَّ نهدٍ لو طأبت به شأوَ الجنائبِ بذها حُضرا
طرفاً إذا ما اختال خلت به صلفاً من الإعراض، أو كبرا
يُنْسِيكَ صِبْغُ أديمه الخمرا وتُريكَ غرّةً وجّهه البذرا
لا يسْتَقْرُّ كأنَّ أربعه فُرْشٌ يَطَا من تحتها الجمرا
وكأنّه لمّا اكتسى عرقاً ورقُ الشّقائق يَحْمِلُ القطرا
يجري ويعطِفُه العنانُ كما عَطِفَ القضيْبُ وقد غدا نَضْرا⁽⁴⁾

(1) الديوان ص363. قال الجاحظ العرب تسمى هذه الأجناس كلها حمام فجمعوها باسمها العام وفروقتها بالاسم الخاص، الحيوان، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، ط1969م، بيروت، لبنان، ج3، ص146.

(2) سورة آل عمران، الآية 14.

(3) الحديث: صحيح مسلم، شرح النووي، دار الفكر، القاهرة، 1401هـ-1989م، ج3، ص16.

(4) الديوان، ص211-212.

نهد: فرس الحسن الجميل، جنائب: خيول، الخضر: الجري

وقولة طرفا يصفه كريم وبالحسن والجمال مع السرعة والقوة وكأن إذا
تصبب منة العرق ورد عليه ندى.

وقال:

قَادَ الْجِيَادَ لَهُ مِنْ وَطْئِهَا صَخَبٌ عَلَى الصُّخُورِ وَمِنْ أَرْهَاجِهَا ظَلُّ
يَوْمٌ خَرَشَنَةَ الْعُلْيَا فَيَصْبَحُهَا بِالْخَيْلِ تَصْهَلُ وَالرَّايَاتِ تَرْتَجِلُ⁽¹⁾
فهذه الخيول قوية عبرت الحدود وشاركت في النصر.

ويصف البراغيث:

وَلَيْلَةٌ مِنْ نَقَمَاتِ الدَّهْرِ قَطَعْتُهَا نَزَرَ الكَرَى وَالصَّبْرِ
مُكَلَّمِ الصَّدْرِ جَرِيحِ النَّحْرِ مُقَسَّمًا بَيْنَ أَعَادِ خُزْرِ
كُمْتُ إِذَا عَايَنْتُهَا وَشُقِرَ كَأَنَّهَا آثَارُهَا فِي الأُزْرِ⁽²⁾

يصف عقرباً:

سَارِيَةٌ فِي الظَّلَامِ مُهْدِيَةٌ إِلَى النُّفُوسِ الرَّدَى بِلا حَرَجِ
شَائِلَةٌ فِي ذَنبِهَا حُمَةٌ كَأَنَّهَا سَبْجَةٌ مِنَ السَّبَجِ⁽³⁾

فما من شيء في الطبيعة إلا أثر إحساسه، وحرك دواخله اتجاهها فهو
شاعر عاشق لها واصفاً لرياضها النشوى – ووردها – ونرجسها الفواح.

قال في وصف الروض:

يصف الروض نسيمه، البرق قد لمع، وأمطرت السماء فصحا نباته وقد
جدد الربيع فيه ألواناً فلاذ هواه، وطاب.

قائلاً:

(1) الديوان ص 351.

الصابانات: الخيل، الأرهاج: الغبار.

(2) المصدر نفسه، ص 239.

(3) المصدر نفسه، ص 117.

أعادَ الحيا سكرَ النباتِ وقد صَحَا
وباتَ زنادُ البرقِ يقدحُ نارَه
كانَ حمَامَ الروضِ نشوانُ كلما
ولاذَ نسيمِ الروضِ من طولِ سيرِه
فباشِرَ وردَ الأقبوانِ مُشرقاً
وحلَّ من أزرارِه النورَ فاغتدى

وجددَ من عهدِ الربيعِ الذي انمى
على الآسِ حتى اهترَّ فيه وقدحا
ترنمَ في أغصانِه أو ترَجَّحا
حسيراَ بأطرافِ الغصونِ مُطلِّحا
وصافحَ وردَ الباقلاءِ مجنَّحا
كلفظِ جليبِ همَّ أن يتفصَّحا⁽¹⁾

في صورة رائعة وصف الروض. وقد صحا ولاذ نسيمه وتفتح
زهرة.

فالسريِّ كدأب شعراء عصره شغلتهم الطبيعة وما فيها من جمال
وسحر. وهو يحتفي بقدم الربيع، وجمال السحب، وتفتح أنوارها، وأزهارها
قائلاً في ذلك:

غيومٌ تمسكُ أفقَ السما
وخضراءُ تنتثرُ فيها الصبا
فأنوارُها مثلُ نظمِ الحلى
شهدتُ بها في ندامى سلوا
وأغناهمُ عن بديعِ السماع
وأحسنُ شيءٍ ربيعِ الحيا

وبرقٌ يُكئبُّها بالذهب
فريدَ ندىٍّ ماله من ثقب
وأنهارُها مثلُ بيضِ القضب
عن الجدِّ واستهتروا باللعب
بدائعُ ما ضُمَّنته الكتبُ
أضيفَ إليه ربيعُ الأدب⁽²⁾

وهنا يقول غيومها تعطر سماءها كأنها مسك وتكتب عليها وكأنها تبر.
وأرضها خضراء قد بان نداها فوقه فهي وارفة شهدت الدنيا بجمالها وبدائع
ربيعها.

وكذلك يصف الورد الذي له تعود له حياته زمن الربيع.

(1) الديوان، ص 126-127.

(2) المصدر السابق، ص 66.

الورد:

فالورد بألوانه الزاهية وعطرة الفواح مما يترك في النفس من نشوة
وارتياح، والسريّ شاعر مستشف لجمال الطبيعة فأنشد فيه قائلاً:
لو رَحَبْتُ كاسُ بذي أوبَةٍ لرحببت بالورد إذ زارها
جاءَ فخِناهُ خُوداً بدتْ مُضرمَةً من خجلِ نارها
كأنما خَيْرَ في رَوْضَةٍ طرائفَ الكسوةِ فاخترها
وعطَّرَ الدُّنيا فطابت به لا عَدِمْتَ دنيَاكَ عَطَّارها
قد خلعَ القَطْرُ جلابييه إلا شظاياها وأزارارها⁽¹⁾

ففي هذه الابيات يصور الارض وهي فرحة نشوانة تستقبل اوانه
ويصف الوانه المتعددة كأنما اختيار فنان زين هذه الارض بأبها صور الجمال
، فكلمة عطر أدت المعنى ووضحت انتشار العطر الفواح.

أما ترى الوردَ قد باح الربيعُ به من بعد ما مرَّ حَوْلٌ وهو إضمارُ
وكانَ في خِلعِ خُضْرٍ فقد خُلِعَتْ إلا عُرَى أُغْفَلَتْ منه وأزارارُ⁽²⁾
ورد أصفر، فوقه أبيض، ويكنف وسطه أحمر، كأن صورة الروض
ووردة أمامنا فالنظر إلى ما قاله:
ورَوْضٍ كَسَاهُ الغَيْثُ إذ جادَ أرضه مجاسيدَ وشي من بهارٍ ومَنثورِ
به أبيضُ الوردِ الجَنِيِّ كأنَّما تَبَسَّمَ للنَّاشي بمِسْكِ وكافورِ
كأنَّ اصفراراً منه فوقَ ابيضاضِهِ بُرادةٌ تَبِرُ في مَدَاهِنِ بُلُورِ⁽³⁾
فوصفه هنا وصفاً يتلج القلب ورسم لنا بنظمه أجمل ما منحته الطبيعة

(1) الديوان ، ص 227.

(2)المصدر نفسه، 236.

(3) المصدر السابق، ص 238.

مجاسد: مفردھا مجسد قميص يلي البدن.

النجس:

الحديث عن نرجسيات، والسوسنيات، واللينوفريات، هذا الفن اهتم به شعراء القرن الرابع⁽¹⁾، ومنهم السري فأبدع قائلاً في النرجس:

سَفَرْتُ لَنَا الدُّنْيَا وَكَمْ أَلْقَيْتُ مَحَاسِنَهَا الْخِيَمَارَا
وَرَأَيْتُ نَرْجِسَهَا عَلَى لَبَّاتِهَا حَلِيماً مُعَارَا
إِنْ حَلَّ حَلَّ بِهِ السُّرُورُ رَ مُخِيماً أَوْ سَارَ سَارَا
مَا كَانَ قَبْلُ كَأَنَّهُ مَرَضُ الْعِيُونِ لَهَا شِعَارَا
لَكِنَّهُ أَزْرَى بِهَا فَمَرَضُنْ دُلّاً وَانكساراً⁽²⁾

وفي موضع آخر يقول شاعرنا:

فَقَدْ جَلَا النَّرْجِسُ الْجَنِّيُّ لَنَا عَنِ عَيْشَةٍ فِي قُدُومِهِ رَغَدِ
يَجْمَعُ ضِدِّيْنَ قَلَّ مَا اجْتَمَعَا مِنْ لَهَبٍ سَاطِعٍ وَمِنْ بَرْدِ⁽³⁾

السوسن:

وهو نبات معروف بألوانه الزاهية الجذابة ومنظره الساحر وها هو

السري يلفت نظرنا ويأمرنا بالنظر إليها قائلاً:

أُنْظِرْ إِلَى السَّوْسَنِ فِي نَبَاتِهِ فَإِنَّهُ نَبْتُ عَجِيبِ الْمَنْظَرِ
كَأَنَّهُ مَلَاعِقٌ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ خُطَّ فِيهَا نُقْطٌ مِنْ عَنَبَرِ⁽⁴⁾

اللينوفر: اسم فارسي معناه النيلية الأجنحة وهو نبات مائي وهو ينبت

في المياه الراكدة⁽⁵⁾.

(1) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين: مصطفى شعكه، مكتبة الأنجلو المصرية، ص354.

(2) الديوان، ص244.

(3) المصدر السابق، ص168.

(4) الديوان، ص223.

(5) نهاية الإرب في فنون الأدب، النويري، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط1، ص219.

قال فيه:

حبيبٌ حباكَ بلينِ وافرٍ
تأملتُ ما فيه فافتادني
له طلعةٌ بين أوراقه
كغواصٍ لُجٍّ على فاقته
فأكرمُ به وبإهدائه
إليه تزاويقٌ وشيائه
ضحىً ثم يكمنُ في مائه
يحاولُ أسبابَ إثرائه⁽¹⁾

إن هذا النبات النيلي يراه السريّ جميلاً يهواه الأحبة، ويصوره في صورة غواص وهو يلج إلى الماء بعد ظهوره على السطح فتظهر لنا هذه الحركة الجميلة.

وفي موضع آخر قال:

يا حُسنَ لِينِ وافرٍ شُغِفْتُ به
كأنه عاشقٌ به ظمأً
يمنحه الماءُ صفوً مشروباً
توهمَ الماءَ ريقَ محبوبه⁽²⁾

الشقائق: وهي نوع من الأزهار.

نَلْ مِنْ الأَيَّامِ ثَارَا
بِشَرَابٍ يُشْبِهُ التُّفَّافَ
وَشَقِيقٍ جَادَهُ الغِي
مِثْلَ مَا أترَعُ سَاقِي الر
وانتصِرُ منها انتصاراً
فأحَ طيباً واحمراراً
ثُ رَواحاً وابتكاراً
رَاحَ أقْداحاً صِغاراً⁽³⁾

النارج: شجر ورقه أملس شديد الخضرة ويعتبر من الحمضيات قال فية

السري:

أجرِ المدامَ على نُجْحِ المَواعيدِ
فقد تَنَبَّهَ مِنْ إِغْفائِهِ زَهْرُ
وشرَدَ الصُّبْحُ عَنَّا اللَّيْلَ فَاتَّضَحَتْ
وَجَدُّ عَلِيٍّ بَرِيًّا النَّحْرِ والجيدِ
كَأَنَّ رِيَّاهُ رِيًّا المِسْكِ والعُودِ
سُطُورُهُ البِيضُ فِي رايَاتِهِ السُّودِ

(1) الديوان، ص24.

(2) المصدر نفسه ، ص104.

(3) المصدر السابق ، ص251.

ولاح للعين نارنج كما اختضبت بالزعفران ثدي النهدي الغيد⁽¹⁾

الأديون:

شجر أو نبات له ورق كورق الزيتون يميل إلى البياض⁽²⁾ وهو

فارسي.

قال فيه:

نوافج مسك هيبت قلب مهتاج
وعند غروب الشمس أزرار ديباج⁽³⁾

وروضة أدريون قد زرر وسطها
تراها عيوناً بالنهار روائياً

الليمون:

وصفه قائلاً:

رِ بَصْفِ الْمَاءِ يَجْرِي
عِطْرُهَا أَطْيَبُ عِطْرِ
مُونٍ مِنْ بَيْضٍ وَخُضْرِ
شَابَهَا تَلْوِيحُ تَبْرِ⁽⁴⁾

واصطبجناها على نهـ
ظَلَّتْهُ شَجَرَاتُ
فَلَاكُ أَنْجُمُهُ اللَّيْلِ
أَكْرَمُ مِنْ فِضَّةٍ قَدِ

النخيل:

يُضاحِكُ الطَّلَعُ فِي قُنُونِهِ الرُّطْبَا
إِذَا ثُرِيًّا وَإِمَّا مِعْصَمًا خُضِبًا⁽³⁾

فالنخل من باسق فيه وباسقة
أضحت شماريخه في الجو مطلعة

ويقول في موضع آخر:

ظِلُّ الْغَمَامِ إِذَا الْهَجِيرُ تَوَقَّدا

وَكأنَّ ظِلَّ النَّخْلِ حَوْلَ قِبَابِهَا

(1) الديوان، ص 168.

(2) نهاية الإرب – النويري، ص 221.

(3) المصدر السابق، ص 117.

(4) الديوان، ص 223.

(3) الديوان، ص 58.

من كلِّ خَضْرَاءِ الذَّوَائِبِ زُيِّنَتْ بِثَمَرِهَا جِيداً لَهَا وَمُقَلَّداً⁽¹⁾

وقال عن نبات شجر الشث ونبات الشيح:

قائلاً:

عربيٌّ روائحُ الشَّيْحِ وَالْقَيْمِ — صوم منه والشَّثُّ وَالطُّبَّاقُ⁽²⁾

عاش السَّرِّيُّ في هذه الحياة وتعايش معها فعكس لنا تصويره ما كان فيها من بيئة نابضة بالحياة، فجاءت صورة الطبيعة حية متحركة بمختلف أنواعها.

(1) المصدر السابق، ص 158.

(2) المصدر السابق، ص 334.

الشيح: نبات. القيصوم: نبات أيضاً، الشث: شجر مثمر، الطباق: أيضاً شجر، وهذه الأنواع تداوي بها العرب.

الطبيعة المصنوعة

ونعني بها كل شيء هدى الله سبحانه وتعالى الإنسان إلى صنعه ومهد له استقلاله إلى الحياة.

اهتم العباسيون بالصناعة والتجارة اهتماماً كبيراً وأصبحت بغداد من أكبر الأسواق في العالم⁽¹⁾. إذن تطورت الدولة صناعياً.

كذلك تطور المعمار، كل ذلك صورته لنا الأدب، ومن هذا القصور: فقد أولاهم الخلفاء العباسيون بالغ الاهتمام، فقد شملت دوراً واسعة وبساتين- ومسطحات مظلة بالأشجار- فأصبحت شامخة نضرة شهد لها التاريخ⁽²⁾:

قال السري في وصف قصر:

أنشأته منزلاً في قلبِ دجلة لا تمتاحُ جنته القدران والقلبا
صفا الهواءُ به والماءُ فاشتَبَّها كأنَّ بينهما من رقةٍ نَسَبا
وأصبحَ الغيثُ مخلوعَ العذارِ به فليسَ يخلعُ أبردَ الحيا القشُبا⁽³⁾

ففي وصف رائع للقصر يبين موقعة قرب دجلة ويصف روضته الغناء ونسيمه العليل الذي يفوح مسكاً وتربته كأنها لؤلؤاً منثوراً وتحوى جوانبه الزبرجد والفضة فقد أبدع الشاعر ونقل لنا تذوقه الرفيع لهذه القصور وطبيعتها وما بها من جمال فهي صورة فائقة الروعة. ومن خلال ما جاء في ديوانه من وصف لهذه القصور والبرك فقد تجلت لنا قدرته الفنية.

قال :

إذا القصورُ إلى أربابها انتسبتُ أضحي إلى القمّة العلياء مُنتسبا
فصله لا وصلتك الحادثاتُ ولا زالت سَعُودُك فيه تُنفدُ الحقبَا

(1) الحضارة العربية الإسلامية، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 1994م، ص578.

(2) تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم، ج4، ص378.

(3) الديوان ، ص 57.

بَرٌّ وَبَحْرٌ وَكُتْبَانٌ مُدْبَجَةٌ
وَمَنْزِلٌ لَا تَزَالُ الدَّهْرَ عَقْوَتُهُ
حَصْبَاؤُهُ لَوْلَا نَثْرٌ وَتُرْبَتُهُ
وَكُلُّ نَاحِيَةٍ مِنْهُ زَبْرَجَدَةٌ
وَإِنْ دَعَاكَ لَهُ ظِلٌّ فَرَبِّ وَغَى

تَرَى النُّفُوسَ الْأَمَانِيَّ بَيْنَهَا كَتَبًا
جَدِيدَةَ الرُّوْضِ جَدِّ الْغَيْثِ أَوْ لَعْبًا
مِسْكَ ذَكِيِّ فَلَوْ لَمْ تَحْمِهِ أَنْتَهِيَا
أَجْرَى اللَّجَيْنِ عَلَيْهَا جَدولًا سَرِبًا
جَعَلْتَ ظِلَّكَ مِنْهَا السُّمْرَ وَالْعَدْبَا⁽¹⁾

قال : يصف حصناً بناه سيف الدولة:

أَعَدَّتْهُ عَدْوِيًّا فِي مَنَاسِبَةٍ
فَقَدْ وَقَى عَرْضَهُ بِالْبَيْدِ وَاعْتَرَضَتْ
مُصْنَعٌ إِلَى الْجَوِّ أَعْلَاهُ فَإِنْ خَفَقَتْ

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ رُومِيًّا مَنَاسِبُهُ
طُولًا عَلَى مَنَكِبِ الشُّعْرَى مَنَاكِبُهُ
زُهْرُ الْكُوكَبِ خَلْنَاهَا تُخَاطِبُهُ⁽²⁾

قال في وصف بركة للوزير المهلبي، وصف فوراتها، وشمعها المضيء

ليلاً.

قائلاً:

بِرِّكَ تَحَلَّتْ بِالْكَوَاكِبِ أَرْضُهَا
رُفِعَتْ إِلَى الْجُوزَاءِ فَوَارَاتُهَا
كَادَتْ تَرُدُّ عَلَى الْحَيَا أَعْطَافُهُ
مِثْلَ الْقَنَا الْخَطِّيِّ قُومٍ مَيْلُهُ
حَتَّى إِذَا انْتَشَرَتْ جَلَابِيبُ الدُّجَى
فَرَجَّتْهَا بِصَائِحِ إِنْ تَعَلَّلُ
شَمْعًا حَمَلَتْ عَلَى الرِّمَاحِ رِمَاحَهُ
لَقِيَ النُّجُومَ وَقَدْ طَلَعْنَ بِمِثْلِهَا

فَأَرْتَاكَ وَجَهَ الْأَرْضِ وَهُوَ سَمَاءُ
عُمْدًا تُصَابُ بِصَوْبِهَا الْجُوزَاءُ
لَوْ لَمْ يَمِلْ أَعْطَافُهُنَّ حَيَاءُ
وَجَرَتْ عَلَيْهِ الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ
وَتَكَاثَفَتْ مِنْ دُونِهَا الظُّلْمَاءُ
فَلِهِنَّ مِنْ ضَرْبِ الرِّقَابِ شِفَاءُ
فَقُدُودُهُنَّ وَمَا حَمَلْنَ سِوَاءُ
وَأَعَادَ جِنَحَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَاءُ⁽³⁾

(4) الديوان، ص 59. الكتب - القرب.

(2) المصدر نفسه، ص 32.

(3) المصدر السابق، ص 17.

الناظر إلى هذه القصيدة يتجلى له إبداع الشاعر. وكيف صور النجوم وكأن الأرض أصبحت سماء، وهذه فورات المياه تريد أن ترد للسحاب ما أعطاهما ولكن يحجبها الخجل. فوصفها وصفاً دقيقاً مستخدماً سحر البيان فخرجت البركة في أزهى وصف لها، فيه جمال لنقل الصورة وخيال واسع استخدمه في تصوير هذه البركة.

وقال يصف جسراً:

كأنما الجسرُ فويقَ الماءِ وسفنه جانحةُ الأفياءِ
شبهُ الطرازِ لاحَ في الرداءِ كأنه في خلعِ الظلماءِ

دُهمٌ من الخيلِ على رِوَاءِ⁽¹⁾

ويصف بئراً حفرها في داره:

إني هُديتُ لنعمةٍ مكنونةٍ فأثرتُها من تربةٍ وصفاةٍ
بئرٍ كأنَّ رِشَاءَها في مائِها سمراءُ قد رُكِزَتْ على مرآةٍ
كافورةُ الصَّيفِ التي تحيا بها منَّا النفوسُ وصِمةُ الشَّتواتِ
طَوَّقَتْها حَجَراً ولو أنصَفَتْها طَوَّقَتْها بقلائدِ اللَّبَّاتِ
مَلَكْتَ ثناءَ جوانحي فجميعُها يُثنِي بما أولت من الحَسَناتِ
ولَكمْ مُنِيتُ بغيرِها فكأنما حاولتُ خيرَ مضِيعِ الخِيراتِ
تُعطيكِ بعدَ الكَدِّ ماءً آجناً طَرَقاً كَفَقَدِ الماءِ في الفَلواتِ⁽²⁾

وكانه اهتدى إلى هذه النعمة الجميلة التي تحفظ الماء صافياً، وذاك الشكل الجميل للحجارة التي تحفه وكأنها قلادة في عنق حسناء. فقوله ماءً آجناً

(1) الديوان، ص24. الرواء - الماء.

(2) المصدر نفسه، ص113.

الرشأ: الحبل.

طرقاً كأنه يصف هذه البئر وعطاءها للإنسان الذي فقد هذه النعمة وهو ببغاء قاحلة.

السفن:

حيث تطورت في العصر العباسي صناعتها ونوع الخشب المستخدم وشكل الشراع، وفي نظام هيكلها، وقد ذكر بأن صناعتها كانوا من العرب والفرس أكثر، فقد أنشأ لها داراً لتعلم صناعتها⁽¹⁾.

قال واصفاً لها:

وابنة برٍّ لم تين عن زهد
تعاؤه وهو زلال الورد
إلا بربطٍ عنده وشدّ
واتشحت من الدجى ببرد
وأشبّهت واسطة في عقد
كأنها أم النعام الربد
واجدة بالبرّ أي وجد
أيام تغذى بجنى كالشهد
فهي تعيدُ أنة وتبدي
لولا امتداد الطنب الممتدّ

أضحى بها البحر قريب العهد
فليس تحبوه بصفو الود
لما نضت ملاحف الإفرند
توسّطت سكر صفيح صلد
مطلّة على ركاب الوقد
عاجها شيب فود المرّد
تذكرت طيب ثراه الجعد
ولمع برق وحنين رعد
كما يئن مؤثق في القيّد
لشمرت تشمير ذات الجدّ

فصافحت خدّ الثرى بخدّ⁽²⁾

وفى هذه الأبيات يصف هذه السفينة وهي مصنوعة جديدة لم تدخل البحر بعد ويبين شكلها ولونها وهي تنن من الحبال التي وثقت بها، وصفه للسفن أو

(1) تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم، ج4، ص374.

(2) الديوان، ص163. العربية: سفينة، والإفرند: جوهرة السيف أو علامة، سكر: ما سد به النهر، الربد: الفيرة، الطنب: الحبل.

العربة أو ما يطلق عليها من أسماء مثل زنجية، وغيرها فقد وصفها وذكرها عدة مرات في الديوان، ومن خلال هذا الوصف، يتضح لنا الاهتمام بها من جانب الشاعر وأهل العصر.

وقال عنها أيضاً:

وزنجية عرفت بالإباق فليس لها راحة من وثاق
إذا اضطربت الماء من حولها رأيت الجبال بها فى تلاقى
يثور بها قسطل أبيض على القوم غير كثيف الرواق⁽¹⁾

وكذلك يصفها هنا وقوله في البيت الثاني إشارة واضحة إلى التطور الصناعي ، أي أنها أصبحت عالية وشامخة ودوماً في وصفها دقيق، وصف كل أشكالها وما تصنع به وهو معجب بها.

الدولاب^(*): وهى الساقية

قال فيه:

من سواق على خضراء تحسبها مخضرة البسط سلوا فوقها القضبا
كأن دولابها، إذحن مغترب نأى فحن إلى أوطانه طربا⁽²⁾
وقال عنه أيضاً:

يتخيل الصوت الذي يصدر من حركة الدوران فيها كأنه إنسان يعانى شجن

الغربة

يصف مزملة^(*):

ومُعْطِيَةٌ صَفْوٌ مَا اسْتَوْدَعَتْ مسامحةً عند إعطائها
تُسِرُّ أَنْ دَمَانِهَا هَيْبَةٌ على أنه عبدُ آلائها
فَتَمْنَحُهُ صَفْوً مَكْنُونِهَا وتَكْتُمُهُ جُلَّ أَقْدَانِهَا
وتُحَدِّثُ فِي الْمَاءِ بَرْدَ الشَّمَالِ إذا سُدَّ فَوْهَا عَلَى مَائِهَا

(1) الديوان، ص: 319. (*) الدولاب: آلة يستقى به الماء من أصل فارسي معرب، انظر: لسان

العرب، ابن منظور، مادة د ل اب .

(2) المصدر نفسه، ص 57 .

يُصَوَّبُ فِي طَرْفِ أَنْفَاسِهَا وَيَشْرَبُ مِنْ جُرْحِ أَحْشَائِهَا⁽³⁾
وهي مزملة كريمة بما تعطيه لشاربيها وكأن لسان حالها يقول اشرب
فالماء البارد فيه راحة للبدن.

يصف رحي^(*):

ومَنْزَلِ رَقِّ بِهِ الْهَوَاءِ وَطَابَ لِلشَّرْبِ بِهِ النَّوَاءِ
بِنَيْتَةٍ مَا حَوْلَهَا بِنَاءِ كَمَا أَقِيمَ فِي يَدِ إِنَاءِ
تَرْكُضُ فِيهِ فَرَسٌ دَهْمَاءُ تَكْنُفُهَا عَجَاجَةٌ بَيْضَاءُ
تَجْرِي فَإِنْ أَعْوَزَهَا الْفَضَاءُ مَيَدَانُهَا وَجَسْمُهَا سَوَاءُ⁽¹⁾
يصف هذه الآلة وما يطحن عليها كأنها فرس دهماء ويتناثر ذاك
الأبيض فوقها .

نيران:

حَمَاءٌ لَمْ تَكْذِبْ وَلَمْ تَصْدُقْ لَهَا لِسَانٌ قَطُّ لَمْ يَنْطِقِ
يَفْرُقُهَا الْعَالَمُ لَكِنَّهَا قَطُّ مِنَ الْعَالَمِ لَمْ تَفْرُقْ⁽²⁾

كانون نار:

تَرَى بِهِ الْجَمْرَ إِذَا مَا صَافَا يُشْرِقُ مِثْلَ الذَّهَبِ الْمُشْرِقِ
جَمْرَتُهُ تُشْرِقُ مِنْ عَبْرَتِي وَحَرُّهُ مِنْ قَلْبِي الْمُقْلِقِ
إِذَا بَدَا نَحْوَكَ شَبَّهْتَهُ بِقَهْوَةٍ فِي قَدَحٍ أَزْرَقِ⁽³⁾

(3) المصدر السابق، ص 19. (*) التي يبرد فيها الماء ، انظر: الافصاح في شرح اللغة، حسين يوسف عبد الفتاح السعيد، دار الفكر العربي، ط2، 1929م، ج2، ص 363.

(1) الديوان، ص 19. (*) رحيّ : رحا حجر يطحن به، لسان العرب، ابن منظور، مادة رحيّ.

(2) المصدر نفسه، ص 329.

(3) المصدر السابق، ص 344.

يصف الجمر ولهبه كأنه ذهب يتلألًا. ووصف الكانون من الأشياء الجديدة التي اهتم بها في العصر العباسي.

أيضاً قائلًا فيه:

وأزهرَ وَضَاحٍ يَرُوقُ عِيونَنَا
له أربَعُ تَأبَى السُّرى غيرَ أَنَّهَا
يَقَلُّ جِسْمًا بَعْضُهَا من مُورِدٍ
نَوَاصِلُهُ أَيامَ للقرِّ سَطَوَةٌ
إذا ما رَمِينَاهُ بِلَحْظِ النَّوَظِرِ
تُصَافِحُ وَجَهَ الأَرْضِ مِثْلَ الحَوَافِرِ
وَسَائِرُهَا في مِثْلِ صِبْغِ الدِّيَاجِرِ
ونَهْجُرُهُ أَيامَ لَفْحِ الهَوَاجِرِ (1)

وصف الطعام:

فقد اهتم العباسيون بالطعام وتفننوا في موائده وتقديمه (2).

قال الشاعر يصف حملاً مشويًا:

أُنَعْتُه مُعَصْفَرَ البُرْدَيْنِ
خُلْفَ شَهْرَيْنِ عَلَى الخُلْفَيْنِ
فجسْمُهُ شِبْرَانِ في شِبْرَيْنِ
يَقُولُ عنه ما أَطيبه وهو صَغِيرُ السنِ إِذَا لَحْمُهُ شَهِيًا وَيَواصِلُ وَاصْفًا لَهُ
أَبْيَضَ قَانِي حُمْرَةَ الجَنَبَيْنِ
ثُمَّ رَعَى بَعْدَهُمَا شَهْرَيْنِ
يا حُسْنَهُ وهو صَريعُ الحَيْنِ

:

تَعْرِقُهُ مُرْهَفَةُ الحَدَيْنِ
وَاقِعَةٌ فِيهِ سِيهَامُ العَيْنِ
كَسَارِقِ حُدٍّ من اليَدَيْنِ
يُريكَ مِرَاةً من اللُّجَيْنِ
شَقَّ حِشَاهُ عن شَقِيقَتَيْنِ
بَكَفِّ شَاوٍ عَطِرِ الكَفَّيْنِ
بِـيْنِ ذِرَاعَيْنِ مُفَصَّلَيْنِ
وَطَرَفِ مُسْتَوْقِفِ الطَّرْفَيْنِ
مُذْهَبَةٌ المَقْبِضِ وَالوَجْهَيْنِ
أُخْتَيْنِ فِي القَدِّ شَبِيهَتَيْنِ

(1) الديوان، ص240.

(2) العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص74.

كما قرنت بين كمأتين أو كرتي مسك لطيفتين
إن شين ذو روقين ناجمين فإنه زين بغير شين (1)

ويصفه قائلاً قد فصل تفصيلاً جيداً فصل لحمه عن عظمه كأنه أصبح أمامك في مآدبة، والعيون حوله شاخصة، من خلال هذه الأبيات نلمس حب الشاعر الشديد إلى هذا النوع من الطعام.

قال في دجاجة حماضية:

دجاجة في شبه السمند تليدة وفخرها بالهند
عظيمة الزور بصدر نهد أجريت منها في مجال العقد
مرفهة ذات شبا وحداً لغير ما نحل وغير حقد
بل رغبة فيها شبيهة الزهد ولم تزل بالماء كف العبد
وفصلت أعضاؤها من بعد مع لب أترج كلون الشهد
صب عليها اللوز مثل الزبد وغليت بعد بماء الورد
ثم أتى يسعى بها كالمهدي كأنها قد بخرت بالند (2)

يبين لنا طبخ الدجاج مع الحماض وذكر طريقة الطهي بماء الورد والبهارات الأخرى ليصبح ذا طعم ورائحة طيبة. ومن الطعام إلى المشروب قال واصفاً:

كيزان الفقاع: من المشروبات:

جد لي بها للشرخ من نشابها لم تشرب السن قوى شرابها
فهي خلاف الراح وانتسابها في قدم العمر إلى أحقابها
دخينة والتلج من ترابها خضر جرى الإفرند في أثوابها
فاسودت الأطواق في رقابها تفوح ريا المسك في قرابها (1)

(1) الديوان، ص 445.

(2) الديوان، ص 162.

وصفه لصيد السمك :

وهو معجب بصيد السمك فقد جاء ذكره في الديوان عدة مرات تارة يصف الشبكة وما جلبته من رزق، وتارة يصف الصائد.
يقول

وشاحب اللبسة والأعضاء	أشعث نائي العهد بالرخاء
أفضى به العدم إلى الفضاء	فوجهه للضح والهواء
أعبر يحوي الرزق من غبراء	خفيفة ثقيلة الأرجاء
كأنها هاهلة الرداء	كفها لحظ بنات الماء
بأعين لم تؤت من إغضاء	كثيرة تُربي على الإحصاء ⁽²⁾

يصف الصياد وهو يحمل هذه الشبكة الخفيفة ذات الأعين مصدر رزقه
فقوله شاحب اللبسة وصف جيد للصائد.

وفي موضع آخر يقول واصفاً للشبكة:

يا ربَّ جسمٍ كلُّه نواظرُ	بأمقٍ ليست لها محاجرُ
تستُرُّ عنك الشئ وهو ظاهرُ	محبوبةٌ خلالها الغوادرُ
إذا ارتدتها اللججُ الزواجرُ	وضمَّها مثل المِراةِ مائِرُ
جاءت من الرزق بها جواهرُ	صغائرٌ توُمِضُ أو كبائرُ
كأنها إذا انتحاهَا الناظرُ	مخازنُ الفضةِ أو خناجرُ ⁽³⁾

قال مرة أخرى يصف صائد السمك:

وباكرٍ لغيره ما يُرزقُ	مُثْرٍ به طوراً وطوراً مُخْفِقُ
يغدو وجلبابُ الظلامِ أورقُ	والأفقُ لا جَوْنٌ ولا مُخَلِّقُ

(1) المصدر نفسه، ص76،

الفقاع: شراب من الشعير.

(2) الديوان، ص12.

(3) المصدر نفسه ، ص246.

يُهْلَهُ الصَّنْعَةُ وَهُوَ مُوثَقٌ يَلْحَقُ فِي الْمَاءِ الَّتِي لَا تُلْحَقُ⁽¹⁾
وصف الحمامات:

كان بها قسم بارد — معتدل — حار.

وتغطي الحمامات بقباب منها فتحات زجاجية، ومزينات.

يقال حمامات الشام من أقدم الحمامات، كان يوزع عليها كل جمعة
العطر، والند مسك ليطيب روائحها⁽²⁾.

وقال يصف حمام:

ولمَّا اصْطَحَبْنَا وَالْخُمَارُ يَصُدُّنَا
إِلَى وَسْعِ حَمَامٍ كَأَنَّ سَمَاءَهُ
وَفِي الصَّدْرِ قَيْنَاتٌ وَشُرْبٌ مُدَامَةٌ
عَلَى سَبَجٍ مِنْ أَرْضِيهِ وَجِيُوشِهِ
عَنْ الْكَأْسِ عُجْنَا وَالْغَلَائِلُ تُتَزَعُ
عَقِيقٌ بِجَامَاتِ اللَّجِينِ مُرْصَعٌ
يَلْذُ بِهَا مَرَأَى وَمَا تَمَّ مَسْمَعٌ
قِيَامٌ عَلَى أَرْجَائِهَا وَهِيَ خُشَعٌ
وَعُجْنَا إِلَيْهَا وَالْعَوَاتِقُ هُجَّعٌ⁽³⁾

وقوله إنهم يذهبون إليه باكراً وكأنما تناولوه من خمر ما زال عالق بهم

ومن ثم يصف هذه الحمامات كأن سقفاها مزين بالذهب والفضة.

وقال عنه أيضاً:

وَمَنْزَلٍ يَتَحَامَى أَهْلَهُ الْخَفَرُ
فِيهِ مَعَ النَّاسِ أَشْبَاهٌ لَهُمْ بَعْدَتْ
وَقَمْنَ ذُكُورٍ عُرَاةٍ كَالذُّكُورِ بِهِ
بَدَائِعٌ لَطْفَتْ أَفْكَارُ مُبْدِعِهَا
وَيَفْضُلُ الْبَدْوِ فِي نَعْمَائِهِ الْحَضْرُ
فِي الزَّيِّ عَنْهُمْ إِنْ لَمْ تَبْعُدِ الصُّورُ
وَمِنْ إِنَاثٍ عَلَيْهَا الْوَشْيُ وَالْحَبِيرُ
حَتَّى تَفْجَرَ عَنْ مَاءٍ بِهَا الْحَجَرُ

(1) المصدر السابق، ص 343. الجون: الأسود والأبيض، مخلق: فيه غيوم.

(2) الحضارة العربية الإسلامية، شوقي أبو الخليل، دار الفكر بدمشق، نروية، ط1، 1994م،
ص 578.

(3) الديوان، ص 288.

فكُلُّ نَاحِيَةٍ مِنْ جُذْرِهِ صَنَمٌ وِكلُّ نَاحِيَةٍ مِنْ سَقْفِهِ قَمَرٌ
صَفَتْ عَنِ النَّاسِ فِيهِ نَعْمَةٌ وَصِفَتْ فِكلُّ صَفْوٍ نَعِيمٍ عِنْدَهَا كَدْرٌ⁽¹⁾
وهي موجودة في المدن ويصف أشكالها وما بها من معمار جميل ويحكي
عن النعيم الذي يجده الإنسان فيها

الشمع:

قال فيها:

وبَاكِيَةٍ لِيَأْهَهَا كَلَّه تحَاكي المَصَّابِحَ بِمَصَابِحِهَا
بَصِيرَةٌ لَيْلٍ وَلَكِنَّهَا ضَرِيرَتُهُ عِنْدَ إِصْبَاحِهَا
نَجَزٌ لِإِصْلَاحِهَا رَأْسَهَا فإِفسَادُهَا عِنْدَ إِصْلَاحِهَا⁽²⁾

وقال يصف شمعا أهدى إليه:

جَاءَتْ هَدِيَّتُكَ التِّي هِيَ شَمْسُنَا بَعْدَ الْغِيَابِ
حَلَّيْتُ أَفُقَ مَحَانِنَا مِنْهَا بِنَجْمٍ أَوْ شِهَابِ
بَسَائِلَةَ النَّحْلِ الْكَرِيمِ مِ شَقِيْقَةِ النَّطْفِ الْعِذَابِ
صُفِرَ الْجُسُومِ كَأَنَّمَا صِيغَتْ مِنَ الذَّهَبِ الْمُذَابِ
فَكَأَنَّ مَاءَ الْحُسْنِ إِذْ شَرَقَتْ بِهِ مَاءُ الشَّبَابِ
فَإِذَا ذَكَتْ نِيرَانُهَا لَيْلًا وَجَدَّتْ فِي التَّهَابِ
أَنْسَاكَ طِيْبٌ دُخَانُهَا طِيْبَ الْعَبِيْرِ أَوْ الْمَلَابِ⁽³⁾

شمع جميل اللون كالذهب المذاب وعطرها مثل الزعفران تحترق لكي

تضيء لنا.

(1) المصدر نفسه، ص 239-240.

(2) الديوان، ص 129.

(3) المصدر نفسه، ص 67.

النطق: الماء الصافي، الملب: طيب يشبه الزعفران.

السراج:

قائلاً فيه:

وحيّةٍ في رأسها ذرّةٌ
إن هي غابت فالعمى ظاهرٌ
تسبحُ في بحرٍ قصيرِ المدى
وإن بدت بان طريق الهدى (1)
فهذا السراج له الفضل فأن ظهر اهتدينا الطريق وإن غاب عميت أبصارنا
القلم قال عنه:

أخرسُ يُنبئك بإطراقه
يُذري على قرطاسي دمةً
عن كل ما شئت من الأمرِ
نمت عليه عبرةٌ تجري
كعاشقٍ أخفى هواه وقد
تبصّره في كل أحواله
عُريانَ يكسو الناسَ أو يُعري
أطلق أقواماً من الأسر (2)
وقال يصفه أيضاً:

يذكر سرعته ويشخص صورته كأنه ساجد وراكع:

له قلمٌ تجري النجومُ بجريه
يُديرُ سُعوداً أو نُحوساً وإنه
يُطيعُ له حتمَ القضاء وَيَسْمَعُ
من الفلكِ الدوّارِ في الجوّ أسرعُ
إذا ما امتطى منه ثلاثَ أناملٍ
بدا ساجداً من تحتها وهي رُكعُ (3)
الدفتر: قال فيه:

وأدهمَ يُسفرُ عن ضيدهِ
بعثتُ إليك به أخرساً
كما سَفَرَ اللَّيْلُ إذا ودَّعا
يُنَاجِي العُيونَ بما استودعا
صَمُوتٌ إذا زرَّ جِلبابُه
أريبٌ فإن حَلَّه أمتعاً (4)

(1) الديوان، ص 170.

(2) المصدر نفسه، ص 237.

(3) المصدر نفسه، ص 289.

(4) المصدر السابق، ص 286.

يصف بأنه أدهم لكن يمحو الظلام -أخرس ينيبك ويوضح المعاني -
نجد أن السرى وصفة له رائع لعل عملة ساعده في ذلك

قال يصف محبرة:

ولقد مررتُ على المحدثِ مَرَّةً وإذا ظيَاءُ الأُنسِ تَكْتُبُ كُلَّ مَا
وإذا بحَضْرَتِهِ ظيَاءٌ رُتِعُ يَتَجَادِبُونَ الحَبِرَ من مَلْمُومَةٍ
يُملي وتُثْبِتُ مَا يَقُولُ وتَسْمَعُ من خَالِصِ البُلُورِ غُبْرَ لَوْنِهِ
بِيضَاءَ تَحْمِلُهَا عَلَائِقُ أَرْبَعُ فَكَأَنَّهُ سَبَجٌ يَلُوحُ وَيَلْمَعُ⁽¹⁾

الطرديات

يقال إن خلفاء العباسيين والوزراء أولوا الصيد اهتماماً كبيراً، أنفقوا فيه
أموالاً طائلة لجلب وتربية الباز ، والفهود، والكلاب، وجل ما يستخدم له، ومن
هذا التطور أزهى شعر الطرديات فاهتم الشعراء به ونعتهو نعتاً جميلاً⁽²⁾.

قال السري في الصيد كدأب شعراء عصره لم يخل من طردية أو

طرديات يصف كلاب الصيد:

غدوتُ بها مجنونةً في اغتدائها تُتَلَقِي الوحشُ الحَيْنَ عندَ لِقَائِهَا
لهن شياتٌ كالدَّوِاجِ أصبحتُ مُولَعَةً ظَلَمَؤُهَا بضِيائِهَا
وأيدٍ إذا سَلَّتْ صَوَالِحَ فِضَّةٍ على الوحشِ يوماً، أَذْهَبَتْ بِدِمَائِهَا⁽³⁾
وصف الصيد بالفهد.

وتُبَعَثُ للبرِّ وحشيَّةٌ تسوقُ إلى الوحشِ يوماً عَصِيْباً
مُؤدِّبَةً يُرْتَضَى فَعْلُهَا ولم نرى لَيْثاً سِوَاها أديباً

(1) الديوان، ص285.

(2) العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص486.

(3) الديوان، ص22.

وتُرَكِيَّةُ الْوَجْهِ تُبَدِي لَنَا
تُعَانِقُ إِنْ وَثَبَتْ صَيْدَهَا
طِرَاداً صَحِيحاً وَخُلُقاً صَبِيحاً
فَقَدْ مَلَكَتْ وَدَّ أَرْبَابُهَا
إِخَاءً فَصِيحاً وَوَجْهًا جَلِيلاً
عِنَاقَ الْمَحَبِّ يُلَاقِي حَبِيباً
وَوَثْباً مَلِيحاً وَأَمراً عَجِيباً
فَكُلُّ يَخَافُ عَلَيْهَا شَعُوباً⁽¹⁾
وهي مجلوبة تحمل صفات حسنة، تثب وثنياً صحيحاً فهي محل اهتمام.

وهنا يصف ثلاثة كلاب وجهن لصيد ظباء:

إِذَا مَا دَعَوْنَا لِأَحِقاً وَمُعَانِقاً
فَذَلِكَ يَوْمٌ جَانِبَ السَّعْدِ سِرْبِهِ
كَأَنَّ جُلُودَ الْوَحْشِ بَيْنَ كِلَابِهِ
مُصْنَدَلَةٌ الْقُمْصَانِ شَقَّتْ جُيُوبُهَا
وَقِيدَ لَدَيْنَا وَاثِبٌ وَمُخَالِسٌ
وَقُوبِلَ بِالنَّحْسِ الظُّبَاءِ الْكَوَانِسُ
وَقَدْ دَمِيَّتْ أَجْيَادُهَا وَالْمَعَاطِسُ
وَرُقْرِقٌ فِيهَا الزَّعْفَرَانُ الْعِرَائِسُ⁽²⁾

يطلق عليها أسماء (واثب – ومخالس) وهي مخصصة للصيد، ويصف

هذا اليوم بالسعد لهم مما جلبوه من صيد وبالنحس للغزلان المستترة في بيتها.

يصف الصيد بالكلب أيضاً:

قُمْنَا بِهَا نَهْتِكُ أَسْتَارَ الظُّلْمِ
إِنْ نَامَ غَزْلَانُ الصَّرِيمِ لَمْ تَنَمْ
قَرَعَ النَّوَاقِيسِ إِذَا الصُّبْحُ ابْتَسَمَ
أَبْيَضَ مُسَوِّدَ الْخِلَالِ وَالشَّيْمِ
وَنِعْمَ هُنَّ عَلَى الْوَحْشِ نَقَمٌ
يَقْدُمُنَا إِلَى الْكِنَاسِ الْمُكْتَتَمِ
حَتَّى إِذَا الشَّرْبُ تَرَاءَى مِنْ أُمَّمٍ
صَدَّ فَوَافَى ثُمَّ أَلْقَى لِلسَّلْمِ
وَبَيْنَنَا ذَاتُ ضَجِيحٍ تَخْتَصِمُ
نَقَرَعُهَا بَيْنَ الْوِهَادِ وَالْأَكْمِ
تَوْمٌ مَخْلُوعَ الْعِذَارِ حَيْثُ أُمَّمٌ
لَهُ عَلَى الصَّحْبِ أَيَادٍ وَكَرَمٌ
أَسْرَعُ قَبْلَ الشَّدِّ مِنْ سَيْلِ الْعَرَمِ
مُسَائِلًا عَنْهُ الصَّبَا وَهِيَ تَنَمْ
حَيْرَانٌ قَدْ أَلْبَسَهُ الذَّعْرُ لَمَمٌ
وَضَلَّ نَهْبًا بِالْأَكْفِ مُقْتَسِمِ⁽¹⁾

(1) الديوان، ص73

(2) المصدر نفسه، ص264.

يذهبون إلى الصيد وكان لديهم طسوت (طست) لعلها آلة يقرعونها لإثارة الصيد، وكلبهم يدرك الطبي الكامن فهي مدربة، تجلب لهم الصيد الوافر. وقال يصف الصيد بالبندق⁽²⁾:

منسوبةً إلى الرِّمَّاحِ الذُّبْلِ
وصائباتٌ لم تحِدْ عن مَقْتَلِ
كأنَّها مخروطةٌ من جَنْدَلِ
أو تُدَعِّعُ منها الصَّاعِدَاتُ تَنْزِلِ
قد صُبِغَتْ صِينُ الحَرِيْقِ المُشْعَلِ
تَقَابِلُ الخَطْبَ خِفَافَ المَحْفَلِ
إن يُقْنَصِ الطَّيْرُ بِهَا لا يَعْدِلِ
فهنَّ من هَاوٍ ومِن مُجَدِّلِ⁽³⁾

صيد الطير :

يحلو لهم صيده دق المطر وانتشر النسيم وطابت الدنيا آنذاك يحملون الشوك وما يصيدونه به قائلاً:

فالتَّيْرُ من حرٍّ، دجِيٍّ
وحائِرٍ يَفْرِي السكا
وذي سكونٍ قد قضى،
كذلك الأرزاق من
مَلَكَةٌ ومُسْتَرَقِ
كـيـن، إذا قـيـلَ عـلـق
وخافق فيه رمق
صَفْوٍ حَمِيدٍ وروْنَقِ⁽⁴⁾

(1) الديوان، ص 417.

(2) البندق: شكلها كروي تتكون من الطين يرمى بها الطير، انظر: العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف.

(3) الديوان، ص 359.

(4) المصدر نفسه، ص 263.

وإن صح القول فإن طردياته جاءت في إطار من سبقوه من شعراء عصره مثل أبي نواس وغيرهم، فقد كثر شعرهم في وصف الصيد وأدواته وكان راجعاً لاهتمام الخلفاء به ولأنها تراثيات اهتم بها العرب كثيراً من القدم فالسري جاء شعره حافلاً بوصفها.

إن الشاعر وصف الطبيعة بكل أشكالها : صامته — حية — مصنوعة فجاء وصفه ككتيب أطلعنا فيه على الطبيعة العباسية.

المبحث الثاني المدح

المدح هو الثناء الحسن⁽¹⁾، ويطلق المدح أو المديح في المصطلح الأدبي على ذلك الغرض الشعري الذي يهدف فيه الشاعر إلى إبراز فضائل الممدوح ورفع مكانته وهذه الفضائل، وذكرها قديماً أو حاضراً بينها روابط أساسية يقال: "إن الشعراء منذ أن عرفوا تلك الطبيعة في الإنسان اتخذوها سبباً إلى الأقوياء"⁽²⁾.

ويقال إن المدح: "من أقدم الفنون الأدبية، التي عرفها البدائيون، يوم رفعوا صلواتهم إلى أربابهم وتفننوا بأمجادهم"⁽³⁾.

وهناك رأي يرى أن المدح وسيلة جيدة للدعوة للخير وذكر المحاسن، والفضائل، لما يحدث من نشوة وارتياح في النفس⁽⁴⁾.

وهذا الفن (المدح) من فنون الشعر التي أخذت حظاً أوفر من الرعاية والاهتمام، حيث أن هذا الفن استطاع أن يثبت في الناس التربية الخلقية القويمة، والحث على الفضائل، ومكارم الأخلاق. وإن أصبح وسيلة من وسائل الرزق والتكسب لدى كثير من الشعراء.

يقال: أن العرب قديماً لا تتكسب بالشعر وإنما: "يضع أحدهم ما يصنعه فكاهاة أو مكافأة عن يد لا يستطيع على أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها"⁽⁵⁾.

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة (مدح).

(2) النقد الأدبي، بدوي طبانة، مطبعة مخيمر، بمصر، 1954م، ص 281.

(3) فن المدح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو حاقه، منشورات دار الشرق الجديد، الطبعة الأولى، 1962م، ص 7.

(4) انظر القصيدة المادحة ومقالات أخر، عبد الله الطيب، دار الأصالة الخرطوم، الطبعة الثانية، 2004م، ص 9.

(5) العمدة، ابن رشيق، ج 1، ص 49.

كان المدح يدور حول إطار معين من حيث الموضوع وذكر الصفات الخُفية. أو مقدماته الطللية أو المعروفة سابقاً ولكن توالى تغيرات في الشكل، والمضنون فظهر تخصيص في فن المدح، حيث اهتم الشعراء بالفضائل النفسية لدى الممدوح، ومدح صفاته وما حوله، ففي العصر العباسي وما وصل إليه والبيئة التي عاش فيها الشاعر السري الرفاء. كل ذلك دفع شاعرنا أن يتناول في شعره هذا الفن.

فقد مزج بين القديم والجديد وصار مذهباً سائداً، تفرد بإضافة الكثير. إذن ساد هذا المذهب. حيث وجود الحمية العربية التي رسخت في نفوس الناس، من خلفاء وأمراء، ووزراء، وعامة الناس فهزت مشاعرهم، بذلك حرصوا على الشعر والشعراء، وكان لخلفاء بني العباس دور بارز في هذا المجال. يقال: "ظهر خلفاء بنو العباس، وحافظوا على لغة القرآن الكريم، وشجعوا العلماء على مدارستها، ووضع أخبارها، وأنسابها، وكان حظهم في الوظيفة التفوق فيها، بذلك أصبح اللغويون سدنة الشعر في هذا العصر وحراسه"⁽¹⁾.

هؤلاء هم أمراء الدولة الحمدانية التي قال فيهم ابنهم:
ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصّدر دون العالمين أو القبر⁽²⁾
أما قول السري الرفاء فيهم، فكان جل شعره حولهم ولعل ما أدرج عنهم من القول أو لتحقيق ما في نفس الشاعر، جعل نظمة فيهم قائلاً:
هم زَيْنُوا أُخْرِيَاتِ الدَّهْرِ مَكْرُمَةً وَقَبْلُ زَيْنَتْ بِهِمْ أَيَّامُهُ الْأَوَّلُ⁽³⁾
والحديث عن المدح عند شعراء العرب، في ظل القديم والجديد، والإبداع في اللفظ، وجزالته. من خلال مدح الشاعر الرفاء، فقد ظل له إبداعات يظهر لنا فيها نبوغه. أي أن شعره لوحة أحكمت قصائدها، بمقدماتها،

(1) انظر العصر العباس الأول: شوقي ضيف، ص139.

(2) ديوان أبو فراس الحمداني، دار الكتاب، بيروت، ص127.

(3) الديوان، ص353.

وخواتمها، ووحدة موضوع، ووصف بارع بألوان جديدة، فسجلت لنا ما دار في العصر وإمارة الحمدانيين وخاصة قائدهم الأول (سيف الدولة) فهو يراه، حامي الثغور ليث يصول، كريم، عطاء.

يقول فيه:

هو الليثُ الذي إن يَحْمِ أرضاً فكلُّ فجاجٍ تلك الأرضِ غابٌ⁽¹⁾

وقال:

حَمَيْتَ يا صارمَ الإسلامِ حوزتَه بصارمِ الحدِّ حتى عَزَّ جانبُه⁽²⁾

وهنا مدحه للأمير تتجلى فيه النزعة الدينية.

ويطول مدحه للأمير سيف الدولة، ويردد ذلك النصر حقه الأمير ضد الروم فإن هذا الوصف لتلك المعارك وللوقائع الحربية، حيث تكاد قصائده لا تخلو من ذكرها.

قال:

في كلِّ عامٍ غزوةٌ يقضي بها أوفى فسدَّ شعابهم بعمرمرم كالطودِ لا تتثيه عن متمنِّعٍ تزجى المنونَ جياده مخزومة حتى تفسحَ في مجالسِ قيصرٍ اللهُ جردَ من عليٍّ سيفه

أربَ القنا وينالُ من آرابه يغشى الفضاءَ الرَّحْبَ سيلُ عبابه حتى يَدُقَّ رقابَه برقابِه بالحزمِ أو يُحْدَى الردى بركابِه متحكماً في تاجِه ونهابِه فحَمَى وذَبَّ عن الهدى بذبابِه⁽³⁾

مرة أخرى يمدح سيف الدولة ويذكر بعض وقائعه لعليا.

قائلاً:

هي الصَّوارمُ والخطيئةُ الذُّبُلُ والحربُ كاشرةٌ أنيابها عُصْلُ

(1) الديوان، ص 29.

(2) المصدر نفسه، ص 31.

(3) المصدر السابق، ص 37.

واللَّيْثُ أَصْحَرَ حَتَّى لَا حُصُونَ لَهُ
وَالرُّومُ تَبْدُلُ مَا رَامَتْ أَسِنَّتَهُ
منه الكتائبُ والرَّايَاتُ مُوفِيَةٌ
على الخليجِ ومنه الكُتُبُ والرُّسُلُ⁽¹⁾

فهنا السري الرفاء يذكر غزوات الأمير كأنه يتأهب للحرب دائماً، فهو شجاع لا يخاف. وخيوله مدرعة لا تخشى، وسيفه مسلولاً وهو يصحر في هذا الصحراء وراياته مشرعة لا يصدده شيء.

ويردد الشاعر السرى الرفاء نشوة هذا النجاح للأمير الحمداني، وارتياح الشاعر لوصف هذه المعارك فجاءت في لوحة جميلة ففي قصيدة التي يمدحه بها ويذكر مواقفه ضد الروم أيضاً.

قائلاً :

وقَائِعٌ مِثْلُ مَا بَدَأَتْ تَعُودُ
وفتِيانٌ تَقِيَّتَهُمْ دُرُوعٌ
وتعريين أسفار الأعادي
وأيامٌ على الإسلامِ بِيضٌ
وخيلٌ ما تُحَطُّ لَهَا لُبُودُ
مُضَاعَفَةٌ وَصَابِرُهُمْ عَتِيدُ
تمائمُه إذا ارتعاع الحديدُ(أ)
وهنَّ على العِدا حُمْرٌ وَسُودُ

إلى قوله:

فيومَ الحربِ تُطْرِبُكَ المذاكي
تحاسدَتِ الملوكُ فليسَ تَخْبُو
وأنتَ الدَّهْرُ إنعاماً وبؤساً
وما للدَّهْرِ نَعْلَمُهُ حَسُودُ⁽²⁾
ويومَ السَّلمِ يُطْرِبُكَ النَّشِيدُ
ضَغائِنُها ولا تَفْنَى الحُقُودُ

وهنا صورته الجيش وقوة، مدرعاً، وأيام على الإسلام بنصرها بيض، وهي على الأعداء مظلمة، وصاحب هذا النصر حسدته الملوك لما ظفر به.

(1) الديوان، ص: 350، البيت الثالث فيه تحريف بمبهم

(2) المصدر نفسه، ص 131.

وهذه القصائد جاءت بمثابة جريدة في عصرنا هذا سجلت لنا قيماً تاريخية بجانب القيم الأدبية، وتعد مظهراً من المظاهر التي ارتبطت بالمدح العباسي فصارت لونا سياسياً⁽¹⁾.

وهذه القصائد أيضاً جاءت في قالب الذي اختاره الشاعر في لفظ موسيقي، وإيقاع بالحروف، واختياره لهذا اللون مثل الذين سبقوه من الشعراء، مثل (البحثري – أبو تمام – أبو الطيب) وغيرهم، تكاد صور المدح تتقارب عندهم مع اختلاف في المعاني والألفاظ.

يقول أبو تمام مادحاً أبا سعيد الثغري^(*):

فِي كُماةٍ يُكسَوْنَ نَسَجَ السَّلَوقِيِّ وَتَغْدُو بِهِم كِلابُ سَلُوقِ
يَتَساقُونَ فِي الوَعى كَأَسَ مَوْتِ وَهِيَ مَوْصُولَةٌ بِكَأَسِ رَحِيقِ
وَطَبَّتْ هَامَةَ الضَّواحِي إِلى أَنَّ أَخَذَتْ حَقَّها مِنَ القِيدوقِ⁽²⁾

ويقول البحثري فيه :

فَزَعُوا بِإِسْمِكَ الصَّبِيِّ فَعادَتِ حَرَكاتُ البُكاءِ مِنْهُ سُكوناً⁽³⁾

ويقول المتنبي^(*) في سيف الدولة واصفاً له بالذكاء، العقل، والفضل:
أُحِبُّكَ يا شَمسَ الزَمانِ وَبَدْرَهُ وَإِنِ لَأَمَنِي فِيكَ السُّهُى وَالْفَراقِدُ

(1) حركة التجديد في الشعر العباس، محمد عبد العزيز الموافي، دار غريب بالقاهرة، الطبعة السادسة، ص 207.

(2) ديوان ابي تمام ، شرح التبريزي ، دار المعارف بمصر، 1964م.
(*) أبا سعيد الثغري: هو أبو سعيد محمد الثغري، وكان عامل للعباسيين على أرمينية، وسائر الثغور الروم في شمال سوريا، إن أبا سعيد عرف عند الروم حتى باتت نساء الروم يخوفن به الصغر من أبنائهم.

(3) ديوان البحثري، تحقيق: حسن كامل ، دار المعارف بمصر، ط3، ج3، :
القيدوق – مدينة رومية

وَذَاكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ
ويقول السري الرفاء:

تَقَيَّلْتَ عَبْدَ اللَّهِ فِي الْبَأْسِ وَالنَّدَى
وَأَنْتَ رَفَعْتَ الشَّعْرَ بَعْدَ انْخِفَاضِهِ
وذكر قائلاً فيه:

رِيَاضٌ كَلِمَا سُقِيَتْ سَحَاباً
رَحِيبُ الصَّدْرِ يُنْزِلُ أَمْلِيهِ
ودوماً يمدحه حينما يذكر كرمه، وسماحته ويشبهه بالغيث، ويشبهه بالبرق
والسحاب، والربيع.

أيضاً قال:

كَأَنَّ الْأَمِيرَ أَعَارَ الرُّبَا
هُوَ الْغَيْثُ تَغْنَى بِهِ بِلْدَةٌ
شَمَائِلُهُ فَاشْتَمَلْنَ الْمُعَارَا
وَأُخْرَى تَحِنُّ إِلَيْهِ افْتِقَاراً⁽⁵⁾

وقال في آخر يمدح أميره في رحلة من رحلاته:

أَنْتَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ إِنْ شَاءَ النَّرَى
لِلَّهِ هِمَّتُكَ الَّتِي رَجَعَتْ بِهَا
وَرِيَاحُكَ اللَّاتِي تَهْبُ جَنَائِباً
وَتَزَحَّلُ الْأَنْوَاءُ سَرّاً قُدُوماً
هِمُّ الْمُلُوكِ الصَّاعِدَاتُ هُمُوماً
وَلرَبِّمَا أَجْرِيْتَهُنَّ سَمُوماً⁽¹⁾

(*المتنبي - هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الله بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي. ابو الطيب - الشاعر الحكيم . ولد بالكوفة سنة 303هـ في محلة تسمى كنده، وتوفى سنة 354هـ من آثاره ديوان شعر، : معاهد التصييص شرح شواهد التلخيص الشيخ عبد الرحيم أحمد العباسي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، 1317هـ، 1947م، ج1/27.

(1) ديوان المتنبي، تحقيق يحيى الشافعي، ص280.

(2) الشعرى: كوكب.

(3) الديوان، ص8.

(4) المصدر نفسه، ص26.

(5) المصدر السابق، ص182.

والشاعر الرفاء عاش متأثراً بشعراء الشام، فكان اختياره للبديع، وأنواع الزخرف من تكرار يكسب شعرهم جمالاً، يقال: "إن شعراء عرب الشام وما يقاربها، كانوا أشعر من شعراء عرب العراق". والسبب قربهم من أهل الحجاز وبعد هم عن العجم، وقربهم من ملوك بني حمدان⁽²⁾.
 وأن أهل الشام تفتنوا في البديع⁽³⁾، وهذا النوع من ألوان البديع استحسنته المحدثون⁽⁴⁾.

ففي الأبيات مادحاً بها أحد أمراء الحمدانيين قائلاً:

صُدُّوكَ عَلمَ النَّوْمِ الصُّدُودَا وَجَدَدَ لِلهَوَى عَهْدًا جَدِيدَا

إلى قوله:

حَيًّا يَزِدَادُ مِنْه الرِّوَضُ حُسْنًا إِذَا مَا ازْدَادَ بَارِقُهُ وَقُودَا
 فكم صَعَدْنَ من أنفاسِ صَبِّ فَأرَوَى من مَدَامِعِهِ الصَّعِيدَا
 تَلَقَّى الدَّهْرُ آمَالِي بِنُجُجٍ وَعَادَ نَمِيمٌ أَيَامِي حَمِيدَا
 وَقَالَ أَلَا إِلَى جُودِ ابْنِ فَهْدٍ فَرُحْتُ مِنَ اللَّيَالِي مُسْتَزِيدَا
 فَتَى يُمَسِّي بِنَائِلِهِ مُفِيدَا وَيَصْبِحُ لِلْمَحَامِدِ مُسْتَفِيدَا
 ربيعُ الجودِ ما ينفكُ بِيدي رَبِيعاً من خلائقِهِ مَجُودَا⁽⁵⁾

وعن أتباع الشاعر السري للذين سبقوه فهو حق مشروع فإن هذه المعاني مشتركة، كما أشار الجاحظ في قوله المشهور المعاني مطروحة في

(1) الديوان، ص418.

(2) اليتيمة، ج، 2، ص33.

(3) الوساطة، القاضي عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل - على بجاوي - مطبعة عيسى الحلبي، ط2، ص34.

(4) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله بن الطيب، الطبعة الثانية، دار جامعة الخرطوم، 1979م، .

(5) الديوان، ص147.

الطريق، وكذلك أكد أبو هلال العسكري: "أن المعاني مشتركة، بين العقلاء، وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ، وتألّفها ونظمها"⁽¹⁾.

ومن خلال شعره " كان بارعاً في الاستنباط وحسن الصياغة، فمثلاً

قوله يمدح الوزير المهلبى:

ملوكٌ إذا الأيامُ دامت رماحهم
حسبتهم الأيامَ صدراً ومكبا
يُنازعهم فضل النَّجَابَةِ معشرٌ
ولولاهم لم يَعْرِفِ الناسَ مُنحيا
وَهَجْرٌ تردُّ الخيلُ رَأْدَ ضحائه⁽²⁾
بأرهاجها قطعاً من الليل غيها⁽³⁾

فالببيت الثالث يطابق معنى البحترى في قوله:

أقولُ لِرِكَبٍ مُعْتَقِينَ تَدَرَّعُوا
على عَجَلٍ قِطْعاً مِنَ اللَّيْلِ غِيها⁽⁴⁾
وقال السري الرفاء:

قمرٌ إذا ما الوشيُّ صِينَ أذالَه
كيما يَصُونُ بهاءَه ببهاءِه⁽⁵⁾
وقول المتنبى:

لِيسِنِ الوشيِّ لا مُتَجَمَّلاتٍ
ولكن كي يَصُنُّ بهِ الجَمالِ⁽⁶⁾

مما تغنى به الشعراء جمال المحيا، والوجه، وصفات الجسمانية أرادوا بها تأكيد فضائل الممدوح، وفضائل معنوية ينفذون من خلالها إلى قلوب الناس، مثل الهيبة، والسيادة، فالسري الرفاء من الذين نهجوا هذا الطريق إن كان لنيل العطايا، أو حباً حقيقياً أو حركت في نفس الشاعر هوى: فإن هذا

(1) الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية 1989م

(2) رَأْدَ ضحائه، وقت ارتفاع الشمس والأهارج ما أكثر من غبار.

(3) الديوان، ص 42.

(4) ديوان البحترى.

(5) الديوان، ص 10.

(6) ديوان المتنبى. تحقيق احمد بن الحسين - دار البابى الحلبي - ط 2

أو ذاك خرجت المعاني في لوحة جميلة، ونضرب مثلاً لهذا في قوله وهو يمدح سيف الدولة فيذكر وفد المصيصة^(*).

قائلاً:

أغرَّتْكَ الشَّهَابُ أَمِ النَّهَارُ وراحتُكَ السَّحَابُ أَمِ الْبِحَارُ
خُلِقْتَ مَنِيَّةً وَمُنَى فَأُضِحْتَ تَمُورُ بِكَ الْبَسِيطَةُ أَوْ تُمَارُ⁽¹⁾

وقال له:

مَلِكٌ إِذَا لَاحَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ في الغربِ خِلْنَا الغربَ منه مَشْرِقًا
ومثل آخر بقوله للأمير أبي الفضل من بني حمدان:

ملكٌ ما انتضى المهند إلا خيلَ بدرًا يسطو بحدَّ شهابِ
خيمه في مواطنِ الحلمِ كهلٌ ونَدَاهُ فِي عُنْفوانِ الشَّبابِ
راتعٌ في رياضِ حمدٍ أناسٍ رتَعوا منه في رياضِ ثوابِ
قمرٌ أطلعتَه أقمارُ ليلٍ أسَدٌ أنجبتَه آسادُ غابِ⁽²⁾

واختياره للألفاظ ومعاني متشابهة في مدح أمراء بني حمدان فهم ملوك، كرام، ويصفهم بأنهم أسود، وأقمار وهذه الصفات تحرك في آذان سامعيها من ممدوح وغيره أشجاناً ورثها العربي من قديم. فإذن السري كان موقفاً في مدحهم واختيار ما يناسب مدح الأمراء.

وقوله:

ملوكٌ ذلَّتْ بهمُ رِقَابٌ كما عزَّتْ بعزِّهمُ رِقَابُ
عذابُ القولِ إن قالوا أصابوا غِزارُ الجودِ إن جادوا أطابوا
إذا نزلوا فأقمارٌ بليلى وإن ركبوا فآسادٌ غضابُ

(*) المصيصة: مدينة على الشاطئ من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم. انظر: معجم البلدان ،

الحموى ، ط2، بيروت: دار صادر 2007م، ج5، ص 144.

(1) الديوان، ص180.

(2) المصدر نفسه، ص47.

هو الحسبُ الذي لا ريبَ فيه وهل في الصُّبحِ ما وضَحَ ارتيابُ(1)

ومدحه: أحدُ أمراءِ بني حمدان، بعد مقدمه طويلاً إلى قوله:

وإذا الدَّهْرُ رماناً صَرَفُهُ فبِعَمَّارِ بنِ نَصْرٍ ننتَصِرُ
يا أميراً خضعَ الدَّهْرُ له فغداً يفعلُ طُراً ما أمرُ
وإذا الجَدْبُ عراً كان حياً وإذا الخَطْبُ دَجَى كان قَمَرُ(2)

واتجه بمدحه في شعره لخير بني حمدان ومن هؤلاء الوزير المهلبي:

أحوالُ مجدِكَ في العُلُوِّ سَوَاءٌ يومٌ أغرُّ وشيمةٌ غرَّاءُ
قائلاً:

أصبحتَ أعلى الناسِ قِمَّةً سُودِدُ والناسُ بعدَكَ كلُّهمُ أكفَاءُ
أيمينُكَ البحرُ الخضمُّ إذا طمتُ أمواجُهُ أم صدركَ الدَّهْناءُ
أذكرتُنا شيمَ اللَّيالي في الندى والبأسِ إذ هي شِدَّةٌ ورخاءُ
نسبُ أضاءَ عَمودُهُ في رِفْعَةٍ كالصُّبحِ فيه ترفُّعٌ وضياءُ
وشمائلُ شَهْدِ العدوِّ بفضْلِها والفضلُ ما شَهَدَتْ به الأعداءُ
وإذا عَبَسَتْ فَصارِمٌ ومَنِيَّةٌ وإذا ابْتَسَمَتْ فمَوْعِدٌ وَعَطَاءُ(3)

ومدحه للوزير المهلبي لم يكن بغزارة مدح الحمدانيين، ولكن عندما

أغلق عليه باب الحمدانيين اتجه لباب آخر، لنيل العطايا وتحسين حاله، وهذا كان معروفاً لدى شعراء العرب، وفي العصر العباسي قيل: "وفي عهد بني العباس لم يمت شعر المديح، بل ظل ينمو باطراد، ولكن الصبغة التي سيطرت عليه هي صبغة التكسب"(4).

(1) الديوان، ص30.

(2) المصدر نفسه، ص 199.

(3) المصدر نفسه، ص16. الدهاء - الفلاة.

(4) فن المدح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو حافة، دار الشروق، القاهرة، ، 1962م، ط1، ص200.

وفي بعض الأحيان يكون الرفاء مادحاً لغير الأمراء وأصحاب الهبات،
إذن هناك علاقات تجمعها من غير الذي سبق، حباً فيهم أو جمعهم البيئـة
البسيطة والحياة التي عاشها معهم، فهذا هو ذا يمدح أصحاب المهن. كالمزين
الذي قال فيه:

لله حَسَّانٌ فَتَى مُعْرِقاً في حَذِّقَه وَاِبْنُ فَتَى مُعْرِقِ
يَفْتَأُكَ بِالْمَرْءِ شَفِيقاً بِهِ أَعْجَبُ بِهِ مِنْ فَاتِكِ مُشْفِقِ
لَهُ حُسَامٌ مُطَلَقٌ حَادَهُ يَدْمَى وَطَوْرًا لَيْسَ بِالْمُطَلَقِ
إِذَا كَسَا الْوَجْهَ بِهِ رَوْنَقاً عَادَ إِلَى سِنِّ لَه ضَيِّقِ (1)

ومخاطباً صديقاً له:

فَلَقَدْ أَطْلَقْتَ يَمِينُكَ جُوداً كَانَ مِنْ قَبْلُ مُوثِقاً بُوْثَاقِ
إِنْ دَاراً تَضَخَّمَ أَخْلَاقُكَ الْفِرَّ لِدَارِ الْجِنَانِ غَيْرَ اخْتِلَافِ (2)

فهنا مدح بلا زخرف للكلمات، ولكن مرآة تعكس ما في نفس الشاعر
وصدق مشاعره نحو هؤلاء الأشخاص.

وأيضاً مدح أحد القضاة قائلاً:

وَقَدْ وَضَحْتَ سَطُورُ الْبَيْضِ فِيهِ كَمَا وَضَحْتَ سَطُورُ فِي كِتَابِ
مَنَاقِبُ تَمَلُّ الْحُسَّادَ غَيْظاً وَتُعْنِي الطَّالِبِينَ عَنِ الطُّلَابِ
وَحُكْمٌ يَفْرِقُ الْأَعْدَاءَ مِنْهُ كَأَنَّكَ فِيهِ فَارُوقُ (3) الصَّحَابِي
يَوْدُكَ فِيهِ مَنْ تَقْضِي عَلَيْهِ لَشَافِي الْحُكْمِ أَوْ كَافِي الصَّوَابِ
إِلَيْكَ زَفَفْتُهَا عِذَاءَ تَأْوِي حِجَابِ الْقَلْبِ لَا حُجْبَ النَّقَابِ
أَذْبَتُ لِصَوِّغِهَا ذَهَبَ الْقَوَافِي فَأَدَّتْ رَوْنِقَ الذَّهَبِ الْمُذَابِ
تَهَادَاهَا الْمُلُوكُ كَمَا تَهَادَتْ أَكْفُ الْبَيْضِ مِنْظُومَ السَّخَابِ (1)

(1) الديوان، ص 328.

(2) المصدر نفسه، ص 337.

(3) المراد الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب.

تروقك وهي ناجمة المعاني كما راقتك ناجمة الحباب⁽²⁾
وقوله في طبيب يدعى إبراهيم يتحدث عن براعته يصف ذلك الطبيب كأنه
ورث هذا العلم فهو مصلح لما أفسده المرض في جسمه:
قائلا:

بَرَزَ إِبرَاهِيمُ فِي عِلْمِهِ فَرَاخَ يُدْعَى وَارِثَ الْعِلْمِ
أَوْضَحَ نَهْجَ الطَّبِّ فِي مَعْشَرٍ مَا زَالَ فِيهِمْ دَارِسَ الرَّسْمِ
كَأَنَّهُ مِنْ لُطْفِ أَفْكَارِهِ يَجُولُ بَيْنَ الدَّمِّ وَاللَّحْمِ
لَوْ غَضِبَتْ رُوحٌ عَلَى جِسْمِهَا أَصْلَحَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجِسْمِ⁽³⁾

ومدح آل البيت الكرام سلام الله عليهم.

فهذه القصيدة فقد بدأها بالخمرة، فبدأت بالكؤوس والقوام. وهذا موجود
عند من سبقوه.. الخ.

يقول فيها:

نَطَوِي اللَّيَالِي عِلْمًا أَنْ سَتَطْوِينَا فَشَعَشَعِيهَا بِمَاءِ الْمُزْنِ وَاسْقِينَا
إِلَى قَوْلِهِ:

وَالسَّابِقُونَ إِلَى الْخَيْرَاتِ يَنْجُدُهُمْ عِتْقُ النَّجَارِ إِذَا كَلَّ الْمُجَارُونَ
قَوْمٌ نُصَلِّي عَلَيْهِمْ حِينَ نَذْكُرُهُمْ حُبْنَا، وَنَلْعَنُ أَقْوَامًا مَلَاعِينَا
إِذَا عَدَدْنَا قُرَيْشًا فِي أَبَاطِحِهَا كَانُوا الذَّوَائِبَ مِنْهَا وَالْعَرَانِينَا
أَغْنَتْهُمْ عَن صِفَاتِ الْمَادِحِينَ لَهُمْ مَدَائِحُ اللَّهِ فِي طَهِّهِ وَيَاسِينَا⁽⁴⁾

هنا جاءت كلماته واضحة المعاني ومعروفة لدى كل مسلم .

وفي قصيدة مدح فيها أبا أحمد طاهر الهاشمي من الحمدانيين

على غير عتب ما طويت عتابها وآثرت من بعد الوصال احتسابها

(1) السخاب، قده من قرنفل ليس فيها لؤلؤ.

(2) الديوان، ص 56 – 57.

(3) المصدر نفسه، ص 426-427.

(4) الديوان، ص 454.

وقفنا فظلَّ الشوق يسأل دارها
فلا برحت رِيحُ الجنوبِ حَفِيَّةَ
إلى قوله:

يَعُدُّ الجِبَالَ من قريشٍ أبوَّةً
إذا انتسبتُ بينَ الخلائقِ ألحقتُ
وإن حملتُ سُمُرَ الرِّمَّاحِ لمشهدٍ
وسالتُ بهم تلكَ البِطَّاحِ كأنما
بهم عرَفتُ زُرُقُ الأسننةِ رِيَّها
أبا أحمدٍ أصبحتُ شمسَ مكارمِ
أبوك الذي سقى الحجيجَ ولم يزل

وتُجعلُ أسرابُ الدموعِ جوابها
تُحصيُّ بِالطَّافِ السحابِ جناها

إذا عدَّ ذو فخرٍ سِواها هضابها
أو اصرها بالمُصطفيِ وانتسابها
رأيتُ أسودَ الغابِ تحمِلُ غابها
أسالوا عليها بالحديدِ سَرابها
كما عرَفتُ بيضُ السيفِ خضابها
تضيءُ، ومصباحِ العلى وشهابها
بمكة يروي ركبها وركابها(1)

الرفاء لم يقف عند مدح ممدوحيه فقد كان معجباً بتجربته الشعرية ، فقد
ظل يرد في كثير من شعره.

قال:

ولي من الأدبِ المحمودِ أثره
وتارة يراه مسكاً وكافوراً.
يقول:

يُنمى إليه وأعرافُ تناسبه(2)

لَطَائِمُ المِسْكِ والكافورِ فائحةً
وكل مُسعرةِ الألفاظِ تحسبها

منه ومُنْتَخَبُ الهنديِّ والغارِ
صفحة بين إشراقِ وإسفار(3)

وفي مواضع أخرى يقول عنه:
ولقد حميتُ الشُّعْرَ وهو لمعشرٍ

ريمٍ سوى الأسماءِ والألقابِ(4)

(1) المصدر نفسه ، ص 93-95.

(2) المصدر السابق، ص 51.

(3) الديوان، ص 194.

(4) المصدر نفسه، ص 280.

وحديثه عن تجربته الشعرية جميلة صقلها الزمن فخرجت مصقولة،
كالتمر أثمر بأطاييه قائلاً:

أَبْعَدَ مَا أَنهَدَّ عُمْرِي فِي مَحَاسِنِهِ حَتَّى وَهَى بِحُلُولِ الشَّيْبِ جَانِبُهُ
وَرَقْرَقَ الطَّبْعُ فِيهِ مَاءَ رَوْنَقِهِ فَجَاءَ كَمَا لَوْ شِئْءٌ مَصْقُولًا سَبَائِبُهُ
وَكَانَ كَالْتَّمَرِ اسْتَقْصَيْتُ غَايَتَهُ خُبْرًا فَمَا يَبْدِي إِلَّا أَطَايِيَهُ
ضَرَبَ مِنَ السَّحَرِ أَجْلُوهُ عَلَى نَفْرِ سَيِّانَ قَائِلِهِ فِيهِمْ وَجَالِبُهُ (1)

وفي قوله وهو يمدح أحد الملوك قائلاً:

أَلْحَقْتَ بِي فِي الشَّعْرِ خِذْنِي لُكْنَةً (2) بَكَرًا وَرَاحًا فِي الْبِلَادَةِ تَوَامًا
وَأَنَا الَّذِي دَبَجْتُ لَمَّا تَبَجَا (3) وَعُرِفْتُ بِالْإِفْصَاحِ لَمَّا اسْتَعْجَمَا (4)
أَثْرِبْتُ فِي الشَّرَفِ الْقَدِيمِ وَأَعْدَمَا وَنَطَقْتُ بِالْمَدْحِ الرَّصِينِ وَأَفْحَمَا
وَاحِيَانًا يُوْجِةَ حَدِيثَةٍ لِلْأَمْرَاءِ

كان لها حظ وافر في ديوانه فضرب لها مثلاً في قوله قائلاً:

أَكْفُ تُغْلِبُ أَنْوَاءَ الْحَيَا الْجَارِي وَنَارُ بِأَسِيهِمْ أُنْكَى مِنَ النَّارِ
إِلَى قَوْلِهِ:

وَالْحَمْدُ حَلِيُّ بَنِي حَمْدَانَ تَعْرِفُهُ وَالْحَقُّ أَبْلَجُ لَا يَلْقَى بِإِنْكَارِ (5)
وَشَكَا حَالَهُ الَّتِي سَاءَتْ وَنَاشِدَ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْرَاءِ وَأَصْحَابِ الْعَطَاءِ، عَنِ
زَمَانِهِ وَأَصَابِهِ.

قال في الأمير بن سعيد بن حمدان وكان يجري عليه جارياً فقطعه:

(1) المصدر السابق، ص 91.

(2) لكنة، بمعنى عجمة في اللسان.

(3) ثبج الكلام، لم يأت به على الوجه الصحيح.

(4) الديوان، ص 432.

(5) الديوان، ص 194.

هَذَا وَلِيَّكَ قَدْ كَسَا هُ الدَّهْرُ ثَوْبَ عَفَائِهِ
فَاصْرِفْ صُرُوفَ زَمَانِهِ وَالْبَسْ جَدِيدَ ثَنَائِهِ (1)

هنا صرخة واضحة، عن ضيق حاله وشدة حوجته.

والحديث عن قصائده المدحية فقد قلد، وجدد، وجاءت في قصائده مقدمات ومن ثم الولوج إلى لب الموضوع، وأحياناً بلا مقدمات، وخواتم مقفولة وأحياناً مطلقاً، وإن قيلت من أجل التكسب فهي تمتاز بأصالتها وفنها البديع.

(1) المصدر نفسه، ص 23.

المبحث الثالث الغزل

الغزل حديث الفتيان ،واللهو مع الفتيات وهو من أبرز الموضوعات التي لقيت عناية كبيرة مما يتعلق بالنفس البشرية⁽¹⁾، و الغزل قريب من النفوس، متعلق بالقلوب، قد جعل الله في تركيب عبادته محبة له وألف للنساء، فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً به، ضارباً فيه بسهم⁽²⁾.

والشعراء لهم باع كبير في هذه الساحة، فقد سجلوا عواطفهم وخواطرهم، ومحاسن المرأة، وسحرها، وما يقال في الشوق والحنين، والصد والهجران.

والغزل في العصر العباسي بكل أنواعه عذري وحسي وفاحش فقد فاض، وأخذ صور غير معروفة من قبل، حيث هيأت لهم دنياهم الجديدة الكثير. ولم يخرج الرفاء عن هذه الدائرة، فسلك طريقهم. فحديثه عن البين والصدود، وانسكاب الدموع وهو يصفها بالبدر المنير، والغصن الرطيب، اللحظ المमित، قائلاً :

يُعَنِّفْنِي أَنْ أَطَلَّتْ النَّحْيَا	وَأَسْكَبُ لِلْبَيْنِ دَمْعاً سَكُوبَا
وَأَدْنَى الْمُحَبِّينَ مِنْ نَحْبِهِ	مُحِبُّ بَكِي يَوْمَ بَيْنَ حَبِيْبَا
دَعَا دَمْعَهُ وَدَعَتْ دَمْعَهَا	فَبَلَّلَ مِنْهَا وَمِنْهُ الْجُيُوبَا
فَتَاةٌ رَمَتْهُ بِسَهْمِ الْجَفُونِ	وَمَدَّتْ إِلَيْهِ بَنَاناً خَضِيْبَا
فَعَايِنَ مِنْهُمْ غَزَالاً رَبِيْباً	وَبَدراً مُنِيرًا وَغُصْنًا رَطِيْبَا
وَعَهْدِي بِهَا لَا تُدِيمُ الصَّدُودَ	وَلَا تَتَجَنَّى عَلَيَّ الذُّنُوبَا ⁽³⁾

يقول: زدني أيها اللاحي، وفؤاد مشغول بذات البياض والخذ الوردية:

(1) انظر. لسان العرب: ابن منظور، مادة، (غزل).

(2) انظر: الشعر والشعراء ابن قتيبة، تحقيق احمد محمد شاکر، دار المعارف، ج1، ص28.

(3) الديوان، ص79.

زِدْنِي مِنَ الْعَدَلِ فِيهَا أَيُّهَا اللَّاحِي
بِيضَاءُ تَنْظُرُ مِنْ طَرْفٍ تُقَلِّبُهُ
مَاءُ النَّعِيمِ عَلَى دِيبَاجِ وَجْنَتِهَا
رَقَّتْ فُلُو مُزِجِ الْمَاءِ الْقَرَّاحُ بِهَا
إِنَّ الْفُؤَادَ إِلَيْهَا جِدُّ مُرْتَاحٍ
مُفَرَّقٌ بَيْنَ أَجْسَامٍ وَأَرْوَاحٍ
يَجُولُ بَيْنَ جَنَى وَرِدِّ وَتَفَّاحٍ
وَالرَّاحُ لَامْتَرَجَتُ بِالْمَاءِ وَالرَّاحُ (1)

فهي مقطوعة جميلة، ذات إيقاع موسيقي، وكلمات رقيقة.

يقول:

قَمْرٌ كَلَّمَا مَنَحْنَاهُ لَحْظًا
هُوَ كَالرَّيْمِ مَا تَلَفَّتَ جِيدًا
أَنَا، إِنْ رَاحَ أَوْ غَدَا لِفِرَاقٍ
أَيُّهَا الْبَرَقُ، إِنْ وَجَدْتَ غَمَامًا
مَنْحَ اللَّحْظِ جُنَّارًا وَوَرْدًا
وَهُوَ كَالْغُصْنِ مَا تَأْوَدَ قَدًّا
فِي رَوَاحٍ مِنَ الْحِمَامِ وَمَعْدِي
فَاسِقٌ نَجْدًا بِهِ وَمَنْ حَلَّ نَجْدًا (2)

يصف هذه كأنها قمر وهي كالريم في جمالها ويصف قوامها بالقصن،
وكعادة شعراء العرب يدعوا لها بالخير إلى موطنها فأنظر إلى قوله فاسق
نجدا ومن بها. في آخر:

صُدُودُكَ عَلَّمَ النَّوْمَ الصُّدُودًا
وَجَدَّدَ لِلْهَوَى عَهْدًا جَدِيدًا
إِلَى قَوْلِهِ:

وَسَاجِي الطَّرْفِ أَلْبَسَهُ التَّصَابِي
أُنَازِعُهُ اللَّحَاطَ فَإِنْ تَصَدَّى
سِخَابًا يُلْبِسُ الْجَزَعَ الْجَايِدَا
لَنَا وَاشِ تَنَازَعْنَا الصُّدُودَا (3)

ويصور هذه العيون الفاترة وتلك اللحظات التي يبادل فيها المحبوبة
بالنظرات ولكن لم يتم مراده وقوله ان ظهر لنا رغبنا الصدود.

وقائلاً: عن محبوبة مهفهفة، حوراء، يسهر الليل من أجلها ولكن حظه

لم يثمر بعد.

(1) الديوان، ص 123.

(2) المصدر نفسه، ص 141.

(3) المصدر السابق، ص 147.

غَضَبَانُ يَنْسَانِي وَأَذْكَرُهُ
وَبِجَوْرِهِ مَا صَارَ مُورِقُهُ
وَكَفَى الْهَوَى لَوْ كَانَ مُكْتَفِيًّا
لَمْ يَقْتَسِمِ فِي الْعَاشِقِينَ أَسَى
فَأَطِيحُ فِي نَفْسٍ أُصْعِدُهُ
وَسَمِيرِ نَجْمٍ لَا بَرَّاحَ لَهُ
وَمَهْفَهْفٍ هَفَّتِ الْعُقُولُ بِهِ
وَيَنَامُ عَنِ أَيْلِي وَأَسْهَرُهُ
حِظِّي وَحِظُّ سَوَايَ مَثْمِرُهُ
مَا رَحْتُ أُضْمِرُهُ وَأُظْهِرُهُ
إِلَّا وَقَسَمِي مِنْهُ أَوْفَرُهُ
وَأَعْوَمُ فِي دَمْعِ أَحَدْرُهُ
وَكَأَنَّمَا مَلَكَ يُسَمِّرُهُ
شَغْفًا تَخَيَّرَهُنَّ أَحْوَرُهُ (1)

ورغم هذا التصوير الرائع للحظات الشوق والهيام وكل ما ينبع تحت هذا الحديث لم نلمس في شعره محبوبة معينة ولهان بها .

وقال: في راهبة وهي تنتنى في مشيتها، ويفوح عطرها وهي تحاط بلبسها المعروف، وذاك الوجه الصبوح، فلولاها لما ذهب إلى ذاك المعبد فهذه الصور تحكي عن صور المجتمع الجديد، وهي قليل ذكرها في الشعر قال فيها شاعرنا:

قَامَتِ تَنْتَى بَيْنَ أَتْرَابِهَا
رَاهِبَةٌ لِلَّهِ فِي نَسْوَةٍ
كَأَنَّهَا إِذْ سَفَرَتْ رَوْضَةً
لَوْلَاكَ لَمْ أَمْشِ إِلَى بَيْعَةٍ
وَفَائِحُ الْعَنْبَرِ مِنْهَا يَفُوحُ
قَدْ أَلْبَسَتْ قُضْبَ اللَّجِينِ الْمُسُوحِ
أَلْبَسَهَا الزَّهْرُ صَبِيحًا مَلِيحِ
وَلَوْ مَشَى حَوْلًا إِلَيَّ الْمَسِيحُ (2)

وتارة يصور فراق المحبوبة، يضرم أحشاءه، وهذه المحبوبة ريم

محمية بحد السيف، وعربية محجوبة بخيامها،:

قائلاً :

مَنْ لِي بَرْدٌ سِوَالْفِ الْأَحْقَابِ
أَتَبَعْتُهَا نَفْسَ الْمَحَبِّ تَضَرَّمَتْ
وَمَارِبٍ أَعَيْتُ عَلَى الطُّلَابِ
أَحْشَاؤُهُ لَتَفَرُّقِ الْأَحْبَابِ

(1) الديوان، ص213.

(2) المصدر نفسه، ص124، المسوح: كساء من الشعر، البيعة: المعبد للنصارى واليهود.

أَتَبَعْتُهَا نَظَرَ الْمَشُوقِ تَجَمَّعَتْ
إِنَّ الظُّبَاءَ حَمَتْ مَرَاتِعَهَا الظُّبَا
مِنْ كُلِّ سَكْرَى اللَّحْظِ أَثْمَرَ غَصْنُهَا
رِيًّا أَخَاضَتْهَا عَلَى ظَمَأِ الْهَوَى

زَفَرَاتُهُ لَتَفَرُّقَ الْأَتْرَابِ
وَرَعَتْ سَوَائِمَهَا اسْوَدَّ الْغَابِ
نُوعَيْنِ مِنْ وَرْدٍ وَمِنْ عُنَابِ
مِنْ وَعَدَهَا الْمَمْطُولِ لَمَعَ سَرَابِ (1)

الغزل في عصر العباس الثاني قد وصل مداه وظهر الغزل الحسي، والفاحش، وغير ما كان معروفاً، فالسري لم يكن له اهتمام كبيره، لم يظهر له في ديوانه غزل فاحش إلا قليل، يقول في استدعاء لصديقه للذهاب للحمام:

قُمْ بِنَا قَبْلَ غُرَّةِ الْإِصْبَاحِ
نَتَمَشَّى إِلَى النَّعِيمِ الَّذِي فِيهِ
بَيْتُ رَيْفٍ تَرُودُ عَيْنُكَ فِيهِ
وَتُلَاقِي الْجِسْمَ فِي خَلْعٍ مِنْ
مِنْ سِرَاوِيلِ سُنْدُسٍ تَمَلَأُ الْعِيَّ
وَإِذَا كَانَ مَيْزَرُ الْكَفَلِ النَّهْـ
فَهَنِيئاً لَكَ الصُّدُورُ وَمَا فِيهِ
وَالخُدُودُ الَّتِي نُفَلَنَ مِنَ الْوَرِ
وَمَجَالُ النَّطَاقِ حِينَ تُجِيلُ الـ
وَإِذَا مَا خَلَا فَحَسْبُكَ مَا فِي
مِنْ قِيَانِ بَرَزْنَ لَيْسَ عَلَى الْأَبِ

وَقِيَامِ السُّقَاةِ بِالْأَقْدَاحِ
هُ صَالِحُ الْأَجْسَادِ وَالْأَرْوَاحِ
بَيْنَ بَيْضِ الطُّلَى وَبَيْضِ الْفِقَاحِ
هُ رِقَاقٌ عَلَى الْجِسْمِ مِلاحِ
نَ بَهَاءٍ وَمِنْ غُلَّالَةِ دَاحِ
دِ عِدْوًا لَطْرَفِكَ الطَّمَّاحِ
هِنَّ مِنْ ظَاهِرِ الْجَمَالِ الْمُبَاحِ
دِ إِلَى عَصْفَرِيَّةِ التُّفَّاحِ
طَرَفَ فِي جَنَّةٍ وَمَجْرَى الْوُشَاحِ
جُدْرِهِ مِنْ غَرَائِبِ الْأَشْبَاحِ
صَارَ فِي نَهَبِ حَبِّهَا مِنْ جُنَاحِ (2)

جاء غزل السري الرفاء غزلاً تقليدياً في مقدمات لقصائد المدح أو غزلاً تقليدياً مقطوعات اعتدنا عليها في الشعر، وكان غزله في الجانب التقليدي أكثر من الحسي الفاحش، ولكن هناك رقة في الأسلوب وعذوبة في الألفاظ وابتكار لموضوعات جديدة.

(1) الديوان، ص88، الظبأ: ظبية وهي حد السيف، السوائح: الماشية والإبل.

(2) المصدر نفسه، ص126.

المبحث الرابع اللهو والمجون

الحديث عن اللهو والمجون في الحياة العباسية حديث مرتبط بما جاء به التغيير الذي حدث للدولة وانفتاحها على أمم أخرى، فظهور اللهو والمجون لم يكن وليد العصر العباسي، فقد عرفته العرب من قبل، ولكن كان يدور حول أفراد. فقد عرف عند الأعشى، وما جاء به أمرؤ القيس وغيرهم وما جاء به الأمير الوليد بن يزيد^(*) الأموي. فتغير الحياة، والانتشار الواسع للعناصر الأجنبية وخاصة الفرس، ساعد على ذلك ووجود الجواري بكثرة ووصولهن إلى قصور الخلفاء والأمراء، وكثرة الرقيق، والدور الأكبر لوجود⁽¹⁾. الأديرة ونلاحظ كيف استطاعت هذه الديارات⁽²⁾: "أن تشيع الفتنة والغواية، والتحلل الخلقي. ومع ذلك ظهور مذاهب تحمل أفكاراً، ومعتقدات أجنبية، مثل مذهب المرجئة الذي يعتمد على العفو"⁽³⁾.

وجود الأديرة هياً كل ألوان المجون واللهو حيث بينتها مساعدة لكل ذلك. ومن هذه الأديرة دير الخوات يقال: "هذا الدير بعكبرا، وهو كثير عامر تسكنه النساء المترهبات، وتحفة البساتين، حسن الموقع، يجتمع فيه النصارى

(*) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الحكم الخليفة أبو العباس الدمشقي الأموي، ولد سنة 90هـ وقيل سنة 92هـ، حج وهو ولي عهد سنة 16 سنة — عاش ست وثلاثين سنة وكان مصرعه في جمادى الآخر سنة 116هـ فتملك سنة وثلاثة أشهر، انظر: سير اعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط7، بيروت: مؤسسة الرسالة 1410هـ — 1990م، ج5، ص 370.

(1) تيارات ثقافية بين العرب والفرس: أحمد الحوفي، دار النهضة، مصر، ص206.

(2) الديارات: أبي الحسن علي بن محمد الشاباشني، تحقيق كوركس عواد، مكتبة المثنى، بغداد، ط2 1996م-ص93

(3) الثقافات الاجنبية، صالح بيلو، ص75

والمسلمون، وهناك ليلة تسمى الماشوش، وهي ليلة يختلي الرجال فيها النساء بالرجال فلا يرد أحد يده عن شيء⁽¹⁾."

ومن هذا اللهو ظهور الغزل بالمذكر وقيل عنه: "غزل لم تعرفه العرب في العصور الماضية بهذه الطريقة"⁽²⁾.

وقيل: أن هذا النوع من الشعر يسمى المجون وأطلق علي شعرائه الشعراء المجان فقد ظهر في العصر العباسي وشاع أمره⁽³⁾.

ويقول أبو نواس في غلام:

بِنَفْسِي مَن يُعَدِّبُنِي هَوَاهُ كَذَلِكَ وَلَيْسَ لِي أَمَلٌ سِوَاهُ
يَتِيهِ عَلَى الْعِبَادِ بِحُسْنِ وَجْهِهِ وَشَعْرٍ قَدْ أُطِيلَ عَلَى قَفَاهُ⁽⁴⁾

حقيقة أن شعرهم جاء متحرراً وصور حياتهم بصور شعرية جديدة لم يسبقوا إليها في الشعر العربي.

انظر إلى قول عبد الله بن العباس بن ربيع في غلام يقطن هذه الأديرة قائلاً فيه أنه مطرب لم ترى عين جماله، إذا دنا أسعد، وإذا أقبل أحزن قائلاً:

وَشَادِنٍ مَا رَأَتْ عَيْنِي لَهُ شَبَهًا فِي النَّاسِ لَا عَجَمًا مِنْهُمْ وَلَا عَرَبًا
إِذَا بَدَأَ مُقْبِلًا نَادَيْتُ وَأَطْرَبًا وَإِنْ مَشَى مُعْرِضًا نَادَيْتُ وَأَحْرَبًا⁽⁵⁾

فأطلق الشعراء المجان ألفاظ عارية مكشوفة يعبرون بها بلا قيود.

وها هو السري الرفاء يتعشق هذه الأديرة وغلماها متأثراً ببيئته

العباسية. ويقول في غلام يهواه:

(1) الديارات : الشاباشتي: ص249.

(2) تاريخ الأدب العربي: شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة 1962م، ص 76.

(3) اتجاهات الشعر العربي في العصر العباسي: محمد مصطفى هدارة، دار المعارف، مصر، 1963م، ص204.

(4) ديوان أبي نواس، تحقيق : أحمد عبد المجيد الغزالي، ص432.

(5) انظر: الديارات، ص 249.

بنفسي من أجودُ له بنفسي
ويلقاني بعزّةٍ مُستطيلٍ
وحتّفي كامنٌ في مُقاتلته
وفي موضعٍ آخر يقول:

إني عشقتُ من السعادةِ مُسعداً
فإذا دنا جعلَ الزيارةَ شأنه

ويبخلُ بالتحيةِ والسلامِ
وألقاهُ بذلّةِ مُستتهامِ
كُمونَ الموتِ في حدِّ الحُسامِ⁽¹⁾

ووصلتُهُ فغداً مشوقاً شائقاً
وإذا نأى بعثَ الخيالَ الطارقاً⁽²⁾

ويقول في ساق ويصف كيف عشقه لهذه الكؤوس فأصبح خبيراً بها،
ووصفه لهذا الساقى هضم الحشا محمر الخدود.

قائلاً فيه:

وساقٍ بحبِّ الكأسِ أصبحَ مُغرماً
سقاني بها صرّفَ الحميّا عشيةً
هضمُ الحشا ذو وجنةٍ عندميّةٍ
فأشربُ من يُمناه ما فوقَ خدهِ

فالأوْها أضحى كضوءِ جبينه
وتتّى بأخرى من رحيقِ جُفونهِ
يريكَ احمرارَ الورْدِ في غيرِ حينه
والنّمْ من خديهِ ما في يمينه⁽³⁾

إذن اللهو في هذا العصر بلغ ما بلغ الأمر فتعددت أشكاله وأوانه،
تكتفي الباحثة بما قدّم من الأمثلة السابقة لتبيين الوضع.

الخم:

أقبل عليها الناس إقبالاً شديداً، وتقننوا في احتسائها وجاءت مجالسها
بالجديد، وعشقوها ومالوا إليها كالفرس وغيرهم، كما قيل: "أن الفرس ميالين
إلى الإفراط في الشرب والغناء"⁽⁴⁾.

فإذا استمعنا إلى أبي نواس نجده رائداً في هذا المجال وحاملاً لواء

التغيير قائلاً:

(1) الديوان ، ص433.

(2) المصدر نفسه ، ص323.

(3) المصدر السابق، ص455.

(4) ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج1، ص191.

رَقَّتْ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى مَا يُلَائِمُهَا
فَلَوْ مَزَجْتَ بِهَا نُورًا لَمَازَجَهَا
ويقول فيها ابن المعتز (2) :

سُلَافَةٌ وَرَثَتَهَا عَادُ عَنْ إِرْمٍ
كَانَتْ ذَخِيرَةً كِسْرَى عَنْ أَبٍ وَأَبٍ
أما الخمر عند السريّ الرفاء فهي حديث عاشق مولع بها فهو مادح لها ولمحاسنها وما تجلبه من السعادة له، واصف لها ولكأساتها بأوصاف جميلة رقيقة، فقد كثر فلسفة فيها يعتقد أنها تبعده عن همومه وتريحه من أشجانه، فجاء شعره فيها صادقاً.

فكيف عبر عنها تعبيراً صادقاً عن حاله وغدوه إلى الراح، ومصافحته للكأس في روضة منظومة كأنها سبوح:
قائلاً :

إِنْ عَنِ لَهْوٍ أَوْ سَنَاخٍ
رَضِيْتُ أَنْ أَحْظَى بَعِزًّا
وَصَاحِبٍ يَقْدَحُ لِي
فُرْحَتُ مَطْوِيٍّ الْمُنَى
وَلَا أَقُولُ لَأَمْرِي
وَلَا أَرَى مِنْ صَبْوَةٍ
تُصَافِحُ الْكَاسُ يَدِي
فِي رَوْضَةٍ قَدْ لَبَسَتْ
فَاغْدُ إِلَى اللَّهِ وَوَرِحِ
الْيَأْسِ وَالْعِزِّ مَنِحِ
نَارَ السُّرُورِ بِالْقَدْحِ
لَا أَزْجُرُ الطَّيْرَ الرَّوْحِ
ضَنْ بِمَالٍ أَوْ سَمَحِ
نَهْجِ التَّقَى وَإِنْ وَضَحِ
مَا ارْتَدَّ خَطْبُ أَوْ صَفْحِ
مَنْ لَوْلُو الطَّلِّ سُبْحِ (3)

والسريّ يأمر النفس لترتاح بالراح، وضوءها كاف من كل صباح، فالعنتمة صدته عن ما يقوله أصحاب الصلاح.

(1) ديوان أبي نواس، دار صادر - بيروت - ص 89.

(2) ديوان ابن المعتز، شرح يوسف شكري، ص 313.

(3) الديوان، ص 127.

قائلاً في ذلك:

قم فأنف بالكأساتِ سلطانِ الكرى
لا تأسفنَّ على الصَّبَّاحِ فحسبنا
فض النديم ختامها فكأنما
لم أدرِ إذ حثَّ السُّقاةُ كؤوسها
إني منحتُ نوي الصَّلَاحِ مِنَ الْوَرَى
مَنْ لِي بديرٍ كنتُ مشغوفاً به

واجعلْ مطايا الرَّاحِ منكِ الرَّاحا
ضوء السوالفِ والسَّلافِ صباحا
فض الختام عن العبيرِ ففاحا
أكواكباً يَحْمِلُنَّ أم أقداحا
بُغْضاً فلستُ إليهمُ مُرتاحا
لَمَّا عرَفْتُ الرَّاحَ عادَ رِياحا(1)

ومن شدة تعلقه بها، وحبها لها فهو لا يستمع للناصح.

وتارة يصف عشقه لها يراه أجمل من الهوى ولو كان من يهواه بدرًا

منيراً قائلاً:

سأتركُ مَنْ أهوى بما هو أهلُه
وأصبو إلى قولِ الذي قد عرَفْتما
ألا سَقْياني من سِلافةِ خَمرةٍ
مُصَفِّقةٍ كأساً كأنَّ شُعاعها
فإن كسروها بالمزاجِ حكتُ لنا
فلا خَيْرَ في القُرْبى إذا ما ملَّتني

ولو كان مَنْ أهوى يُشاكِلُه البَدْرُ
ألا سَقِّي خمرًا وقل لي هي الخمرُ
يجانبها المَحمودُ والأبلَةُ الغَمْرُ(2)
تورِدُ خذَّ حينَ يبدو به السُّكْرُ
غلائلَ عُشاقٍ أضرَّ بهم هَجْرُ
ولا خَيْرَ في نَعْمى يُقارِبُها كُفْرُ(3)

وفي البيت الثاني أشار إلى قول أبو نواس في الخمر. استمع إلى

قوله يحث على الشرب، ودنو المدامة جالبة السرور ووصفها موردة

اللون هيا اغتتم وقتك فإن الشباب وقت السرور. قائلاً:

دُنُو المُدَامَةِ يُدني السُّرورا
فَصِلْ باغْتباكِكِ مِنْها البُكورا

(1) المصدر نفسه، ص 125.

(2) الغمر: الذي لم يجرب الأمور.

مصفقة - حول الشراب من إناء إلى آخر ليصفو.

(3) المصدر السابق، ص 225.

فَقَدْ نَشَرَ الصُّبْحُ أَعْلَامَهُ وَحَانَ لِكَاسَاتِهَا أَنْ تَدُورَا
تَعَجِبْتَ مِنْ غُفَلَاتِ الْوَرَى وَتَرَكَهْمُ الْعَيْشُ غَضًا نَضِيرَا
فَطَائِفَةٌ تَرْتَجِي جِنَةَ الْـ خُلُودٍ وَأُخْرَى تَخَافُ سَعِيرَا
فهو لا يبالي ويمضي في عشقها ويبرر إنها تصرع النوائب وتزِيل عنه
التعب والهم.

إلى قوله:

كَأَنَّ الْعَقِيقَ بَكَاسَاتِهَا تَقْضُ السُّقَاةُ عَلَيْهَا الْعَبِيرَا(1)
كيف يصف رحلة وهو من معهم ومشبههم في سرعة وثبات إلى الدير
ويصفهم أنهم أبهى وأنضر من الرياحين، ومن بعد ذلك مشوا ببطء كالفرازين في
الشطرنج وهي معانٍ جديدة وصور البيت الأخير في تصوير رائع للكاسات.
قائلاً:

وَقَتِيَّةٌ زَهْرُ الْأَدَابِ بَيْنَهُمْ أَبْهَى وَأَنْضَرُ مِنْ زَهْرِ الرِّيَّاحِينَ
مَشَوْا إِلَى الرَّاحِ مَشَى الرَّخُّ وَأَنْصَرَفُوا وَالرَّاحُ تَمَشِي بِهِمْ مَشَى الْفَرَازِينَ(2)
حَتَّى إِذَا أَنْطَقَ النَّاقُوسَ بَيْنَهُمْ مُزِينُ الْخَصْرِ رُومِي الْقَرَابِينَ
يَرَى الْمُدَامَةَ دِينًا حَبَّذَا رَجُلٌ يَعُدُّ لَذَّةَ دُنْيَاهُ مِنَ الدِّينِ
تَفَرَّقُوا بَيْنَ أَعْطَانِ(3) الْهَيْكَلِ فِي تِلْكَ الْجِنَانِ وَأَقْمَارِ الدَّوَابِّ
تَحْتُ أَفْدَاحَهُمْ بِيضُ السَّوَالِفِ فِي حُمْرِ الْغَلَائِلِ فِي خَضْرِ الْبَسَاتِينِ
كَأَنَّ كَاسَاتِهَا وَالْمَاءُ يَقْرَعُهَا وَرَدُّ تَصَافِحُهَا أَطْرَافُ نِسْرِينَ(4)
والسري الرفاء عندما تُهدى إليه الخمر فهي عنده من ألطف الهدايا
وهي التي تروي ظمأه.

(1) الديوان ، ص 225.

(2) الرخ والفرازين: من قطع الشطرنج.

(3) أعطان، مناطق المياه.

(4) الديوان، ص 455.

فانظر إلى مقطوعته التي قال فيها:

أبا الحسين دَعَتْ نَفْسِي أَمَانِيهَا إِلَى يَدِ مِنْكَ مَشْهُورٍ أَيَادِيهَا
فَصَرَّمِ الصَّوْمَ عَنَا بَعْدَمَا ظَمِئَتْ لَهُ النَّفُوسُ وَفَقَدُ الرَّاحِ يُظْمِيهَا
فَجُدْ بَعْدَ رَاءِ مِثْلِ الشَّمْسِ نَعِذْرُهَا إِنْ أَظْهَرْتَ صَافًا لِلْحُسْنِ أَوْ تَبِيهَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّ ظُرُوفَ الرَّاحِ إِنْ كَبُرَتْ عِنْدَ الْهَدِيَّةِ أَبَدَتْ ظَرْفَ مُهْدِيهَا⁽¹⁾

وعجباً لهذا العشق وما جاء به العصر العباسي فكأن السري وحياته
تدور حول فلك خمري فكل ما حولها وما فيها أخذت حظها انظر إلى وصفه.

وفي قصيدة يتناول وصف الروواق

لَا رَاحَ مَا لَمْ يَصْفُهَا⁽²⁾ الرَّاووقُ⁽³⁾ رَحْبُ الذَّرَى⁽⁴⁾ يَنْحَطُّ فِيهِ الضَّيِّقُ
سَمَاءٌ لِأَذِي قَطْرُهَا رَحِيقُ تَأَلَّفَتْ مِنْ مُزْنِهِ البُرُوقُ
يَسْقِيكَ مِنْ سَحَابِهِ الإِبْرِيْقُ مَاءَ عَقِيْقٍ لَوْ جَرَى العَقِيْقُ
رَاحٌ تَوَلَّى سَبْكَهَا التَّعْتِيْقُ عَتَقَهَا مِنْ عُمْرِ الزَّرْنِوقِ
حَتَّى إِذَا أَلْهَبَهَا التَّصْفِيْقُ صَحْنَا إِلَى جِيرَانِنَا الحَرِيْقُ⁽⁵⁾

فقد وصفوا لها قواعد يجاهر بشربها صرفاً غير ممزوجة، حيث كان

المجاهرة نهج الكثيرين منهم.

أَلَا سَقْنِي الصَّهْبَاءَ صَرَفًا فَإِنِّي لِمَنْ لَامَ فِيهَا مَا حَبِيْتُ مُخَالِفُ⁽⁶⁾

في آخر يقول:

هَاتِ التِّي هِيَ يَوْمَ البَعَثِ أَوْزَارُ كَالنَّارِ فِي الحُسْنِ عَقْبِي شُرْبِيهَا النَّارُ⁽⁷⁾

(1) المصدر نفسه ، ص460.

(2) يصفها: يأخذ صفوها.

(3) الروواق: المصفاة يروق بها الخمر.

(4) الذرى: النواحي.

(5) الديوان، ص329.

(6) الديوان، ص308.

(7) المصدر نفسه، ص236.

اللّهو والمجون وشرب الخمر والتعلق بها حتى الثمالة له إذن تأثير
واضح ما جاء به الفرس، ومما ساعد فيه الخلفاء والأمراء من غض الطرف
عنه، أم أن هناك استعداد نفسي ساعد على إتباع العرب بهذه الطريقة .
فالسرى عاشق لها، أبدع في وصفها.

المبحث الخامس الرثاء

يدور معنى الرثاء حول مدح الإنسان بعد موته يقال: (رثيت الميت رثياً أى بكيته وعدادت محاسنه وكذلك إذا نظمت فيه شعراً) (1).

ويقول فيه قدامة (ليس بين المرثية والمدح فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه هالك) (2).

وقال ابن رشيقيكون الرثاء ظاهر التفجع واضح التلهف والأسف (3). وهو من الأغراض الشعرية القديمة، ومن الفنون التي جود فيها الشعراء، وكثر فيها الصدق وفيه يقل التكلف لأنه يعبر عن خلجات القلب المحزون (4).

فقد سئل أعرابي: ما بال الرثاء أصدق أشعاركم؟ قال: لأننا نقوله وقلوبنا تحترق (5).

ويقال إن لكل أمة اهتمام بالرثاء ويقول في ذلك شوقي ضيف: للامة العربية ميراث ضخم، وأنهم عرفوا الرثاء منذ القدم (6). أما الحديث عن مرثيات الرفاء فالديوان اشتمل على قليل من قصائد الرثاء.

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة (رثا).

(2) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، ص 132.

(3) العمدة، ج2/147.

(4) الرثاء في الشعر الجاهلي، يحيى الجبوري، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، 1973م.

(5) البيان والتبيين، الجاحظ، ج2، ص 320.

(6) الرثاء، شوقي ضيف، دار المعارف، بمصر، ط2، ص5.

ومن ذلك قوله:

يرثي أبا بكر المراغي^(*) ويذكر بني فهد قائلاً:

أَسْمَعْتُمَا أَنْ الْجِبَالَ تُضَامُ وَعَلِمْتُمَا مَنْ غَالَتْ الْأَيَّامُ
فَجَعَّ تَطِيرُ لَهُ عَلَى أَحْسَانِنَا شُعْلٌ وَتَسْقُطُ فِي الْقُلُوبِ سِهَامُ
وَرَزِيَّةٌ أَخَذَ الرَّدَى مَا يَبْتَغِي مَنَا وَنَالَ بِهَا الَّذِي يَسْتَامُ
شَهَدَتْ بِتَحْلِيلِ الدَّمُوعِ وَخَبَّرَتْ أَنَّ الْعِزَاءَ عَلَى اللَّيْبِ حَرَامُ
كُنَّا نَعُدُّ الْحِصْنَ دَارَ إِقَامَةٍ فَالْيَوْمَ وَقَفْتُنَا بِهِ الْإِمَامُ
يَبْكِي الْغَمَامُ الْمَسْتَسِيرُ بِأَرْضِهَا وَنَقُولُ جَادَ بَذِي الْغَمِيمِ غَمَامُ
إِنْ يَفْتَرِقُ أَحْبَابُنَا أَيْدِي سَبَا عَنْهَا فَقَدْ يَتَفَرَّقُ الْأَقْوَامُ
عَطْنٌ أَخْلَّ بِهِ الْوَفُودُ وَأَوْحَشَتْ مِنْهُ الرَّحَابُ الْفَيْحُ وَالْأَطَامُ
وَالْتُّرْبُ ظَمَانُ الْجَوَانِحِ مَا سَرَى رَكْبُ السَّحَابِ عَلَيْهِ وَهِيَ جَهَامُ⁽¹⁾

فرثاه رثاءً حرى وضح فيه تفجعه وأمه على فراق المراغي ويقال إنه كان من أصحابه المقربين.

قال يرثي غلاماً من بني شيبان صلب بالموصل وكانت بينهما معرفة

قائلاً:

أَبْدَرَ دُجَىً غَالَتْهُ إِحْدَى الْغَوَائِلِ فَأَصْبَحَ مَفْقُوداً وَلَيْسَ بِأَقْلِ
أَتَتْهُ الْمَنَايَا وَهُوَ أَعْزَلُ حَاسِرٌ خَفِيٌّ غَرَارِ السَّيْفِ بَادِي الْمَقَاتِلِ
غَلَامٌ إِذَاعَايُنَتْ عَاتِقَ ثَوْبِهِ رَأَيْتَ عَلَيْهِ شَاهِداً لِلْحَمَائِلِ
يُمَسِّحُ بِالْمَسْكِ الذَّكِيِّ مُرَجَّلاً يَرْفُ عَلَى الْمَتْنِينَ مِثْلَ السَّلَاسِلِ

(*) بابكر المراغي ، هو محمد بن على المراغي أديب نحوي ، قرأ على أبي اسحاق الزجاج ، وأقام بالموصل ، كان وفاته 311هـ ، انظر: معجم المؤلفين عمر - رضا كحالة ، ج3/548.

(1) الديوان ، ص 429.

العطن: مبرك الإبل وموضعها.

سواءً عليه في السَّوابغِ حُرَّةً
وعزَّ على العلياءِ أن حيلَ بينه
وعرِّي من بُرديه بالسيفِ مُنتضىً
فأحبب به من راكبٍ غيرِ سائرٍ
يُعنبرُ أنفاسَ الرِّيحِ بِشِلوهِ
هو القدرُ المحتومُ والسيفُ لم يكنُ
أحلَّكَ من أعلى الهَواءِ مَحَلَّةً
وليسَ بعارٍ ما عراكٍ وإنَّما

تتَّى عطفه أم في رِقاقِ الغلائِلِ
وبينَ ظُباً أسيافه والعواملِ
فلم يعر من بردى عفافِ ونائلِ
مقيمٍ ولكنَ زيَّه زيُّ راجلِ
فتعَبُّ من أنفاسِ تلكِ الشَّمائلِ
ليُخصبَ إلا من دماءِ الأفاضلِ
نأتُ بك عن ضنكِ الثرى والجنادلِ
حماك اتساعِ الصِّدرِ ضيقِ المنازلِ⁽¹⁾

ويصف المصلوب بدرأ غاب عن سمائه ففقده الأحبة ويصف المنايا وقد
أنته وهو أعزل والشاعر هنا يتحسر لفقده وضربه بهذه الطريقة، ففي وصفه
وعرى من برديه وصف دقيق لحالة المصلوب، ولكن الشاعر يقول أن هذا
الموت يختار الأفاضل فالسيف لم يخصب إلا الخيرين.

وقال أيضاً:

في رثاء أبيه وإهله وكأن برثاء أهله يبكي حاله وهو أصبح وحيداً
فتحس في القصيدة شجناً وتعبيراً ذاتياً لما أصابه وما خيم عليه في هذا
الزمان.

هَلْ للمكارمِ من مُجيرِ
أنى ارتقتُ هممُ الردىِ
بَعْدَ ابتسامِ شَمائلِ
يا رِمَّةً أَرَجُ الثرىِ
لو تستطيعُ الأرضُ ما
نظرتُ إليكِ المكرُمِ ما
فغدَّتْ عليكِ حواسِراً

أَمْ هَلْ لأحمدَ من نصيرِ
منه إلى القَمَرِ المُنيرِ
كالنورِ في الغُصنِ النَّصيرِ
من طيبها أَرَجُ العَبيرِ
سَمَحَتْ بها يومَ النُّشورِ
تُ فلم تجذِّ لكِ منَ نظيرِ
يَنْظُرُنَ من طَرْفِ حَسيرِ

(1) الديوان، ص 355-356.

فأذهب على رُغم العدا
فأرقتني وتركتني
فلبست أثواب الأسى
والبأس والحسب الخبير
غرضاً لأحداث الدهور
وخلعت أثواب السُرور⁽¹⁾

بيكي على أبيه أحمد، صاحب المكرمات ويتحسر على فراقه.

وقال يرثي :

الله أي حسام فل مضربه
خطب وهى عرش غسان به وغدت
أطل دجلة فانحطت غواربها
أبناء فهد تولى العز بعدكم
مضارب المرفقين السيف والقلم
تيجان حمير من واه ومنصرم
واصفر من جانبيها مورق السلم
فما أرى خائفاً يأوي إلى عصم⁽²⁾

وهنا يرثي أميراً، والحديث عن الأمراء وذكرهم أحياء أو أموات يختلف، وهنا يصفه بأنه حسام ويذكر العرش والتاج وكان نهر دجلة حزين، وعن العز والسؤدد الذي غاب بموت أميره.

وفي مرثية يرثي بها بعض إخوانه.

قائلاً:

وسألت عنه فقيل مات لما به
وكأنما بخل الزمان على الورى
فلمن أصون مدامعي من بعده
لخطابه لجوابه لصوابه
للحمل عن منتابه للنصح عن
للبيض من أثابه للزهر من
لحجابه أم لنهائه أم لقراه أم
أم من يرجي بعده صرف الردى
قلب الندى لا شك مات لما به
ببقائه أو هابه فبدا به
ولأيماء أبكيه من أسبابه
لحفاظه لثوابه لعقابه
أسبابه للصّفح عن مغتابه
آرائه للغر من آدابه
لعلاه أم لندهاء في أصحابه
عن نفسه بجلايه وضرايه

(1) الديوان ، ص234.

(2) المصدر نفسه، ص442.

هيهاتَ لا يُغني البُكاءُ إذا سَطَا أَسَدُ الزمانِ بِمِخْلَبَيْهِ وَنابِه
ولئنَ سَقاهُ الموتُ كأساً مُرَّةً فلْيَشْرَبَنَّ الموتُ مِثْلَ شَرابِهِ (1)

فهذه القصائد أو المقطوعة من شعر الرثاء فقد وجهها الشاعر وتفجع بها على أبيه وإخوانه، وبعض من الأسرة الحمدانية، فبكاؤه لأهله واضح الأسى والحزن.

إن هذه القصيدة قد خرجت في ثوب فني، انظر إلى قوله (بخل الزمان) على الورى وأسد الزمان فهنا تشبيهات بيانية رائعة ودلت على اهتمام الشاعر بالصنعة البديعية من ترصيع وغيره ، نقول خرجت رثائياته بصورة فنية وإن كانت قليلة في الديوان.

(1) المصدر نفسه ، ص108، القرار: الكرم.

المبحث السادس الهجاء

هجاه: شتمه⁽¹⁾، والهجو: (أبلغه ما جرى مجرى الهزل، والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قربت معانيه وسهل حفظه وأسرع علوقه بالقلب)⁽²⁾.

وهو: (فن من فنون الأدب يتخذه الشاعر للدفاع عن نفسه ويهاجم بهامناسيه)⁽³⁾.

والهجاء عند السري جله كان حول الخالدين ومن تعصب لهم، مع آخرين تعرض لهجائهم.

وقد وصل الهجاء بينهم مرحلة تعدت سرقة القوافي والنظم فهاهوذا يهجو الخالدي أبا بكر وزوجته قائلاً:

أَكُلُّ يَوْمٍ تَغْتَدِي عَرُوسًا	بُؤْسًا لِعَرْسِ الْخَالِدِيِّ بُوسًا
وَفَارَقَتْ مِنْ نَتْنِهِ نَاوُوسًا	خَلَّتُهُ وَاعْتَاضَتْ فَتَى نَفِيسًا
وَبَدَّلَتْ مِنْ رَحْمِ طَاوُوسًا	فَصَادَفَتْ رُبْعَ هَوَى مَأْنُوسًا
وَهِيَ تَرَى الْأَقْمَارَ وَالشُّمُوسَا ⁽⁴⁾	وَكَيْفَ تَهْوَى وَجْهَهُ الْعَبُوسَا

أما هجاؤه لابن الملحى وهو شاعر تعصب للخالدين:

قال فيه :

(1) القاموس المحيط، محي الدين يعقوب الفيروز أبادي، مادة (هجا)، تحقيق محمد الشامي، القاهرة، دار الحديث، 2008م، ص 1679.

(2) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني، تحقيق إبراهيم علي ابو الفضل، ص 23.

(3) العمدة، ج 2/147.

(4) الديوان، ص 265، الناووس: صندوق من خشى يضع النصارى فيه الجثة.

إِذَا هَبَّتْ أَنْسَابُ قَوْمٍ فَمَوْطِنِي
وَنَاهِيكَ مِنْ أَيْدٍ تَصُولُ وَالسُّنَّ
شَقَقْتُ قَذَالَ الْخَالِدِيِّ بِمَنْطِقِ
وَنَاضَلَنِي الْمَلْحِيُّ عَنْهُ فَأَصْبَحْتُ
وَمَا لِعَلِيٍّ بَائِعِ الْمَلْحِ بِالنَّوَى

ذُرَى نَسَبٍ بَيْنَ التَّتَابِعِ عَالِي
تَقُولُ وَأَرْمَاحٍ تُهَزُّ طِوَالِ
يَشُقُّ مِنَ الْأَعْدَاءِ كُلِّ قَذَالِ
جَوَارِحُهُ مَجْرُوحَةٌ بِنِبَالِي
إِذَا نَلْتُ أُمَّ الْخَالِدِيِّ وَمَالِي (1)

وفي قصيدة أخرى يهجو فارس بن اليمج ويؤكد حبه للفاطميين ورفضه

للمعتزلة:

قائلاً:

أَفَارِسُ هَلْ تَكُونُ غَدًا شَفِيعِي
دَعَوْتَ إِلَى الضَّلَالِ دُعَاءَ غَاوٍ
أَرَّغَبُ عَنْ وَدَادِ أَبِي تُرَابِ
وَأُعْرِضُ بَعْدَ وَخَطِ الشَّيْبِ عَنْهُ
أَقْلُوا قَبْلَ غَشْيَانِ الْقَوَافِي
نَصَحْتُ لَكُمْ فَلَا تَرِدُوا الْمَنَايَا
إِذَا لَمْ تَتَّبِعُوا أَبَدًا رَشَادِي
أَلَا مُتَجَرِّدٌ لَللَّهِ نَدْبٌ
فِيخْضِبُ مِنْ دِمَائِكُمُ الْعَوَالِي
أُحَاكِمُكُمْ إِلَى السَّبْعِ الْمَثَانِي
فَقَدْ حَفِظْتُ صَحَائِفُهُنَّ حَقًّا

إِذَا أَنَا فِيكَ عَادَيْتُ الشَّفِيعَا
فَلَمْ يَكُنِ السَّمِيعُ لَهُ سَمِيعَا
وَقَدْ شَحَنَ التَّرَائِبَ وَالضُّلُوعَا
وَقَدْ أَحْبَبْتُهُ طِفْلاً رَضِيعَا
بِذِكْرِكُمُ الْمَحَافِلِ الْجُمُوعَا
وَلَا تَسْتَمْطَرُوا السَّمَّ النَّقِيعَا
فَلَسْتُ لَغِيكُمُ أَبَدًا تَبِيعَا
يُقَرِّبُ مِنْكُمْ الْحَيْنَ الشَّنِيعَا
وَيَنْقَعُ مِنْ صَدِيدِكُمُ الْجُرُوعَا
وَتَلِكَ الشَّمْسُ أَغَشَّتْكُمْ طُلُوعَا
وَلَسْتُ لَمَا احْتَفَظْنَ بِهِ مُضِيعَا (2)

ففي البيت الثالث (أبي تراب) كنية على عليه السلام، وهي إشارة إلى ما

قيل عنه من تشيع أم الأمر غير ذلك؟ لم الحظ هذا ولم يؤكد شعره تشيعة.

(1) الديوان، ص 372.

(2) المصدر نفسه، ص 279.

وقال كذلك في فارس ابن اليمج^(*):

عفاءً على اللذات من بعد فارسِ
جلا حرّاً وجهٍ قد أضاء بثوبه
تُكسّرُ أصنافُ المعازفِ بعدها
مضى حسبُ الزقنِ التليدِ وأصبحتُ
فقد عطلتُ منه حسانُ المجالسِ
كأنّ سناها فيه شُعلةُ قابسِ
كما عُقرَ الأفراسُ بعدَ الفوارسِ
رسومُ الملاهي كالرسومِ الدّوارسِ⁽¹⁾

وأيضاً قال في النامي^(*) الجزار:

أرى الجزارَ هيجني وولّي
ورقَعَ شعره بعيونِ شعري
وكاشفني وأسرعَ في انكشافي
فشابَ الشهدَ بالسّمِّ الزُّعافِ⁽²⁾

وصورة أخرى لهجائه عن رجل بخيل:

لي من عبّيدِ الله خُلُّ ما أرى
كم جاهلٍ بالأمرِ حاولَ نيّله
قد قلتُ للضيّفِ المُقيمِ بداره
دارٌ عَدِمَتِ الخيرَ يَقْظاناً بها
في جاهه طمَعاً ولا في ماله
فرأى مَنالَ النجمِ دونَ مَناله
لمّا شكّ لك أسوةً بعياله
فرقدتُ كي أحظى بطيفِ خياله⁽³⁾

هذا هجاء عادي غير أن في الديوان قصيدة هجاء فاحش هجا بها الخالدين

قال في مطلعها:

للخالديّينِ جمالٌ منظرٍ
وبِزّةٍ تملأُ عينَ المُبصرِ⁽⁴⁾

وهجاء السري صورة من الهجاء العباسي الذي يخص الفرد دون الجماعة أو القبيلة، ولم يكن فاح، والذين هجاهم شأاً بالطريقة المعروفة، وجاءت قصائد الهجاء غير طوامقدمات معظمهم أصحاب مهن، زفاف، جزار، قاضي، بالإضافة للخالدين.

(*) ابن اليمج: يقال أنه كان يعمل عازفاً.

(1) الديوان ص 261.

(*) النامي هو أبا العباس أحمد بن محمد المصيبي شاعر من شعراء الحمدانيين وإن أباه كان جزاراً.

(2) الديوان نص 301.

(3) المصدر نفسه، ص 385.

(4) المصدر السابق ص 385.

المبحث السابع أغراض آخري

الإخوانيات:

هذا اللون خاص بالشعر الاجتماعي والروابط بين الأصدقاء والشعراء⁽¹⁾. وفي هذا النوع من شعر تتجلى فيه علاقات الشاعر بأصدقائه ورفقاء دربه، وإخوانيات السري ودعاؤه إلى من سلخوا معه الدرب إلى الشرب وليالي الصيد، ويؤكد شعره أنه لا يستطيع فراقهم وفي كثير من الأوقات يسترجعهم للحضور لهذه المحافل.

قال:

لنا غُرْفَةً حَسُنَتْ مَنْظَرًا وَطَابَتْ لِسْكَانِهَا مَخْبَرًا
تَرَى الْعَيْنُ مِنْ تَحْتِهَا رَوْضَةً وَمِنْ فَوْقِهَا عَارِضًا مُمَطَّرًا
وَيَنْسَابُ قَدَامَهَا جَدُولٌ كَمَا ذُعِرَ الْأَيْمُ أَوْ نَفَّرًا
وَرَاخٌ كَأَنَّ نَسِيمَ الصَّبَا تَحْمَلُ مِنْ نَشْرِهَا الْعَنْبَرُ
وَعِنْدِي عِلْقٌ قَلِيلُ الْخِلَافِ وَنَدْمَانُ صِدْقٍ قَلِيلِ الْمَرَا
وَدَهْمَاءُ تَهْدِرُ هَذَرَ الْفَنِيقِ إِذَا مَا امْتَطَّتْ لَهَبًا مُسْعِرَا
تَجِيشُ بِأَوْصَالٍ وَحَشِيَّةٍ رَعَتْ زَهْرَاتِ الرَّبَا أَشْهُرًا⁽²⁾

فهذه الغرفة جميلة، تحفها الرياض ونسيمها العليل، وبها خمر معتق انها بمثابة دعوة وذكره لهذه المحاسن لكي يستجيب المدعو ويسرع بالحضور. وهذا المنزل أو الغرفة ذات منظر حسن، وروضة غناء، وصحبة طيبة تجمعهم هو وأصحابه.

(1) الشعر في رحاب رياض سيف الدولة الحمداني - سعود محمد عبد الجبار - مؤسسة الرسالة، بيروت: الطبعة الأولى 1981م، ص 283.

(2) الديوان، ص 232.

الأيمن: الحية، علق: صديق، النفيس، الفنيق: الفحل.

وقال يستدعي صديقاً:

انظر مناداة لأصحابه لشراب الراح، وتناول الأقداح بحديث لطيف:
نَفْسِي فِدَاؤُكَ كَيْفَ تَصْبِرُ طَائِعاً
عَنْ فِتْيَةٍ مِثْلِ الْبُدُورِ صَبَاحِ
حَنَّتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْكَ فَأَعَانُوا
نَفْساً يَقْدُ مَسَالِكَ الْأَرْوَاحِ
وَعَدُوا لِرَاحِهِمْ وَذَكَرُوكَ بَيْنَهُمْ
أَذْكَى وَأَطْيَبُ مِنْ نَسِيمِ الرَّاحِ
فَإِذَا جَرَتْ حَبَباً عَلَى أَقْدَاحِهِمْ
جَعَلُوكَ رِيحَاناً عَلَى الْأَقْدَاحِ (1)
فدعوته دائماً إلى مجالس الخمر كأن في مجالسها تطيب لهم الجماعة.
وقال يدعو صديقين:

قائلاً :

غَدَاةَ الشَّكِّ نَدْعُوكَ
إِلَى الرَّاحِ تُغَادِيهَا
فَلَا تَتَأْ وَلَذَاتُ
كَ دَانَ مِنْكَ نَائِيهَا
فَقَدْ أَضَحَّتْ سِجَالُ الْغِي
ثِ مِنْهَا عَزَابِيهَا
وَبُسْطُ الرُّوضِ تُغْنِيكَ
عَنِ الْبُسْطِ نَوَاحِيهَا
رُبِّي طَيِّبَةُ النَّشْرِ
تُحْيِي مَن يُحْيِيهَا
إِذَا ضَاحَكَهَا الْبَرْقُ
غَدَا الْغِيثُ يُبَاكِيهَا
وَعِنْدِي قَيْنَةٌ تَتُبْتُ
رَدَّ الْقَوْلِ مِنْ فِيهَا
إِذَا دَغَدَغَتِ الْعُودَ
رَأَيْتَاهُ يُنَاغِيهَا (2)

وها هو ذا يدعو أصحابه في هذا اليوم يسمونه بيوم الشك وهو يوم التحري لرؤية هلال عيد الفطر، ويرسل قوافيه بأسلوب سهل وعذب يحكي عن ربى طيبها وعذب ماؤها مع هذا الجمع كذلك وجود مغنية ذات صوت حسن جيدة العزف.

(1) الديوان، ص124.

(2) المصدر نفسه ، ص460.

يستدعى أبا بكر المراغي:
قائلاً:

لم ألقَ رِيحَانَةً وَلَا رَاحَا
وعندنا طبيبه مهفهفة
تُفسِدُ قلبي إن أضلحتُهُ ولا
وفتيّةٌ إن تذاكروا ذكروا
وقد أضاعت نجومُ مجلسنا
ها هوذا يخاطب رفيقه أو صاحبه محبباً له عروضاً جميلة تشوقه،
إلى، الراح ومجلس لطيف وهو يدرك ما يشعل به قلوبهم حسب فلسفتهم في
هذه المجالس.

وقال يدعو أصدقاءه:

غَدَتْ لَدَاتِنَا أَمَمًا
وقد حثَّ ابتسامُ البر
وحنَّ الرَّعْدُ حَتَّى خَلَا
وعندي قِيَنَةٌ نَظَمْتُ
كشَمْسٍ سَالَمَتْ ظُلْمًا
وصافيةٌ إذا ابتسمتْ
فلم تحسُنْ لبُعْدِكُمَا
ق دَمَعَ المُزْنُ فانسجما
تُه يَسْتَعْطِفُ الدِّيمَا
شَتَيْتَ العَيشِ فانتظما
وغصن حَامِلٍ عَنَمَا
أرَّتْنَا العَيشِ مُبْتَسِمًا(2)

ومرة أخرى يناديهم ويحسن تلك الجلسة لمعاقرة الخمر ولكن هنا
الطريقة تختلف قليلاً وهنا يعدد محاسن القينة ويردد في هذه الصور دوماً ما
ألذ وطاب ليرغبهم في الحضور .

قال:

لنا قهوةٌ في الدنِّ تَمَّتْ شهورُها
يُحييكَ بالمِسكِ الذكيُّ ذنُها
فرقت حواشيها وأشرق نورُها
ويلقاك بالبشرِ الجميلِ بشيرُها

(1) الديوان، ص123.

(2) المصدر نفسه، ص429.

وقد كتبت أيدي الربيع صحائفاً
فمن روضة سار إلينا نسيمها
وغرفتنا الحسناء قد زاد حسنها
كأن سطور البرق حسناً سطورها
ومن مزنة مرخى علينا ستورها
بزائرة في كل عام تزورها⁽¹⁾

فهو يدعو إلى خمر معتقة، معطرة، والربيع نشر حسنه وطيور السنونو أو ما يشبهها فقد حدثنا عنها كثيراً وعن رحلتها في كل عام.
وقال لصديقا اهدى له قباب شمع في يوم الميلاد.

قائلاً :

بعثت في الميلاد لي بدعة
هدية لم أدر من ظرفها
قباب شمع يتحامي الدجى
تصار فيها عين رائيها
أعجب أم من ظرف مهديها
مجلسنا عند تلايها⁽²⁾

ويشكر صديقاً أهدى له قارورة ماء ورد:

يقدم الشكر وإعجابه بهذه الهدية الفارسية، كأنه ريحانه الزهر، صفا ماءها،
نشر الريح طيبها فانتشر.

قائلاً:

بعثت بها عذراء حالية النحر
تأني لها طب بإخلاص طيبها
والبسها وشياً يزُرُ جيوبه
مضمنة ماء صفا مثل صفوها
ينوب بكفي عن أبيه وقد مضى
ويشركني في نشره الريح غدوة
فيا لك من برٍ يخبر عن فتى
فإن يك حياني بها فارسية

مشهرة الجلاب حورية النجر
فأفرغ فيها روح ريحانة الزهر
على النحر منها والذبول على الخصر
فجاء كذوب التبر في جامد الدر
كما نبت عن آبائك السادة الغر
فتجري إلى الآفاق طيبة النشر
حفي بنا في كل نائبة بر
فسوف أحياه بمعربة الشكر

(1) الديوان، ص. 232-233

(2) المصدر نفسه ، ص 429.

وكم من يدٍ للحرِّ عندي تئيبٌ كشفتُ محيَّاهَا بقافيةٍ بكرٍ (1)
والبيت الثامن يحكى فيه الشاعر عن الطبع العربي والوفاء فتلمس فيه لطفاً.

المزاح:

هذا العصر أتاح للشعراء الكثير مما وجد فيه فظهور نواح كثيرة تطورت فيه، فمثل هذا الجانب من الشعر، أولوه اهتمامهم فالسري يمازح أهل الصنعة أو بالأحرى المقربين منه في السوق وأبناء بيئته.

قال يمازح رجلاً من أهل الموصل يدعى عبد الكريم المزيّن يقال كان أبوه مزيّناً.

قال له:

سُيُوفُكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ نَفَعُ	إذا كانت سيوفُ الناسِ ضُرّاً
فَلَمْ قَصُرَتْ وَأَيْدِيكُمْ طُوالٌ	تُحَكِّمُ فِي رِقَابِ النَّاسِ طُوراً
وَمَا لِفِرَاخِكُمْ تَبْيِضٌ لَوْناً	فإن زَقَّتْ شَأها الزقُّ حُمراً
وَمَا لَجَرِيحِكُمْ وَتَرٌّ عَلَيْكُمْ	وكلُّ جِرَاحَةٍ تُعْتَدُّ وَتِرا
وَرُبَّ جَرِيرَةٍ شَنْعَاءَ سَأَقَتْ	إِلَى مُجْتَرِّها حَمِداً وَذِكرَا
أرى أفعالكم أفعال عَزٌّ	فَلِمَ أَنْتُمْ بِفَرَطِ الدُّلِّ أَحرى (2)

يخاطبهم قائلاً : إن كانت السيوف التي تقطع أو الأدوات الحادة التي فيها ضرر للناس فإن سيوفكم فيها نفع لما تفعله من حسن وتزيين، ومثل هذه المقطوعات نجد أن السري تفرد بها.

قال يمازح رجلاً من أهل بغداد في مجلس شرب:

قائلاً:

وملأني من عَبَرَاتِ الكُروم كأنَّ على فَمِهِ عُصْفُرا

(1) الديوان، ص247.

وتأثر شعراء العصر العباسي بالثقافة الفارسية واضحاً ففي هذه القصيدة ماء ورد فارسيه ونوع هذه الهدايا لم يقصده العرب التي كانت تتهدى العيس، والخيول وغيرها.

(2) المصدر نفسه، ص225. وترا: الثأر.

إِذَا قَرَّبْتَهُ أَكْفُ السُّقَاةِ
 تُرَوِّحُهُ عَذْبَاتُ الْغَرَامِ
 وَرِيمٌ إِذَا رَامَ حَثَّ الْكُؤُؤُ
 وَجَرَّدَ مِنْ طَرَفِهِ خَنْجَرًا
 تَرَى وَرْدَ وَجَنَّتِهِ أَحْمَرًا
 شَكَرْنَا لِإِدْرِيسَ أفعالَه
 مِنْ الكَأْسِ قَهْقَهَ وَاسْتَعْبَرَا
 بَرِيًّا النَّسِيمِ إِذَا مَا جَرَى
 سِ قَطَّبَ لِلتَّيِّهِ وَاسْتَكْبَرَا
 وَمِنْ نُونِ طُرَّتِهِ خَنْجَرَا
 وَرِيحَانَ شَارِبِهِ أَخْضَرَا
 وَحُقَّ لِإِدْرِيسَ أَنْ يُشْكَرَا (1)

وهنا يصف مجلس الخمر وشاربيها وكؤوسها بشيء من الفكاهة.

وقال بديهياً أمام سيف الدولة وقد طلب منه الأمير هجاء الخالدي أبو بكر محمد وكان أبوه يبيع دواء الفأر وأطلق عليه الأمير قنفاً.

قال:

يَكْفِيكَ أَنْ قُنْفَاً رَاعَهُ غَضَبِي
 لَوْ أَنَّ قَمْلَ قُنْفٍ ثَلَاثَةٌ رَتَعَتْ
 يَا قَاتِلَ الْفَأْرِ حَتَّى مَا يُحْسِبُهُمْ
 قَدْ كَانَ لِي وَطَرٌ فِي الشَّعْرِ أَخْلَقَهُ
 لَيْسَ الْقَرِيضُ دَوَاءً لِلْفَأْرِ تَحِلُّهُ
 قَبْلَ الْهَجَاءِ فَلَاقَى الْحَيْنَ مِنْ فَرْقِ
 لَيْلًا مِنَ النَّعِّ يَمْحُو غُرَّةَ الْفَلَقِ
 أَهْلُ الْمَنَازِلِ فِي صُبْحٍ وَلَا غَسَقِ
 مَا جَالَ فِي أُذُنِي مِنْ شِعْرِكَ الْخَلْقِ
 مِنَ الشُّوَارِعِ وَالْأَسْوَاقِ فِي طَبَقِ (2)

وقال يمازح رجلاً (كان مزيناً) من الموصل:

أَمَا وَأَبِيكَ لَا أَنْسَاهُ تَدْمِي
 وَبَرْقاً فِي أَنْامِلِهِ إِذَا مَا
 إِذَا ظَمِئْتَ فِرَاحُ أَبِيكَ يَوْمًا
 وَإِنْ جَرَحَ الْأَخْدَاعَ مُطْمَئِنًّا
 وَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ يُدْعَى عَقُوقًا
 مُضَارِبُ سَيْفِهِ الْبَطْلَ الْكَمِيًّا
 تَأَلَّقَ فَتَحَّ الْوَرْدَ الْجَنِّيًّا
 سَقَاهَا مِنْ رِقَابِ الْقَوْمِ رِيًّا
 كَسَا الْأُودَاجَ دِيبَاجًا بَهِيًّا
 فَيَدْعُوهُ الْوَرَى بَرًّا حَقِيًّا (3)

(1) الديوان، ص 250. تروحه: تتعشه.

(2) المصدر نفسه، ص 328. القنفا: كبير الأنف.

(3) الديوان، ص 472.

وقال في رجل من شعراء بغداد:

وُصِفَ ابْنُ يُوسُفَ لِي بِكُلِّ فَضِيلَةٍ
سَاءَلْتُهُ عَن عِلْمِهِ فَكَأَنَّما
وَعَجِبْتُ مِنْ وَسَخِ عَلَى أَطْرَافِهِ
هَذَا الْأَدِيبُ بَرُغْمَ أَهْلِ بِلَادِهِ
وَيُقَالُ إِنَّ الشَّيْخَ يَأْكُلُ دَائِباً
وَرَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ أَثَوَلاً
سَاءَلْتُ عَن سُكَّانِهِ رَبَعاً خَلاً
لَوْ أَعْمَلْتُ فِيهِ الْمَبَارِدُ مَا انْجَلَى
وَالشَّاعِرُ الدَّاعِي إِلَى سُنَنِ الْعُلَا
عَضَلاً يُدَاوِي مِنْهُ خَطْباً مُعْضِلاً(1)

يتحدث عن هذا الشاعر ويصفه بالجنون ويصف ملابسه المتسخة ويقول في تعجب أنه يعيش في المدينة فكيف يرتدي هذه الملابس.

وقال يمازح رجلاً:

مَنْ ذَمَّ إِدْرِيسَ فِي قِيَادَتِهِ
كَلَّمَ لِي عَاصِياً فَكَانَ لَهُ
وَكَانَ فِي سِرْعَةِ الْمَجَى بِهِ
فَلِإِنِّي حَامِداً لِإِدْرِيسِ
أَطْوَعَ مِنْ أَدَمٍ لِإِبْلِيسِ
أَصَفَ فِي حَمَلِ عَرْشِ بَلْقَيْسِ(2)

قال لرجل يدعى ابن حسان:

يَا ابْنَ حَسَّانَ وَالْأَنَامُ ضُرُوبٌ
غَرَّنِي مِنْكَ نَاطِرٌ يُكْثِرُ الْإِطْـ
وَتَكَشَّفَتْ فَالْعَوَارُ الَّذِي مَا
مَوْلَعٌ بِالْقُطُوبِ يُظْهِرُ سُخْطاً
كَنْتُ أَبْقَى عَلَى الْعَدُولِ وَمَا أَدُ
حِينَ تَتَلَوُ أَخْبَارَهُمْ وَصُنُوفُ
رَاقَ سَمْتاً وَشَارِبُ مَحْفُوفُ
زَلَّتْ تَخْفِيهِ ظَاهِرُ مَكْشُوفُ
وَرِضَاهُ إِذَا اسْتَشْاطَ طَفِيفُ
رِي بَأَنَّ الْعَدُولَ طُرّاً لَفِيفُ(3)

(1) المصدر نفسه، ص392. اتولا - مصاب بالجنون.

(2) المصدر السابق، ص262. إدريس : رجل يقال يقود النساء إلى الرزيلة.

أصف - الذي اراد حمل عرش بلقيس من ارض سبأ إلى سيدنا سليمان بن داود

(3) المصدر نفسه، ص308.

(*) أبي إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم بن زهرون الصابي الحراني، أديب عالم، غلبت عليه صناعة الكتابة والبلاغة والشعر، ولد بحران من قرى دمشق 313هـ، وتوفي ببغداد سنة

وهذه المقطوعة يتبين للقارئ الهجاء على طريقة فكاهية.

الشكوى والتظلم:

شكواه دائماً كانت مع الخالدين ومن تعصب لهم، ولزمان عاش فيه
الكرب وفقر طال.

قال لأبي إسحاق إبراهيم بن هلال^(*) وكان كاتباً، لما علم بقدم
الخالدين إلى بغداد حذر السري أبا إسحاق منهما.

قائلاً:

كنت من ثروه القريض، مُحلي
أيها الحفن! غير دمعك هذا
قَطْرَةً لو تَجِفُّ من قُطْرُبِيٍّ
فَاتَّخِذْ مَعْقِلاً لَشِعْرِكِ يَحْمِي—
فتخلّيت منه بالإملاق
إن تلك الحبيب غير الفراق
درست بعدها رسوم الشقاق
ه مروق الخوارج المراق⁽¹⁾

ثم يقول:

يا هلال الآداب يا ابن هلال
أنت من تسهل المعالي عليه
سِلْعَةً ما لمن يحاول حِرْزُ
سوف أهدى إليك من خدم المجد—
صرف الله عنك صرف المحاق
وهي في معشر صعب المراقبي
حيّة ما لمن يساور راقبي
د إماء تعاف قبح الإباق⁽²⁾

ويختتمها واصفاً:

فأنا الغنيظ في صدور الأعداي
وشجاها المقيم في الأحلاق⁽³⁾

384هـ، من آثاره ديوان شعر وديوان رسائل، انظر: النجوم الزاهرة لأبن تغري، دار الكتب

المصرية، القاهرة: ط1— 1933م، ج4/167.

(1) الديوان، ص333-334.

(2) الديوان، ص335.

(3) المصدر نفسه، ص334.

وعندما يناديه يا هلال الآداب، كأنه يستعطف قلبه ويأخذ بعطفه، ويحذر من أعدائه في ختام القصيدة بأنه الشجا الذي يعلق في الحلق.

ويقول:

أَسَلَّمُ لِلْأَيَّامِ أَمْ لَا أَسَلَّمُ وَأَحْمِلُ ظُلْمَ الدَّهْرِ أَمْ أَتَظَلَّمُ
بَكَيْتُ عَلَى شِعْرٍ أُصِيبَ كَمَا بَكَى عَلَى مَالِكٍ لَمَّا أُصِيبَ مُتَمِّمٌ⁽¹⁾

ويقول في الدهر:

يَا دَهْرُ صَافَيْتَ اللَّئَامَ مُسَاعِدَا لَهُمْ وَجَانَبْتَ الْكِرَامَ مُعَانِدَا
فَعَدَوْتَ كَالْمِيزَانِ يَرْفَعُ نَاقِصَا فِينَا وَيَخْفِضُ لَا مَحَالَةَ زَائِدَا⁽²⁾

الشكوى والعتاب، والتظلم لمن ناصر أعداءه كان لها حظ وافر في ديوانه فضرب لها مثلاً في قوله لأبي بركات لطف الله قائلاً:

أَكْفُ تُغَلِّبُ أَنْوَاءَ الْحَيَا الْجَارِي وَنَارُ بِأَسِيهِمْ أَنْكَى مِنَ النَّارِ⁽³⁾

إلى قوله:

بَيْنِي وَبَيْنَ الْجَاهِلِينَ ضَغَائِنُ خَزْرُ النَّوَظِرِ يَقْتَضِينَ طَوَائِلًا
فَلَنْ عَفْوَتُ لَأَسْدِينَ عَوَارِفَا وَلَنْ سَطُوتُ لَأَسْدِينَ زَلَازِلَا
وَتَنَاهَا مِنْهُ دَمِي فَرَجَعَنَ دَا مِيَةَ النُّحُورِ عَوَاطِلَا⁽⁴⁾

في عتابه لشمشاطي⁽⁵⁾، فعاتبه قائلاً:

أَبَا حَسَنِ إِنَّ الْمَكَارِمَ جَمَّةٌ وَأَحْسَنُهَا إِنْصَافٌ خِلُّ مُنَاصِفٍ

(1) المصدر السابق، ص 407.

وتم: إشارة إلى بقاء متمم بن نويرة شاعر عربي يبكي أخاه عندما قتل.

(2) الديوان، ص 166.

(3) المصدر نفسه، ص 297.

(4) الديوان، ص 392.

(5) الشمشاطي: شاعر من شمشاط وأرمنييه وكان معلم كأبناء ناصر الدولة الحمداني، ص 279.

تتاسيتَ وُدِّي من قديمٍ وحادثٍ وأغفلتَ سُكْرِي من تليدٍ وطارفٍ (1)
وشكا حاله التي ساءت عندما ناشد كثيراً من الأمراء وأصحاب العطاء،
في أنات عن زمان وأصابه.

الاعتذار:

وها هو يعتذر للأمير سيف الدولة ويرسل قوافيه لعلها تخرجه من هذا
الصنيع فهو اعتذار لأمير فيه أدب، وطريقة يستميح بها الملك.
قائلاً:

ما كف شاديّة اعتراضُ عتابه بل زاده طرباً إلى أطرابه (2)
وأرى الصبابة إربه لو لم يشب يوماً حلاوتها الفراق يصابه
ومن بعد هذا يتطرق إلى خلافة مع العدو ويتحسر على أيامه قرب
الأمير وجاء يذكر الخالدين ليبين سبب خروجه عندما ضاقت عليه الأرض
وهم بها إلى قوله مخاطباً الأمير.
قائلاً:

فارقتُ مشربَه الذي لا تتطفي ودخلتُ أبوابَ الندامة بعدما
هي زلّةُ الرأي التي نكصَ الغنى فوحقُ نعمته عليّ وطولُه
ما سوّلتُ لي النفسُ هجرَ جنابه أنى وقد نلتُ السماءَ بقربيه
وحويتُ فضلَ المالِ من إفضاله لكنّه رأيٌ حرمتُ رشاده
غُلُّ الحشا إلا ببردِ شرابه عصفتُ بي الأحداثُ عن أبوابه
من سوءِ عقباه على أعقابِه قسماً يقول السامعون كفى به
عند الرحيل ولا اجتنابَ جنابه وبلغتُ قاصيةَ المنى بثوابه
ومحاسنَ الآدابِ من آدابه وبعُدتُ عن تسديدهِ وصوابه (1)

(1) الديوان، ص.

(2) الديوان، ص. الأربة: أراد بها الغاية

الصاب: شجر مر

الاعتذار هنا إلى ملك فقد أخذ شكل واضح فيه الأدب والذوق وطريقه الاستعطاف واعتذار لما بدا منه وفعل، وأنه نادم على فراق السماحة، والجود التي كانت بقربه الأمير، وقد حفاها به وهو يتمنى وأن تعود له هذه الأيام.
العتاب:

قال يعاتب أبا الفوارس سلامه بن فهد وهو من الأمراء قائلًا:

أَيُّ قَوَافٍ يَعِزُّ مُوقِفُهَا	فَيَسْتَرِقُّ الْقُلُوبَ رِيْقُهَا
مصونَةٌ والخطوبُ تَبْذُلُهَا	أَحْسَنُهَا صَانِعَةٌ وَأَرْشَقُهَا
وكان جُودُ الكِرَامِ يُنْبِتُهَا	فصارَ مَنَعُ اللَّئَامِ يُحْرِقُهَا
سيروا إلى المَجْدِ قَبْلَ سائِرَةِ	أَطْلِقَ مِنْهَا السَّبَّ وَأَطْلِقْهَا
إِنْ أَكْسَكُمُ مِنْ مَدَائِحِي جُنَاً	فإِنَّ لِي أَسْهُماً تَمْرُقُهَا
شَوَارِدًا فِي البِلَادِ مَا افْتَرَقَتْ	إِلَّا رَأَيْتَ اللَّيْبَ يَفْرُقُهَا
أَمَّا ابْنُ فَهْدٍ فَقَدْ وَرَدَتْ لَهُ	مَوَارِدًا لَمْ يَكُنْ يُرْتَقُهَا
صَنَائِعُ تُنْشِئُ المَحَامِدَ كَالْ	أَنْوَارِ رَاحِ الحَيَاءِ يَفْتُقُهَا
فَسَائِلُهُ الغَدَاةَ كَيْفَ سَلَا	عَنِ القَوَافِي وَكَانَ يَعِشُقُهَا(2)

هنا يخاطب الامير ويذكره بقوافيه التي كانت محل اعجابه ويقول ماذا جد ايها الامير حتى جافيت قولي وكنت العاشق له، فهو يتحلى بالصبر فعسى أن سحاب الأمير ينزل على أرضه.

(1) الديوان، ص330.

(2) الديوان ص 36-37.

قائلاً في ختامها:

فسوف أستشعرُ الجميلَ من الصنـ
صَبْرٍ عسى اللهُ منه يَرْزُقُهَا(1)
وفي آخر يعاتبُ أبا جعفر، ويبدو أنه من المقربين له أو من أصحابه
يناشده ويذكره بأيامه وعهده أو ما كان بينهم.

قائلاً:

أبا جَعْفَرَ لِمَ تَنْسَى الصَّنِيعَا
وقد كُنْتَ تُحْسِنُ فِي الصَّنِيعَا
أراك تَتَأَسَّيْتَ عَهْدِي الْقَدِيمَ
فضاعَ وما حَقُّهُ أَنْ يَضِيعَا
فلا نازِحُ الوُدِّ يُدْنِي الدُّنُوَّ
ولا غائبُ الشَّرِّ يَنْوِي الرُّجُوعَا
فلولا الحِيَاءُ أراك العِتَابُ
بديعاً من النَّظْمِ يَتَلَوُ بَدِيعَا
مَلُومٌ وَيَخْضَعُ بَعْدَ الْمَلَامِ
فيلذِّعُ لَوْمًا وَيَأْسُو خُضُوعَا(2)

وصف الشيب: نجد ان الشاعر اهتم به وبوصفه

قائلاً فيه:

رَأَتْ شَيْئاً يُضَاحِكُهَا فَصَدَّتْ
وكان جَزَاؤُهُ مِنْهَا العُبُوسَا
وقالَتْ إِذْ رَأَتْ لِلْمِشْطِ فِيهِ
سَوَاداً لَا يُشَاكِلُهُ نَفِيسَا
تَلَقَّ العَاجَ مِنْهُ بِمِشْطِ عَاجٍ
ودَعُ لَآبِنُوسِ الأَبْنُوسَا
فإنَّ أَسِيَّتَ لَجْرِحِ الشَّيْبِ نَفْسِي
فإنَّ الشَّيْبَ جُرْحٌ لَيْسَ يُوسَى(3)
وقال فيه أيضاً:

وزَهَّدَنِي عَارُهَا فِي الخِضَابِ
فجانِبْتُ زُورَ الشَّبابِ المُعارِ
وسرَّحْتُ للشَّعْرِ بالأَبْنُوسِ
فسرَّحْتُ بالعَاجِ شَيْبَ العِذارِ

(1) الديوان ص 330.

(2) المصدر نفسه، ص 285.

(3) المصدر السابق، ص 263.

أُلقي الظلامَ بـمِثْلِ الظَّلامِ وألقى النهارَ بـمِثْلِ النَّهارِ (1)
إذا أصابك فارضى بالذي حل عليك، ودعه ولا داعي إلى تزويره
بالخضاب، فهو شباب معار، وزيف.
وهذه الأغراض اجاد فيها الشاعر وتفرّد بها واطهرت مقدرته الفنيه.

(1) الديوان، ص222.

الفصل الثالث الدراسة الفنية

- المبحث الأول : الصورة الفنية
المبحث الثاني: الموسيقى الشعرية
المبحث الثالث: بناء القصيدة
المبحث الرابع : اللغة والأسلوب

المبحث الأول الصورة الفنية

مفهوم الصورة الفنية:

الصورة الفنية عند العرب ترد أو ترجع إلى ظاهرها، أي بمعنى حقيقة الشيء، وهيئته، يقال صورة كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا أي صفتة⁽¹⁾.

ويقال تصورت الشيء توهمت صورته، فتصور لي، والتساوير التماثيل، ومن أسماء الله الحسنى المصور، قال تعالى في محكم تنزيله: (في أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)⁽²⁾، والمصور هو الذي صور جميع المخلوقات⁽³⁾.
والصورة الفنية تعد جوهر العمل الأدبي، وهي المكون الأساسي لعملية البناء الفني، وهي التي توضح قدرة الشاعر على الخلق والابتكار⁽⁴⁾.
وهي محل اهتمام النقاد قديماً وحديثاً، فعند العرب القدماء تدرج الصورة تحت علم البيان خاصة (البلاغة) من تشبيه - استعارة - وكناية⁽⁵⁾.
العرب من قديم اهتموا بها. انظر مثلاً قول زهير بن سلمى:
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم⁽⁶⁾
وكثيراً ما اهتم بها علي طريق القدماء، مثل قدامة، جاحظ، العسكري وغيرهم .

(1) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، مادة صور

(2) سورة الانفطار، الآية 8.

(3) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، تحقيق عبد الغفور، دار الملايين، الطبعة الثانية، 1984م، مادة صور، ج2، ص717.

(4) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية، الأصول والفروع، الاسد- دار الفكر العربي اللبناني، 1986م، ص16.

(5) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، مكتبة الأقصى، الطبعة الثانية، 1984م، ص12.

(6) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح محمود طه، دار الفكر، بيروت، 1995م، ص117.

ويؤكد الجرجاني(*) على أهمية الصورة البيانية قائلاً: إن الشعر تصوير وإن الصورة الفنية لها عدة عناصر ولكن أهمها الصورة البيانية(1). وفي العصر الحديث توسع مفهوم الصورة الفنية، وتخطى الأنماط البلاغية إلى سعة في الخيال، ونظرة دقيقة، صورة فعلية حسية وطاقات لغوية... الخ، وصف سيد قطب حدود الصورة قائلاً: (إن الصورة لا تقف عند الأشكال البلاغية المعروفة، بل تتجاوزها إلى الوصف المباشر إلى الأشياء)(2). وأول من اهتم بأمرها الرماني قائلاً عن أهمية (الصورة) تكمن في القيمة الجمالية التعبيرية والصورة التي تفتقر إلى هذا العنصر ليست من البلاغة في شيء(3).

وهذه الصورة وما يدور حولها خاصة بالفنان أو الشاعر، علينا أن نستقبلها، كما رسمها وفي أي قالب وضعها، وأكد هذا القول الأمدي إذ قال: (ليس العمل على نية المتكلم وإنما العمل على توجيه معاني وألفاظ)(4).

اهتم النقاد حديثاً بالتحليل البلاغي وركزوا على دراسة الصورة وآثارها التي تحدثها في المتلقي، قال في ذلك جابر عصفور لا تكون الصورة طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجهه من أوجه الدلالة تتحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير ولكن أياً كانت هذه

(*) الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني الدار، إمام في العربية واللغة والبلاغة، وهو أول من استنبط علم المعاني والبيان، صنف شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، ودلائل الإعجاز في المعاني وأسرار البلاغة، توفي سنة 471هـ، انظر: إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، عبد الباقي اليماني، ص 188.

(1) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: التنجي، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 1995م، ج1، ص 77 وما بعدها.

(2) التصوير الفني في القرآن الكريم: سيد قطب، دار الشروق، بيروت، 1982م، ص 23.

(3) رسائل في إعجاز القرآن الكريم: الرماني والخطابي وجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1934م، ص 75.

(4) الموازنة بين أبي تمام والبحثري: الأمدي، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، 1960م، ص 191.

الخصوصية، وذاك التأثير فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى ذاته إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه وتأثيره⁽¹⁾.

ونجد أن الأدب العربي الحديث تأثر بالأدب الغربية، وإن كثيراً من المحدثين أو المهتمين بالصورة الفنية من شعراء ونقاد، تأثروا بالمدارس الأوروبية⁽²⁾. هذه المدارس من كلاسيكية ورومانسية وغيرها أنها قامت بعد القرن الخامس عشر الميلادي إذن في إطار التأثير بها فالأدب متجدد وبه روابط وان هذه المدارس منبثقة من الثقافات الإغريقية ونجد أن الفلسفة الإسلامية لها باع في هذا فالفيلسوف ابن رشد(*) يعتبر الشارح الأكبر الذي استفادت منه أوروبا في شرح أرسطو.

ولا ضير من هذا التأثير، فلم يفقد الأدب العربي خصائصه وطابعه الخاص، لأن هذه المدارس والاتجاهات لا تمحو خصائص الشعوب ولا لغاتها⁽³⁾. وكثيراً من الكتاب أكدوا بأن اللغة العربية حافظت على خصائصها وأنها لم تستق إلا ألفاظ ومعاني قليلة، وهذه الألفاظ تبلورت وأصبحت عربية، ومن الأشياء التي اهتم به العرب حديثاً الخيال حيث يقال عنه: (إنه لغة العاطفة الحارة والشعر الفياض)⁽⁴⁾ وإنه وسيلة للكشف عن الأسرار وليس المقصود به البعد عن الحقائق والجري وراء الأوهام، إنما يقصد به تجسيم الحقائق، وتوضيح وتزيين وتقوية المعنى⁽⁵⁾.

(1) الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي، جابر عصفور، دار الثقافة للطباعة، بالقاهرة، 1974م، ص 8.

(2) الأدب ومذاهبه: محمد مندور، دار النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ص 3.

* ابن رشد هو محمد بن احمد بن رشد فقيه - فيلسوف - طبيب من أهل الأندلس ومن إثارة المقال - التهافت في الفلسفة - الكليات في الطب - انظر - شذرات الذهب - لأبن عماد - ج 5 - ص 31

(3) الأدب ومذاهبه، مندور، ص 54 وما بعده.

(4) البناء الفني على الصبحى - ص 123

(5) لأدب العربية في العصر العباسي الثاني - محمد عبد المنعم خفاجي، ط ، ص 431

التشبيه ودوره في الصورة الفنية:

التشبه والتشبيه لغة: المثل، أشبه الشيء: ماثله.
وفي القرآن الكريم قوله تعالى: (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)⁽¹⁾ قيل بعضه بعضاً. (وقوله الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم
: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)⁽²⁾).

يقول ابن رشيق عنه: (التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع الجهات؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية كان إياه). إذن يرى التشبيه أبداً على الأعراس لا على الجوهر⁽³⁾ وقال القزويني: هو دلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى⁽⁴⁾ ويقال التشبيه محل اهتمام العرب لنصاعة بيانه، وقرب مأخذه وله دور كبير في الصورة الفنية، إنه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً، ولهذا أطبق عليه جميع المتكلمين من العرب والعجم، ولم يستغن أحد منهم عنه⁽⁵⁾. ويقول الجرجاني التشبيه من الأصول وكان جل محاسن الكلام راجع له وللاستعارة⁽⁶⁾.

(1) سورة آل عمران، الآية : 7.

(2) الحديث. صحيح مسلم - شرح النووي

(3) العمدة، 286/1، وضرب مثلاً فلان كالليث شجاعة لا — وزهوته.

(4) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، وكذلك قول ابن سنان في كناية، الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982م، ص246.

(5) الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق على محمد بجاوي وأبو الفضل المكتبة العصرية بيروت ص243.

(6) اسرار البلاغة، الجرجاني، تحقيق محمد محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط2، ص27

ومن خلال هذه التعريفات للتشبيه نجد أن الشاعر السري استخدم التشبيه وتوسل به لإخراج صورته الفنية.

قال :

مِثْلَ الشَّهَابِ مَحْرَقاً أَوْ كَاشِفاً ظَلَمَ الخُطُوبِ بِنُورِهِ أَوْ نارِهِ
أَوْ كَالْحُسَامِ إِذَا مَضَى فِي مَشْهَدٍ شَهِدَتْ مَضارِبُهُ بَعْتُقَ نِجارِهِ
أَوْ كَالرَّبِيعِ الطَّلَقِ واجهَ قَطْرُهُ وَجَهَ الثَّرَى فَاخْضَرَ مِنْ أَقْطارِهِ⁽¹⁾

هنا الشاعر شبه ممدوحه بالهبة والقوة عندما جاء بلفظ الشهاب وهو يراه كالسيف الذي تشهد مضاربه، وتوسل بهذا التشبيه ليقع على آذاننا هذه الصفات الحميدة التي يتحلى به ممدوحه، ويزد فيها بتشبيهه بالربيع الذي أندى وجه الثرى، فنحس بالكرم وعطاءه كيف يبذل الحال من حال إلى حال، وهنا تشبيه عقلي.

قال :

وَعَذارَى كَأَنَّهنَّ مِنَ الحُسِّ نِ عَذارَى سَفَرْنَ لِلعُشاقِ⁽²⁾
شبه النخل وتمره اليانع بالحسن والبهاء بجمال عذرات يظهرن هذا الجمال لعشاقهم، واستخدم بهذا التشبيه ليصل لصورة فنيه رائعة، فكلمة عذارى الأولى للتمر والثانية للفتاة الجميلة، تشبيه محسوس بمحسوس أو مرئي ووجه الشبه الحسن والجمال في كلِّ وقال:

ماءُ النَّعِيمِ على دِيباجِ وَجنتِها يَجولُ بينَ جَنى وَردٍ وَتُفَّاحِ⁽³⁾

(1) الديوان، ص209، والتشبيه بالسيف والشهاب والليث معروف في الشعر العربي فهو من التراث العربي.

(2) المصدر نفسه، ص337، وهذه الصورة في الشعر العربي معروفة.

انظر قول ابن العميد: قامت تظللني من الشمس - نفس أعز على من نفسى

(3) المصدر نفسه، ص123. قال ابن رشيق يضرب مثلاً للتشبيه الأتري قولهم خد كالورد إنما أراد حمرة أوراق الورد وطراوتها وملمسها. العمدة، 1/286.

يشبه الحسناء ذات اللون الصافي وخذها النضر بالورد في ملمسه
ونعومته و يشبه بلون التفاح بجامع الحمرة، وهو تشبيه محسوس بمحسوس.

قال :

والتَهَبَّتْ نَارُنَا فَمَنْظَرُهَا يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ عَجَبٍ
إِذَا ارْتَمَتْ بِالشَّرَارِ وَأَطْرَدَتْ عَلَى ذُرَاهَا مَطَارِدُ اللَّهَبِ
رَأَيْتَ يَاقوتَةً مَشْبَكَةً تَطِيرُ عَنْهَا قُرَاضَةُ الذَّهَبِ (1)

وهنا يشبه هيئة النار وصورتها ترمي بالشرر وقد انتشر اللهب فوقها
وهذا المنظر صورة كأنه ياقوته من ذهب تتناثر حبيباتها، فمنظر شرر محمر
لونه متطاير عندما يشتد يصل إلى درجة إصفرار فينزع الشاعر هذه الصورة
ويتوسل بتشبيه محسوس.

قال في الدولاب:

فَانظُرْ إِلَيْهِ كَأَنَّهُ وَكَأَنَّمَا كِيزَانُهُ وَالْمَاءُ مِنْهَا سَاكِبٌ
فَلَاكُ يَدُورُ بِأَنْجَمٍ جُعِلَتْ لَهُ كَالْعِقْدِ فِيهِ شَوَارِقٌ وَغَوَارِبُ (2)

شبه الدولاب (الساقية) يدور والماء ينصب من هذه الكيزان بأجسام
بيضاء فيها المعلة تظهر وتختفي أثناء حركة الدوران.

(1) الديوان، ص 101.

القراضة: فنان المعدن وأراد به هنا الشرار.

(2) المصدر نفسه، ص 66.

قال :

أرى همةً تختالُ بينَ الكواكبِ وطوداً من العلياءِ صعبَ الجوانبِ
ومرِبِضَ آسادٍ ومعدنَ سُؤدِدٍ وموئلاً مطلوبٍ وغايةَ طالبٍ⁽¹⁾

شبه همة ممدوحه في علو يتباهى بين الكواكب، وحذف الأداة على صيغة أقرب إلى البليغ وهو أبهى التشبيهات، وهنا تشبيه معقول بمحسوس، فأراد العلو والرفعة له، وهذه قيم ترتاح لها النفس العربية إذ الشاعر استلهم هذه الصورة من التراث العربي، وأرى أنه وفق في نقل هذه الصورة ليصل بهذا التشبيه إلى ما أراده من علو الهمة والصفات الجميلة للممدوحة .

وقال :

لي منزلٌ كوجارِ الضَّبِّ أنزِلُهُ ضنكٌ تقاربَ قُطْرَاهُ فقد ضاقاً
أراه قالبَ جسمي حينَ أدخلُهُ فما أمُدُّ به رجلاً ولا ساقاً⁽²⁾

شبه المنزل بجحر الضب لشدة ضيقه، وتوسل بهذا التشبيه ليصف حاله، وضيق هذا المنزل دلالة على الفقر وعسرة والبيت الثاني يستقصي المعنى ويشكو قاصداً لإيضاح حاله، وحال منزله الذي كالسجن. وهنا تشبيه محسوس بمحسوس.

(1) المصدر نفسه، ص 350.

هذه الصورة من التراث العربي، فهي صورة معروفة في الشعر العربي وتظهر جمال التشبيه - وإطلاق ألفاظ في قالب معين تكتمل بصورة الفنان ويظهر ما أراده. لأن العرب قديماً عرفت هذه التشبيهات ففي معلقة عبد الرحمن بن بشكر يقول:

تَمْنَحُ المَرَاةَ وَجْهًا وَاضِحًا مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي الصَّحْوِ ارْتَفَع
وَكأن المَرَاةَ فَرِحَةَ بِهَذَا الحَسَنِ الَّذِي أَطَّلَ عَلَيْهَا.

السري يقول:

للهِ سَيْفٌ تَمَنَّى السَيْفُ شَيْمَتَهُ وَدَوْلَةٌ حَسَدَتْهَا فَخَرَهَا الدُّوْلُ

(2) المصدر نفسه، ص 337.

قال:

له قَلَمٌ تجري النجومُ بجَريه يُطِيعُ له حَتَمَ القَضَاءِ وَيَسْمَعُ
يُدِيرُ سُعوداً أو نُحوساً وإنَّه منَ الفَلَكِ الدَّوَّارِ في الجَوِّ أَسْرَعُ
إذا ما امتطى منه ثلاثَ أناملٍ بدأ ساجداً من تحتها وهي رُكْعٌ⁽¹⁾

شبه القلم بالنجوم في السرعة وهذا معروف (علم التنجيم)، وصور هذه الأنامل كأنها في ركوع وسجود وهذا تشبيهه بمحسوس.

ودور التشبيه في شعر السري يتضح أيضاً في تجسيم وتشخيص⁽²⁾ المعنويات وأطفاء الحركة والحيوية، فإذا نظرت إلى الجامد والمعنوي ألبسهما ثوب الحياة وأعطاهم صفات آدمية.

قال :

حديثٌ كابتسامِ الرِّوَضِ جَادَتْ عليه بفيضِ أدمعها السَّحابُ
وأفداحُ تَفَوَّتِ المِسْكَ طيباً ويكمدُ عندها الذَّهَبُ المُذَابُ
إذا ما الرَّاحُ والأُتْرُجُ لاحا لعينِكَ قلتَ أيُّهما الشَّرَابُ⁽³⁾

(1) الديوان، ص 289 والهدايه بالنجوم كانت معروفة لدى العرب فإنها تجلب السعادة أو النحس كما كان يعتقدون في ذلك الزمان.

(2) التجسيم: هو إبراز المعنى والخاصة إلى هيئة منظور مرئي والتشخيص هو القدرة على خلق الأشكال للمعاني المجردة أو خلق الرموز لبعضها للمعاني المحسوسة أي أن يمنح الشاعر المعنى الآدمي لهما. انظر ابن الرومي حياته وشعره، العقد، ص33، وأيضاً يشير له صاحب البناء الفني، علي علي صبحي، ص 123 وما بعدها.

(3) الديوان، ص 65.

كيف للروض أن يبتسم ولكن هنا الشاعر رآه فرحاً بما نزل عليه من الغيث وهو يتحدث عن منزل، وجدوا هو ومن معه اللذات الصافية، وكأن أفراده من طبيها تفوق المسك عطراً والذهب لوناً، و كأن الورد منها يتفتح.

إلى هذا اكتفي بضرب هذه الأمثلة للتشبيه في ديوانه، قد حفل الديوان بكثير من التشبيه، وإن صح القول فإنه مولع به، ولتشبيهاته قيمة أدبية وتاريخية، وتلاحظ الباحثة أن غالبية التشبيه المستخدم هو نوع المحسوس بالمحسوس، أي : المشبه والمشبه به حسيان وقليل جداً التشبيه الحسي بالمعقول. والمراد بالحسي ما يدرك بالحواس الخمس والعقلي هو ما لا يدرك بالحواس الخمس.

الإستعارة ودورها في تشكيل الصورة الفنية

الاستعارة:

أعار إعارة الشيء ومن الشيء أعطاه إياه إعارة
والعارة، ما تداولوه بينهم وقد أعار منه وعاروه إياه(1).

وقال عنها الجرجاني أعلم أن الاستعارة في الحقيقة هي ، أمد ميداناً أو
أشد افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً، وإحساناً، وأوسع سعة، وأبعد غوراً،
وأذهب نجداً في الصناعة، أسحر سحراً، أملاً بكل ما يملا صدرا ويمتع عقلاً
ويؤنس نفساً وأنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ(2).

وتحدث السكاكي(*) عنها قائلاً: (الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي
التشبيه وتريد به الآخر، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به
كقولك: إن المنية أنشبت أظفارها، وأنت تريد بالمنية المفترس (السبع) بإدعاء
السبعية لها، وإنكار أن يكون شيئاً غير مفترس أوسع مثلاً فتثبت لها ما يخص
المشبه به وهنا الأظفار(3).

وذكر الجاحظ(*) أن (الاستعارة تسمية للشيء باسم غيره إذا قام
مقامه)(4).

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة عور .

(2) انظر: أسرار البلاغة، عبد القادر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ص42وبعدها
(*) السكاكي : يوسف بني أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، الخوارزمي، سراج الدين أبو يعقوب، عالم
بالنحو والتفريق والمعاني والبيان والعروض والشعر، ولد في 3 جمادي الأولى سنة 555هـ ، وتوفي في
خوارزم سنة 626هـ. من آثاره تلخيص المفتاح. معجم المؤلفين، ج 4/148، مرجع سابق.

(3) مفتاح العلوم، للسكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ص369.

(*) الجاحظ هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناي الجاحظية من المعتزلة. ولد في البصرة سنة 163هـ —
وتوفي سنة 255هـ — من آثاره البيان والتبيين — وكتاب الحيوان، انظر: الاعلام للزركلي، ج74/5،
مرجع سابق.

(4) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، الطبعة الأولى، 1968م، 1/116.

والاستعارة محل اهتمام؛ حيث لأنها تكسب الصورة الفنية بعداً فنياً واضحاً، وابن المعتز في كتابه تصدرت الاستعارة المقام الأول في البديع⁽¹⁾. إذن هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة لإرادة المعنى الحقيقي⁽²⁾. الاستعارة المكنية هي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء منه لوازمه، أنظر قوله تعالى: (وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ)⁽³⁾.

والقرآن الكريم أعظم بيان قال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)⁽⁴⁾. إن الظلمات ما أريد بها إلا الضلالة والنور الهدى، والله أعلم.

ولنرى استعارات السري في ديوانه:

قال :

مواطنٌ لم يسحبَ بها الغيُّ ذيلَه وكمَّ للعوالي بينها من مساحبٍ⁽⁵⁾
شبه الغي بشيء له ذيل وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه
وهو سحب الذيل على سبيل الاستعارة المكنية.

قال :

أبيُّ تذلُّ صُروفُ الزمانِ لَدَيْهِ فنتقأدُ بعدَ الإِبَاءِ⁽⁶⁾
شبه صروف الزمان ومصائبه بالإنسان يصيبه الذل والانكسار
فالممدوح لفرط قوته وشجاعته يقهر ويذل صرف الزمان وقد صرح بالمشبه

(1) البديع، ابن المعتز، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990م، ص75.

(2) زهر الربيع، أحمد الحملوي، تحقيق: مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، مصر، ص108

(3) سورة يس الآية 37.

(4) سورة إبراهيم، الآية 1.

(5) الديوان، ص84.

(6) المصدر نفسه، ص15.

وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية والقريظة إثبات الذل لصروف الزمان.

قال :

إِذَا الْقَيْظُ أَخْمَدَ نِيرَانَهُ تَوَاصَى النَّدَامَى بِإِقْصَائِهَا⁽¹⁾
شبه القَيْظ واشتداده بحرارة النار وهي منقّدة، بجامع الأتقاد والحرارة في كل ثم استعار اللفظ الدال على المشبه به (أحمد نيرانه) للمشبه (القَيْظ) على سبيل الاستعارة التصريحية، وجاءت الاستعارة لتوسيع المعنى وتعطية الغاية التي استعير بها كما يقال أن الاستعارة (أبلغ من التشبيه وأفضل منه لأنها مبنية على تناسبه مبالغة في المعنى)⁽²⁾.

قال :

تَبْكِي الْعُلُومُ عَلَيْهِ فِي أَوْطَانِهَا وَرِيَاضُ تَلْكَ الصُّحُفِ وَالْأَقْلَامِ⁽³⁾
شبه العلوم (المشبه) بإنسان تنزل منه الدموع وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية.

قال :

ضَحَكَتْ أَوْجُهُ اللَّذَاذَةِ بِالْفِكَ رِ وَلَا حَتُّ طَوَالِغِ السَّرَّاءِ⁽⁴⁾
جعل اللذة تضحك فهنا شبهها بالإنسان وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية.

(1) الديوان، ص19.العرب تقول قاط يومنا اي اشتد حره - مختار الصحاح-الرازي - مكتبة لبنان ص492

(2) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر، علي علي صبحي، ص167.

(3) الديوان ، ص44.

(4) المصدر نفسه، ص22.

قال :

أَبْنَاءَ الصَّالِبِ تَوَاعَدْتُمْ قَوَاضِبُ تَنْثُرُ الْهَامَ اقْتَضَابًا(1)
قواضب تنثر الهام والرقاب تطيح بها السيوف، هذه صفة تخص
الأزهار استعارها لإثبات النثر للهام ولما له على كثرة ضربهم. وأجراها على
سبيل الاستعارة المكنية.

قال:

كَسَوْتُهُ حَبْرَاتِ الْمَدْحِ مُذَهَبَةً وَقَلْتُ قَدْ مَلَأْتُ كَفِّي بِهِ ذَهَبًا(2)
شبه قصائد مدحه بالحبرات المذهبة، وحذف المشبه واستعار لفظ
المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة كلمة مدح.

وقال :

وَقَطَعْتَهَا وَاللَّيْلُ يَصْدَعُ قَلْبَهُ ضِدَانِ نَارٍ تَسْتَتِيرُ وَمَاءً(3)
استعار لليل (المشبه) صورة إنسان له قلب وحذف المشبه به على سبيل
الاستعارة المكنية.

لعبت الاستعارة في شعره دوراً بارزاً حيث أعطت دورها في تشكيل
صوراً شعرية جميلة، وقوة من المعنى، فالناظر إلى ديوانه يرى أنه عمد إلى
استعارة المكنية أكثر من التصريحية وغيرها، لأن التصريحية يصرح بها بلفظ
المشبه به والمنتية يحذف فيها المشبه والحذف أبلغ من التصريح.

(1) المصدر نفسه، ص 27.

(2) الديوان، ص 65.

(3) المصدر نفسه، ص 17.

الكناية:

وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذٍ،
انظر قوله تعالى: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)⁽¹⁾.

والكناية هي من العناصر البارزة التي يتوسل بها الشاعر في تشكيل
الصورة الفنية، وتقف جنباً إلى جنب مع العناصر الأخرى من تشبيه
واستعارة.

ويقال (الكناية تجسم المعنى المجرد، وتبرزه في صورة محسة
متخيلة)⁽²⁾.

قال السري الرفاء :

رحيبُ الصِّدْرِ يُنْزِلُ أَمْلِيهِ من الأَمَلِكِ أَوْسَعَهَا رِحَاباً⁽³⁾
الكناية في رحيب الصدر كنى بها عن صفة الحلم التي يملكها الممدوح
وعن كرمه وعطاءه.

قال :

سلامةٌ يا خَيْرَ مَنْ يَغْتَدِي سليمُ الزَّمانِ به مُسْتَجِيراً⁽⁴⁾
فقوله (سلامة) وكنى بها عن أبي الفوارس سلامة بن فهد، عن
موصوف.

قال :

أحوالُ مجدِكَ في العُلُوِّ سَوَاءٌ يومٌ أَعْرُ وشيمةٌ غَرَاءُ⁽⁵⁾

(1) سورة الفتح، الآية 10.

الإيضاح في البلاغة، القيرواني، ص 456.

(2) البناء الفني، علي علي صبح، ص 177.

(3) الديوان، ص 26.

(4) المصدر نفسه، ص 206.

(5) المصدر السابق، ص 16.

كناية أحوال مجدك في العلو كناية عن نسبة، أي إنه ذو رفعة وسؤدد،
وعدل على ذلك بإسناد العلو إلى المجد.

وقال :

وَعَادَ عَلَيْكَ عَيْدُكَ مَا تَوَارَى جَبِينُ الشَّمْسِ أَوْ خَرَقَ الْحِجَابَ (1)
كناية عن موصوف وهما الليل والنهار وتعاقبهما، وهذه الكناية أفادت
الليل والنهار أي دوماً.

قال:

لَبِسَتْ مُصَنَدَلَةَ النَّيَابِ فَمَنْ رَأَى قَمراً تَسْرِبِلَ بَعْدَهَا أَثْوَاباً (2)
كناية في قمر تسربل أثواباً كناية عن نسبة.

قال :

إِلَى مَعْقَلِ الْجُودِ الَّذِي جُعِلَتْ لَهُ صُدُورُ الْعَوَالِي وَالسِّيُوفُ مَعَاقِلًا (3)
كناية عن معقل الجود كناية عن الكرم، والسيوف معاقلاً في الشجاعة
واستعداد الجيش. كناية عن نسبة

قال :

وَإِذَا تَتَابَعَتِ النَّوَائِبُ أَحْسَنُوا وَإِذَا تَشَاجَرَتِ الرِّمَاحُ أَسَاؤُوا
كناية عن موصوف إذا تشاجرت الرماح وهي الحرب.

قال :

كُلُّ زَنْجِيَّةٍ كَأَنَّ سَوَادَ الْ لَيْلٍ أَهْدَى لَهَا سَوَادَ الْإِهَابِ (4)
كناية عن موصوف السفينة.

(1) الديوان، ص28.

(2) المصدر نفسه، ص107.

(3) المصدر نفسه، ص362.

(4) المصدر السابق، ص46.

قال :

أبا تغلبٌ صبراً وما زلتَ صابراً إذا زلَّ حزمٌ ثابتٌ أو هفا لُبٌ(1)
كناية أبا تغلب عن موصوف وهو يقصد الغضنفر بن ناصر الدولة،
واللقب يرجع إلى قبيلة تغلب العربية.

قال :

وببيضٍ إذا اهتزتْ ترققَ ماؤها وهنَّ إلى ماءِ النفوسِ صَوَّادي(2)
كناية (وببيض) وهي السيوف، موصوف وكلمة اهتزت اعطت الصورة
قوة.

قال :

إذا نزلوا فأقمارٌ بليلاً وإن ركبوا فآسادٌ غضابٌ
كناية (أقمار) صفة عن الجمال (فآساد) كناية عن الرفعة والسؤدد
والشجاعة.

إذن الكناية في شعر الشاعر الرفاء-أدت دورها إذ أعطت الصورة
حيوية، وصبغة جمالية، وبرزت الصورة الشعرية لديه.

(1) الديوان ، ص61.

(2) المصدر نفسه، ص138.

المحسنات البديعية

قال عنها ابن المعتز ان هذا الفن من قديم وجد في القرآن الكريم والسنة وكلام الصحابة- وفي العصر العباسي أكتمل البديع كمذهب فني، ووصل إلي درجة لم يصل إليها في العصور السابقة، وذلك بسبب التغير الذي طرأ على العصر (1) ويقول الجرجاني عن إنسان العصر (اختار الناس من الكلام ألينه أسهله واحتذوا بشعرهم في هذا ، وترفقوا ما أمكن وكسوا معانيه ألطف ماسنح من الألفاظ) (2) وقال عنها عبدالله الطيب أنها زينة حيث ان العرب تزين كلامها به لأن الزينه طبع في البشر بدواً أو حضراً (3) وأولاً الجناس:

الجناس: يقال : هذا يجانس هذا أي: يشاكله⁽⁴⁾

وهو ما اتفق ركناه لفظاً واختلفاً معنى بلا تفاوت في تركيبهما، ولا اختلاف في حركاتهما ويشمل ذلك نوع الحروف وعددها وهيئتها، ولا عبرة في حركة الحرف الأخير أو سكونه لأنه خاضع لمحل نئو الجناس منه تام وناقص .

الجناس التام:

هو ما اتفق ركناه لفظاً واختلفاً معنى بلا تفاوت في التركيب.

الجناس الناقص: وهو أن يقع تجانس اللفظين في الحروف والحركات مع الاختلاف في عدد الحروف.

-
- (1) إنظر البديع ، لإبن المعتز ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ط1 ص 15.
 - (2) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني ، ص 18.
 - (3) المرشد إل فهم اشعار العرب ج 4 ، ص 667 .
 - (4) اللسان العرب ، ابن منظور ، مادة (جنس).
 - (5) الإيضاح ، القيزويني ، ج 4 ، ص 405 .

ومن أمثلة الجناس في شعر السري: قال :

يَعُدُّ حِيَاضَ غَمْرَتِهَا عِذَابًا إِذَا مَا عَدَّهَا قَوْمٌ عَذَابًا(1)
(عذابا - عذابا) جناس ناقص.

قال :

فَإِنْ كَانَ فِيمَنْ غَيَّبَ التُّرْبُ تَرْبُهَا فَمَرِيمٌ مِنْ دُونِ النِّسَاءِ لَهَا تَرْبٌ(2)
(الترب - تربتها) جناس ناقص (تربها - ترب) جناس تام.

قال :

كَمْ مَعْرَكٍ عَرَكَ الْقَنَا أَبْطَالُهُ فَسَقَاهُمْ فِي النَّقْعِ سُمًّا نَاقِعًا(3)
(النقع - ناقعا) جناس ناقص.

رَمَى اللَّهُ رَيْبَالَ الْقَرِيضِ بِرَيْبَالٍ وَمُغْتَالٌ مَا حَيَّرْتُ مِنْهُ بِمُغْتَالٍ(4)

جناس تام ريبال الأولى الأسد الثانية الذئب

قال :

لَمْ تَتَّكَشِفْ عَنْهَا الْبَرَاقِعُ لَوْعَةً إِلَّا وَالْبَسَافَةَ الْحِيَاءُ بَرِاقِعًا
كَتَمَتْ سُجُوفُ الرَّقْمِ ذَائِعَ حُسْنِهَا وَأَعْدَنَ مَكْتُومَ الصَّبَابَةِ ذَائِعًا(5)
(ذائع - ذائعا) جناس تام:

قَبِلْتُ عَلَى الْكُرْهِ نَيْلَ الْبَخِيلِ وَقُلْتُ قَلِيلٌ أَتَى مِنْ قَلِيلِ
تَعَجَّبْتُ لَمَّا ابْتَدَا بِالْجَمِيلِ وَمَا كَانَ يَعْرِفُ فِعْلَ الْجَمِيلِ(6)

(1) الديوان ، ص، 27.

(2) المصدر نفسه ، ص، 60 .

(3) المصدر نفسه ، ص، 275 .

(4) المصدر نفسه ، ص، 384.

(5) المصدر نفسه ، ص، 274 .

(6) المصدر السابق ، ص، 389.

(قليل - قليل) (جميل - جميل) جناس تام.

قال :

ظعائنُ أشرقَتْ بالدمعِ عيني وقد شَرِقَتْ بها تلك الشُّعَابُ(1)
(أشرقَتْ - شَرِقَتْ) جناس ناقص.

قال :

وإذا ما اختلفتْ أسهُمُها فأصابتْ بطلَ القومِ بطلُ(2)
(بطل - بطل) جناس ناقص (بطل شجاع: الطل أو المطر).

قال :

فسلِمْتَ من نوبِ الزَّمانِ ولا غداً شانيك من معنى السَّليمِ سَليماً(3)
قال :

وأسفرَ حَظِّي لَمَّا رآكَ بيني وبينَ اللَّيالي سَفيراً(4)
جناس (أسفر - سفيراً) جناس ناقص.

ومن خلال هذه الأمثلة للجناس عند السري الرفاء أرى أن الرفاء قد ألم بأطراف هذا الفن فأعطى شعره نشوة وطرباً.

(1) الديوان ، ص28، شرقت: غصت.

(2) المصدر نفسه، ص377.

(3) المصدر نفسه، ص419.

(4) المصدر السابق ص 206

الطباق:

الطباق غطاء كل شيء وأطبق الشيء ماساواه وتطابق الشيئان –
تساويا⁽¹⁾:

الطباق (هو الجمع بين الشيء وضده من جزء واحد أو أجزاء الرسالة أو
الخطبة أو من أبيات القصيدة، مثل الجمع بين السواد والبياض، والليل والنهار،
والحر والبرد)⁽²⁾.

قال :

وظِلُّ لا يُمازِجُهُ هَجِيرٌ
والطباق في (ظل وشمس)

وشَمْسٌ لا يُكَدِّرُها ضَبابٌ⁽³⁾

وقال :

وإذا عَبَسَتْ فَصارِمٌ ومَنِيَّةٌ
(عبست - ابتسمت).

وإذا ابْتَسَمْتَ فمَوْعِدٌ وَعَطاءٌ⁽⁴⁾

قال :

ويجعلُ بَشْرَهُ يَذرُ الأَعادي
(جنوباً - شمالاً).

فَيَبْعُثُهُ جَنوباً أو شَمالاً⁽⁵⁾

قال (من الرجز):

قد أَعْتَدِي والصُّبْحُ في إِقدامِهِ
(الصبح - الليل).

واللَّيْلُ قد أَعْرَضَ لانيهزامِهِ⁽⁶⁾

(1) لسان العرب - ابن منظور، مادة طبق.

(2) الصناعتين - العسكري ص 316.

(3) (الديوان، ص 16.

(4) المصدر نفسه، ص 354.

(5) المصدر نفسه، ص 430.

(6) المصدر السابق، ص 418.

قال :

اللهُ جَارُكَ ظَاعِنًا وَمُقِيمًا وَضَمِينُ نَصْرِكَ حَادِثًا وَقَدِيمًا⁽¹⁾
(حادثاً - قديماً).

المقابلة:

المقابلة (إيراد الكلام ثم مقابله بمثله من المعنى أو اللفظ على جهة
الموافقة أو المخالفة)⁽²⁾.

قال السري:

وَعَادَ رَأْيُكَ لِي سُودًا مَشَارِقُهُ وَكَنتُ أَعَهْدُهُ بِيضًا مَغَارِبُهُ⁽³⁾
المقابلة (سوداً مشارقه - بيضاً مغاربه). :

بَصِيرَةٌ لَيْلٍ وَلَكِنَّهَا ضَرِيرَتُهُ عِنْدَ إِصْبَاحِهَا⁽⁴⁾
بصيرة - ضريرة

(ب) حسن التعليل:

وهو أن يدعي الأديب وصف علة مناسبة غير حقيقية، ولكن فيها حسن
وطراوة، ويزداد بها المعنى المراد الذي يرمي إليه الأديب جمالاً وإشراقاً⁽⁵⁾.
قال -

وَإِذَا بَحَارِ الْمَكْرَمَاتِ تَدَفَّقَتْ فَجَمِيعَهَا تَمْتَارُ مِنْ أَدْنَاءِهَا⁽⁶⁾

(1) الديوان، ص 418.

(2) الصناعتين، العسكري، ص 346.

(3) الديوان، ص 51.

(4) المصدر نفسه، ص 129.

(5) البلاغة تطور وتاريخ - شوقي ضيف - دار المعارف - القاهرة - ص 96

(6) الديوان، ص 302.

المبحث الثاني الموسيقى الشعرية

يقول إنيس: (الموسيقى الشعرية هي الجرس اللفظي مع وجود انسجام في توالي المقاطع)⁽¹⁾.

ويقول أيضاً^(*) أن (الشعر ليس إلا كلاماً موسيقياً تتفاعل لموسيقاه النفوس وتتأثر به القلوب)⁽²⁾.

وقال شوقي ضيف: (لا يوجد شعر دون موسيقى ينجلي فيها جوهر وجوهه الزاخر بالنغم، تؤثر في أعصاب السامعين، ومشاعرهم، ومن قديم يتغنّى الشعراء بأشعارهم، وكأنهم يريدون أن يستكملوا بالغناء نقص التعبير الموسيقي في أشعار الموسيقى لب الشعر وعماده التي لا تقوم له قائمة بدونه)⁽³⁾.
وتنقسم الموسيقى إلى:

1/ الموسيقى الخارجية:

ويقول صاحب عيار الشعر أنها الكلام الموزون المقفى (لذلك يقال إن الشعر الموزون إيقاع يطرب)⁽⁴⁾.

والوزن والقافية هما ركنا الموسيقى الخارجية.

الوزن والقافية أعظم أركان الشعر وأولاها به خصوصية⁽¹⁾.

(1) موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، 1965م، ص8 وما بعدها.
(* إبراهيم أنيس، ولد بالقاهرة، الباحث اللغوي المجمع، ولد سنة 1324هـ - 1906م، والتحق بدار العلوم العليا وتخرج منها حاصلاً على الدبلوم العالي في سنة 1930م، وعمل مدرساً في المدارس الثانوية، وفي جامعة لندن حصل على البكالوريوس ثم الدكتوراه في سنة 1941م، توفي 1398هـ - 1978م، من كتبه الأصوات اللغوية، موسيقى الشعر، دلالة الألفاظ، من أسرار العربية، في اللهجات العربية، انظر: ترجمته في تنمية الإعلام - 1415هـ، 1976م - محمد خير رمضان يوسف، ط2، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت: 1422هـ - 2002م، ج1، ص 11.

(2) موسيقى الشعر، ص 10.

(3) فصول في الشعر ونقده، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1965م، ص8 وما بعدها.

(4) معيار الشعر: محمد بن طباطبأ، تحقيق: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1982م.

2/ الموسيقى الداخلية:

وهي الناشئة من تلاؤم الحروف والحركات وتعلقها بالألفاظ وتجانسها⁽²⁾.

ومن خلال دراسة ديوان الرفاء نبحر فيه لنرى البحور التي نظم عليها الأوزان.

عدد القصائد والمقطوعات	البحر	مسلسل
86	الطويل	1
78	الكامل	2
54	البسيط	3
45	الوافر	4
41	الرجز	5
31	المتقارب	6
28	المنسرح	7
26	السريع	8
26	الخفيف	9
6	الهزج	10
4	الرمل	11

وبناء على ما تقدم في هذا المجال يمكن القول: إن بحر الطويل أكثر البحور التي نسج عليها الرفاء قصائده ومقطوعاته، وبالنسبة لأغراض التي تناولها السري في ديوانه؛ فالوصف والمدح أكثر الأغراض فبحر الطويل ضرب منة للوصف أكثر من المدح في ديوانه. وقال عنه صاحب موسيقى الشعر.

(1) العمدة، 141/1.

وقال العقاد(الفن الكامل هو الذي توافرت له شروط الوزن والقافية وتقسيمات البحور والأعاريض التي تعرف بأوزانها وأسمائها). اللغة الشاعرة، العقاد.

(2) انظر في النقد الأدبي، شوقي ضيف، ص97.

والطويل يقال عنه (ليس من بين البحور ما يضارع بحر الطويل في نسبه وشيوعه).

والبحر الثاني ترتيباً في ديوان الرفاء (الكامل)، أكثر قصائده في المدح جاءت من الكامل، ثم الوصف، ومن بعدها الأغراض الأخرى، ويقال عنه سمي كامل لتكامل حركاته⁽¹⁾.

أما بحر البسيط فقد نسج منة قصائده في المدح أكثر من الوصف. والوافر نسج عليه كثير من المدح. أما الوصف فكان قليله قصائده. أما الرجز فإن الوصف في ديوانه قد شاع في هذا البحر أي أن مقطوعات وقصائد الوصف معظمها جاءت على بحر الرجز. المتقارب: جاءت مقطوعات الوصف فيه أكثر من المدح مع وجوده في الأغراض الأخرى.

المنسرح : ورد منه في الوصف أكثر من الأغراض الأخرى

وصاحب المرشد يقول عن بحر بسيط مناسب، طبلي موسيقي، يصلح لكل ما فيه تعداد للصفات، وتلذذ بجرس الألفاظ، وأشار إلى أن تجويد الصناعة فيه فللسري مقطوعاته الوصفية، وكذلك قصائد مدح فإن جاء قياساً على حديث صاحب المرشد فإن الرفاء أجاد إلى حد ما في صنعه. والكامل يقول عبد الله الطيب فيه هو بحر أكثر البحور جلبة وحركة، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله أن أريد به الجد فخماً جليلاً مع عنصر الترتم الظاهر⁽²⁾.

(1) الوافي في العروض والقوافي، التبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط4، 1986م، ص 78.

(2) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب، 303/1.

ويقول عن البسيط كذلك من أعظم البحور أبهة وجلالة وإليه يعمد أصحاب الرصانة. انظر المصدر السابق، ص 3-2. وطالما عمد إليه السري فهو من أهل الرصانة.

وكذلك السريع والخفيف والهزج والرمل صاغ عليها الشاعر ونظم
عليهن في أغراض شعره، إذن السري نظم درر شعره على إحد عشر بحراً.

القافية:

ويقول الخليل بن أحمد هي (آخر حرف ساكن في البيت إلى أول ساكن
بليه من قبله مع الحرف الذي قبل الساكن)⁽¹⁾.

والقافية كما ذكرت آنفاً هي الشق الثاني المكون للموسيقى قيل: (القافية
شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى الشعر شعراً، حتى يكون له
وزن وقافية)⁽²⁾.

وللقافية أقسام بحسب شيوعها هي نذل ونفر وحوش⁽³⁾:
والقوافي الذلل: هي الباء الدال والراء العين والميم والياء.

قال :

وطيف حبيب خاف طيف رقيه
فزار وسار خائفاً مترقبا⁽⁴⁾
التاء وقال: منها ستة من قصيدة ومقطوعة:

قال :

وأقبل الليل على ميقات
ونشر الغرب الممسكات⁽⁵⁾
الدال: منها قال :
أمير الندى إن التاء خلود
وإن القوافي السائرات جنود⁽⁶⁾

(1)العمدة، ج1/151.

(2) المصدر نفسه.

(3) المرشد ، عبد الله الطيب ج1/57.

(4)الديوان ، ص41.

(5)المصدر نفسه، ص109.

(6) المصدر السابق، ص164.

الراء ومنها:

والمكرّماتُ حديثٌ عنك مسطور⁽¹⁾ إنَّ السَّماحةَ أخلاقٌ عُرِفَتْ بها

العين: قال:

بين النَّدامى فليسَ تَجْتَمِعُ⁽²⁾ كأسُكْ قد فُرِّقَتْ مفاصلُهُ

الميم: قال:

وناره من كلِّ أفقٍ تَضَطَّرِمُ⁽³⁾ فاطرَدَ الماءُ على أرجائه
وحلَّت الرِّيحُ نِطاقَ مُزْنِه

الياء قال :

يرومُ من الصِّفا العِطشانُ رِيًّا⁽⁴⁾ قَصَدْتُكَ لم أُرِد رِفداً وأنى

القوافي النفر:

الزاي، الصاد، الضاد، الطاء، الهاء، الواو، الزاي وصاغ عليها جميعاً

الزاي صاغ فيها ثلاث مقطوعات:

بعدَ أن فازَ من قفاه بكنزٍ كيفَ يخشى المِلحي رِقَّةَ حالٍ
بين تيسٍ من الرِّجالِ وعَنزٍ⁽⁵⁾ ولهُ غُرْفَةٌ يُؤلَّفُ فيها

الصاد: نظم منها قصيدتين قال :

وشاهدي بالفضلِ عيبُ الناقصِ⁽⁶⁾ وعابَ إبريزَ الخالصِ الخالصِ

الضاد: صاغ ستة قال:

(1) المصدر السابق، ص176.

(2) المصدر السابق ، ص280.

(3) المصدر نفسه، ص425.

(4) المصدر السابق، ص471.

(5) المصدر السابق، ص255 - المرشد، 1/58.

(6) المصدر السابق، ص266.

بَعَثْتُ لَهَا جِسْمًا لِحَاظِ عَيْونِهِ إِذَا أَعْرَضَتْ حَتْفٌ لَهَا تَعَرَّضًا (1)

الطاء:

وَرَكَّبَ أُمَّمًا قَحَطًا
فَحَطُّوا رَحَلَهُمْ مِنْهُ
نَ وَاللَّيْلُ بِهِمْ يَسْطُو
بِوَادِي الْجَدْبِ إِذْ حَطُّوا (2)

الهاء: قال:

قال يصف الموصل:

تُعَانِقُ رِيحُهَا لِمَمَ الْخُزَامِي
وَأَعْنَاقَ الْقَرَنْفَلِ فِي سُراها (3)

الواو: جاءت في الديوان قصيدة واحدة -

مَحَوْتَ صَحَائِفَ اللَّذَاتِ لَمَّا
فَأَضْمَرَ نَائِكَ الْحَنَّانُ هَمًّا
مَحَوْتَ بِهَا سَطُورَ الزَّفَنِ مَحَا
وَأَعْلَنَ صَنْجُكَ الصِّيَّاحِ شَكْوَى (4)

ثالثاً: الحوشي: وهى الناء - الخاء - الذال - الشين - الطاء - الغين.

الطاء: لم يصغ عليها وهى من الحوش.

الخاء: صاغ منها واحدة.

قال:

أُنخْتُ فِي حَانَةِ أُتْرُجَّةٍ
وَحَبَّذا حَانَتُهَا مِنْ مُنَاخٍ (5)

الذال: كذلك صاغ عليها واحدة:

قال:

شَيْخٌ لَنَا مِنْ شَيْوِخِ بَغْدَادِ
أَغَذَّ فِي اللَّهِوِ أَيَّ إِغْذَاذٍ (1)

(1) المصدر السابق ، ص268.

(2) الديوان ، ص273.

(3) المصدر نفسه، ص464.

(4) المصدر السابق، ص467، الزفن: الرقص.

(5) المصدر السابق، ص130، مناخ: مبرك الإبل.

الشين: لم يوليها اهتمام غير موجودة في ديوانه.
الطاء: وهي كذلك كالشين والطاء وكذلك الغين.
القوافي الحوشي إذن صاغ على الخاء، الذال وأهمل البقية.

الروي:

هو جزء لا يتجزأ من القافية يتكرر في نهاية أبيات القصيدة وعليه تبنى القصيدة وإليه تتسبب⁽²⁾.

1- مطلقة: وهي التي يكون الروي فيها متحركاً.

2- مقيدة: وهي التي يكون الروي فيها ساكن.

أكثر القوافي مطلقة وقليل من المقيدة.

إن الشاعر قد حافظ على الأوزان والقوافي كما هو معروف في الشعر العربي، وبذلك حافظ على موسيقى شعره فجاء شعره مستقيم الوزن عذبة موسيقاه.

(1) المصدر السابق، ص174.

(2) القافية في العروض والأدب، حسين نصار، دار المعارف، القاهرة، 1980م، ص40.

المبحث الثالث بناء القصيدة

البناء الفني يراد به بناء الشعر، وطريقة تركيبه، قال ابن سلام: (الشعر محتاج إلى البناء والعروض والقوافي)⁽¹⁾.

فبناء القصيدة هو منهجها وكيفية التي ترتب بها عناصرها. وفي العصر العباسي الذي يعتبر محور التغيير، وخاصة في الشعر فقد أحدث تغيير في الاستهلال، والخاتمة، والأسلوب وغيرها مع هذا التغيير هناك من ينادي بالمحافظة على القديم⁽²⁾.

وأشار عز الدين إسماعيل إلى أهم تغيير يراه وهو ظهور تيار القصيدة المحكمة البناء، ويقول كل قصيدة ذات مقدمة قد تطول وقد تقصر ومدخل ينزلق منة الشاعر إلى موضوعة الرئيسي ثم خاتمة

ويشمل بناء القصيدة على المطلع، وحسن التخلص ثم خاتمة القصيدة.

أولاً: مطلع القصيدة:

اهتم النقاد بمطلع القصيدة، وتحسين بدايتها، فهي مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ما يبتدئ به ليجذب السامع، ويقول ابن رشيق (بأنه أول ما يقرع السمع فيه يستدل على ما عنده من أول وهلة).

فإذا كان الاستهلال سيئاً حط من مكانة الشاعر ولم يجد من ينتبه أو يسمع له⁽³⁾.

(1) طبقات فحول الشعراء، محمد سلام الجمحي، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1974م، 56/1.

(2) الرؤية والفن، عز الدين إسماعيل، ص 409 وما بعدها.

(3) العمدة، 217/1.

والنقاد عندما أشادوا بحسن الابتداء لامرئ القيس في مشهورته قالوا:
إنه بكى واستبكى، ووقف واستوقف منذ البداية فكان الاستهلال جيداً.

ماذا عن استهلال السري ومطالعه؟

الرفاء في مطالعه قلد القدماء ومشى على نهجهم ببدايات غزلية
وغيرها، ونهج الجديد كطريق من سبقوه واستهلاله بالخمير أو الدخول مباشرة
إلى مرمى قصيده:

قال يمدح، واستهلها بذكر الغزل قائلاً :

يُعْضُ الطَّرْفَ عَنْ وَرْدِ الخُدُودِ	وَيُعْرَضُ عَنْ مُهْفَهَقَةِ القُدُودِ
مُقَرَّرٌ لِلْعَوَاذِلِ بِالتَّصَابِي	مُقِيمٌ لِلوُشَاةِ عَلَى الجُحُودِ
أَفَادَ بِهِ الهَوَى شَوْقًا طَرِيفًا	يُضَرِّمُ لوعَةَ الشَّوْقِ التَّلِيدِ
وَمِنْ جَوْرِ الهَوَى أَنْ رَاحَ يُزْجِي	مَطَايَا البَيْنِ فِي أَثَرِ الصُّدُودِ ⁽¹⁾

وكثيرة من قصائد المدح، مطلعها غزلي، ولكن تجدر الإشارة إلى أن
قصائده التي عبر فيها عن وقائع سيف الدولة ضد الروم معظمها وأكثرها يبدأ
بالموضوع مباشرة .

قال يهجو علي بن العصب الملحي

أَرْبُعَاءُ حُسَامُهُ مَشْهُورٌ	حِينَ يَأْتِي وَشَرُّهُ مَحْذُورٌ
نَتَوَقَّاهُ أَوَّلَ الشَّهْرِ إِنْ دَا	رَ وَنَخْشَاهُ آخِرًا لَا يَدُورُ
فَاعْدُ سِرًّا بِنَا إِلَى قَفْصِ المَلِّ	حَيِّ فَالعَيْشُ فِيهِ غَضُّ نَضِيرُ
نَتَوَارَى مِنَ الحَوَادِثِ وَالدَّه	رُ خَبِيرٌ بِمَنْ تَوَارَى بَصِيرُ
مَنْزِلٌ فِي فِنَاءِ دِجْلَةَ يِرْتَا	حُ إِلَيْهِ الخَلِيعُ وَالمَسْتَوْرُ ⁽²⁾

(1) الديوان، ص151.

(2) المصدر نفسه، ص204.

وفي شكواه ضد أعدائه أو الزمن تشعر ببداياته تحكي ما يولج في صدره، قال يتظلم من الخالدين:

هَلِ الصَّبْرُ مُجْدٍ حِينَ أَدْرَعُ الصَّبْرَا وهل ناصرٌ للشَّعْرِ يُوسِعُهُ نَصْرَا
تَحَيَّفَ شِعْرِي يَا ابْنَ فَهْدٍ مُصَالَتْ ظلومٌ فقد أَعْدَمْتُ منه وقد أَثْرَى (1)

والوصف معظمه في المقطوعات وكذلك الأخوانيات والخمر وما يتعلق بها هذه المقطوعات عددها في الديوان مائة وأربع وستون مقطوعة، وقال عبد الله الطيب مفسراً وميل الشعراء إلى المقطوعات يعود إلى مزايا أهمها (أوقع بالقلوب، وأسرع في الحفظ وأعلق بالألسن وأجمع للمعاني⁽²⁾).

ثانياً: التخلص وحسن الخروج:

حسن التخلص هو: (أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى إلى آخر يتعلق بممدوحه يتخلص سهل يختلسه اختلاصاً رشيقاً، دقيق المعنى إلى معنى لا شعر السامع بالانتقال من المعنى الأول وقد وقع في الثاني لشدة الممازحة والانسجام بينهما، حتى كأنهما أفرغا من قالب واحد)⁽³⁾.

وعند دراسة شعر السري وقفنا على هذه الظاهرة الشعرية فهو قد وفق في ربط بين المقدمات ثم الولوج إلى الموضوع بطريقة سهلة مميزة.

ففي قصيدة يمدح فيها مطلعها غزلي تحدث عن البرق والحياء قال :

تَهَيَّبْهِ وَرْدُ الرَّدَى لَوْ تَهَيَّبَا ربائبَ في الأظعانِ يُحَسِّنَ رَبْرَبَا
مَلَكْنَ بِتَقْلَيْبِ النَّوَظِرِ قَلْبَهُ فقد أَمِنْتُ في الحبِّ أن يَنْقَلَبَا (4)

(1) الديوان، ص210.

(2) المرشد، عبد الله الطيب.

(3) مناهج البلغاء، حازم القرطاجيني، تحقيق محمد الحبيب، دار المغرب الاسلامي بيروت 1986 ص319

(4) الديوان ص 41

إلى قوله:

فبات كأنَّ الرِّيحَ في جَنَبَاتِ
وساجِلَ معروفَ الوزيرِ ومَن له

وقال يمدح بقصيدة مطلعها غزلي:

هذه الشمسُ أوشكتُ أن تغيبا
أوجبتُ لوعةَ الفراقِ على الصَّبِّ

وهذه المقدمة تحدث فيها الشاعر عن الفراق والرقيب الحي.

إلى قوله:

قد قطعنَ البلادَ شرقاً وغرباً
ونزلنا بكلِّ مُجتَدِبِ المن
قَرُبَ الوعدُ والنَّوالُ بعيدُ

ثم الولوج إلى الممدوح:

فدَعَوْنَا أبا الفوارسِ للجُـو
وهزَـزناه للمكارمِ فاهتَزَّ
فرأينا مُهذَّبَ الفِـعْلِ يُكسَى

وقال يمدح الأمير سيف الدولة :

أَمِنَ المدامَةَ تَنَثَّي سُكْرَا
نثرتُ فريدَ الدَّمعِ حينَ رَأَتْ
إِنَّ الوَداعَ وإن سَعِدْتُ بِهِ
لَمَّا رَأَتْ لِلبَّيْنِ رَائِعَةً
ضاقَتْ بأدمُعِها الجفونُ كَمَا

أَم قَد سَقَتَكَ جُفونُها خَمْرَا
صَبًّا يُقَادُ إلى الرَّدَى نَثْرَا
لِيَزِيدُ كَامِنَ لوعتي حَرًّا
تَطوي الوِصالَ وتَنشُرُ الهَجْرَا
ضاقَ المودُّعُ بالهوى صَدْرَا

(1) الديوان، ص52.

وإذا رأيت نوالهم ثمداً
أكف يدك عن اللئام ولو
ثم ينزلق إلى الممدوح قائلاً:
والى الأمير سرّيتُ مرتدياً
فالحظُّ بين طلابك البحرا
أضحت يدك من الغنى صِفراً⁽¹⁾
بعزيمة تدع الدجى فجرا
وحسن التخلص كثير في الديوان اكتفي بهذه الأمثلة.

(1) الديوان ، ص211.

الخاتمة:

يقول ابن رشيق عنها (الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً لا زيادة عليه، ولا يأتي بعده بأحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه)⁽¹⁾. قال الرفاء يمدح ممدوحه ويصف ليلة شرب فيها على بركة، وهو يحكي عن ليلاها المضيء بسبب الشموع التي أضاءت الموضع ويصف ما فيها من حسن وجمال.

قائلاً في مطلعها:

أحوالُ مجدِكَ في العُلُوِّ سَوَاءُ
أصبحتَ أعلى الناسِ قِمَّةً سُوْدُودِ
يَوْمٌ أَغْرُ وشيْمَةٌ غَرَاءُ
والناسُ بعدَكَ كلُّهمْ أَكْفَاءُ
فجاءت الخاتمة محكمة.

قائلاً:

يا سيِّدَ الوزراءِ نلتَ من العُلَى
هي ليلةٌ لا زلتَ تلبسُ مثلها
أغنيتَ قوماً حينَ هزَّ غناؤها
وقطعتها والليلُ يصدعُ قلبه
والمجد ما يعيا به الوزراءُ
في نعمةٍ وُصِلتَ بها السَّراءُ
عطفيكَ ربَّ غنى حَداه غناءُ
ضدانِ نارٍ تستنيرُ وماءُ
لهمْ بطولِ بقائكِ النِّعماءُ⁽²⁾
نعمَ البريةُ في بقائكِ فلتدُمُ

(1) العمدة، 243/1.

(2) الديوان، ص16-17.

وقال يمدحه بمقدمة غزلية، ومن ذلك يتحدث عن ممدوحه وبطولاته ثم
يختمها قائلاً :

تخَيْرَ المجدُّ أعلى نسبةً فغداً إلى عليّ بن عبد الله ينتسبُ
ثلاثةٌ منه تجلو كلَّ داجيةٍ جبينه وغرارُ السيفِ والحسابُ⁽¹⁾

وقال يمدح ويعتذر من خروجه حلب من غير إذن الأمير بمقدمة
غزلية، ثم يحكي ما حدث بينه وبين الوشاة والحساد.

وقال في الختام يرجو أن يعود له مورده وصفاءه ويزيل ما غرس
الحساد.

قائلاً:

فحسى الزمانُ يبُلُّ حرَّ جوانحي بصفاء مَورِدِهِ وبَرْدِ حَبَابِهِ
فأفوزَ بالعذبِ النَميرِ وينطوي كَشْحُ الحسودِ على أليمِ عَذَابِهِ

وختمها بالدعاء ومعظم قصائده المدحية الطويلة يختمها يذكر بألفاظه
وشعره المنظوم فيهم، وكأنها تذكره لهم، فالأمر واضح هذا المدح أغلبه من
أجل التكسب. أما مقطوعاته فجاءت محكمة المطلع والخاتمة.

وخلاصة القول كان السرى يفتتح بمقدمات غزلية أو غيرها وأحياناً يبدأ
بالموضوع مباشرة، وإن صح القول إن مقدماته تمتاز بالجودة وهذا ينطبق
على سائر شعره. اذن التزم نهج القدماء

(1) الديوان، ص33.

وحدة القصيدة:

هي وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، ويجب أن تكون مرتبة الصور والأفكار، وأن تتكون فيها أجزاء القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر⁽¹⁾.

واختلفت الآراء حول موضوع الوحدة العضوية في الشعر العربي القديم بين مؤيد لوجودها، وبين فكرة تقول إن العرب قديماً لم تكن لديهم، والأديب طه حسين من الذين أقروا بوجودها في الشعر العربي القديم⁽²⁾. وانطلاقاً من هذا المفهوم نجد أن السري الرفاء قد استوفى شعره وحدة موضوعية، وتضرب مثلاً بقصيدته التي قال فيها.

فتوحك ردت بهجة الملك سمرداً	وأنت حسام الله فل بك العدا
يحدث عنك المشرفي مجرداً	ويثني عليك السميري مسدداً
أعاد وأبدى الفتخ منك معوداً	قراع العدا جار على ما تعوداً
وممطر أرض الروم من دم أهلها	سحاباً إذا روى الثرى منه أحمداً
تخالف فعل الغيث منه فكلماً	بدا العود مخضراً ثناه مورداً
سرى مخلقاً في الله ديباج وجهه	فذب عن الإسلام حتى تجدداً
يُفلق بالضرب التريك وما حوى	ويخرق بالطعن الدلاص المسرداً
فيا لك من يوم أحرر عليهم	وأندى على الدين الحنيف وأبردأ

(1) النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي، دار النهضة المصرية، 1996م، ط3، 204/ص373.

(2) انظر حديث الأربعاء، طه حسين، دار المعارف، بمصر، 1952م، 31/1، وكذلك الجاحظ عندما أورد القصة المشهورة في الشعر العربي القديم لعمر بن لجا فقال يفتخر بشعره لأحدهم: أنا أشعر منك لأنى أقول البيت وأخاه، وانت تقول البيت وابن عمه. البيان والتبيين، الجاحظ، ص206.

وربَّ مُحَلَّى بالكواكبِ شاخصٍ شخَصْتَ إليه فانمحي وتأبدا
فأعطاك ما تهوى وقلدَ أمره نجومَ قنأً أضحي بهنَّ مقلدا

وهنا حديثه عن البطل سداد الثغور سيف الدولة وانتصاراته في الحروب ضد الروم ذاكراً الجيش والاستعداد ودلاصها، عن الخيول التي أرهجت بغبارها تلك الأراضي ووصفه قواد الروم وخوفهم من الجحافل التي سدت عليهم الأرض كان هذا نصر للإسلام والشاعر عبر عن هذا في كثير من قصائده التي ذكرها فيها وقائع الأمير ضد الروم. وقد صورها تصوير رائع وألبسها صور بيانية جميلة في أسلوب شائق وفني وكان القارئ لهذه القصيدة كأنه أمام ساحة المعركة وهو وصف ونقل جيد.

ويواصل حديثه عن السيف - النقع - قواد الروم إلى قوله:

وأوردتَ حدَّ السَّيفِ قِمَّةَ لاوْنٍ لتمزجَ فيه سُورَةَ البأسِ بالنَّدى⁽¹⁾
أتاك يَهْزُ الرُّوعُ أعضاءَ جِسْمِهِ كما هزَّ بِالأمسِ الحُسامَ المُهندا
يَغْضُ لَدَيْكَ الرُّعْبُ أَجْبانَ عَيْنِهِ فإنَّ هَمَّ أن يَسْتغْرِقَ اللَّحْظَ أَرْعَدَا
وربَّ حديدِ اللَّفْظِ وَاللَّحْظِ مِنْهُمْ مثَلتَ له فارتدَّ أخرسَ أَرْمَدَا
ذَعَرْتَهُمْ غَزَوا دِراكاً فأصبحوا على البُعْدِ خَفَّاقَ الحشا ومُسَهِّدا
يَظُنُّونَ غَرَبِيَّ السَّحابِ كَتِيبَةً تُشَرِّقُ والبرقَ الشَّامِيَّ مِطْرَدَا
إذا الدولةُ الغَرَاءُ سَمَّتْكَ سَيْفِها لتُبْهَجَ سَمَّاكَ الهُدَى ناصِرَ الهُدَى
لِيَهْنِكَ أنَّ الرومَ ذلَّ عَزِيزُها فصارتُ موالِيها بِعِزِّكَ أَعْبُدَا
إذا قِيلَ سَيْفُ الدولةِ اهْتزَّ عرشُها وخرَّتْ رُكوعاً عندَ ذاكِ وَسُجِّدا

فالقصيدة أخذت موضوعاً واحداً، وفيها تحدث عن حرب ضد الروم

وذاك النصر العربي المشهور بيد سيف الدولة حامي الثغور.

(1) الديوان، ص136، لاون قائد من قواد الروم.

المبحث الرابع اللغة والأسلوب

اللغة:

هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم⁽¹⁾. ويقول ابن جني: (اللغة عبارة عن أصوات ورموز يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)⁽²⁾.
وللغة ارتباط وثيق بالشعر حيث إن أفكار الشاعر وما يدور في نفسه من عاطفة وانفعال لا يصل إلينا إلا عبر اللغة.

ويقول الجاحظ (إن المعاني في صدور الناس: مستورة خفية، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطة، إنما يحيي هذه المعاني ذكرهم لها)⁽³⁾.

إذن لغة الشعر هي أداة الشاعر في التعبير يقال (إذا كان العمل الأدبي بعامة يتوقف على الدقة والصياغة فإن أولى مميزات الشعر هي استثماره خصائص اللغة بوصفها مادة بنائه)⁽⁴⁾. ويقول ابن قتيبة عن دورها (إن الشعر الجيد ما حسن لفظه، وجاد معناه)⁽⁵⁾.

ومن خلال هذه المعاني، فلغة السري تتميز بالرقّة والجزالة، والعذوبة، فحديثه عن الغزل مثلاً: يضعه في قالب ويختار ألفاظاً لها وقع في أذن السامع مثل: القوام، واللحظ الفاتر، والخذ الأسيل، وتلك المحاسن التي يسبغها الشعراء لهذا الغرض.

(1) لسان العرب: ابن منظور، مادة (لغ) .

(2) الخصائص: ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، ط2، ج1، ص33.

(3) البيان والتبيين: الجاحظ، 1/75.

(4) النقد الأدبي: محمد غنيمي، ص386.

(5) الشعر والشعراء: ابن قتيبة، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1966م، ج1، ص64.

قال:

يُرِيكَ قِوَامَهَا الْغِصْنُ الرَّطِيبُ وَلِحْظَ جَفُونِهَا الرَّشَاءُ الرَّيْبُ
غَدَاةَ بَدَالِهَا خَدُّ أَسِيلٍ يُنَمِّنُمْ وَشِيَهَ كَفِّ خَضِيبٍ⁽¹⁾

وصف القوام اختاره له الرطيب لما يحويه اللفظ من جمال وشبه الجفون بالرشا، وأي رشا ريبب وكله حيويه أعطت المعنى عاطفة أخرى وزادت المعنى جمالاً.

كذلك وصفه للفراق المحب، فحديثه عنه واختياره مثل: تضرمت، حشاؤه، المشوق، زفرات.

قال :

مَنْ لِي بَرْدٌ سِوَالْفِ الْأَحْقَابِ وَمَارِبٍ أَعَيْتُ عَلَى الطُّلَابِ
أَتَبَعْتُهَا نَفْسَ الْمَحَبِّ تَضَرَّمَتْ أَحْشَاؤُهُ لَتَفَرُّقِ الْأَحْبَابِ
أَتَبَعْتُهَا نَظَرَ الْمَشُوقِ تَجَمَّعَتْ زَفَرَاتُهُ لَتَفَرُّقِ الْأَتْرَابِ⁽²⁾

وهذه الكلمات وضحت حال ذاك المحبوب، ولوعة الفراق وترديد لفظة (اتبعتها) مرة أخرى تأكيداً، وكذلك التشديد في (تضرمت، تفرق).

والخمر ومجالسها فشبها بالياقوتة، وجمالها، قائلاً في وصفها:

حَمْرَاءَ كَالْيَاقُوتِ صَافِيَةً وَمَعْظُمُ الْيَاقُوتِ أَحْمَرُهُ
فَهِىَ الَّتِي عَصَرَتْ لِقَاطِيفِهَا عُنُقُودَهَا مِنْ قَبْلِ يُعْصِرُهُ
فِي كَأْسِيهِ كَسْرِي يُقَابِلُهُ مِنْ خَلْفِ سِتْرِ الرَّاحِ قَيْصَرُهُ⁽³⁾

(1) الديوان، ص44.

(2) المصدر نفسه، ص88.

(3) المصدر السابق، ص213.

وقال:

لنا قهوةٌ في الدنِّ تمَّتْ شهورُها فرقتُ حواشيها وأشرقَ نورُها
يُحييكَ بالمسكِ الذكيِّ دُنُوها ويلقاكَ بالبشرِ الجميلِ بشيرُها⁽¹⁾

فقد اختار لها (الخمرة) وسمها بالقهوة، وذكر الدن وعطرها بالمسك الذكي، فهي ألفاظ وإشراق نورها، فكلها ألفاظ تدعو إلى راحة شاربيها حسب فلسفتهم فيها.

ونجد أن ألفاظه تأثرت بما أظلم العصر (العباسي) من ألفاظ فارسية مثل لينوفر، آذريون، ولكن الألفاظ الفارسية ليست بالكثيرة في الديوان:

قال :

حبيبٌ حباكَ بلينوفرٍ فأكرمَ به وبإهدائه⁽²⁾

وقال :

فمنَّ كانَ أضحى للمكارمِ صاحباً فأنتَ لها يا ابنَ الحُسَيْنِ شقيقُ
طرفتكُ مُمتاحاً وليسَ لطارقِ يرومُكَ من وَقَعِ الضَّرِيبِ طريقُ⁽³⁾

أشير إلى أن هناك في الديوان ألفاظاً غريبة مثل (موشى - وشاطح) أسماء قبيلة أم أناس لم نعثر على تعريف لها.

يمكن القول إن الرفاء وُقِّف في اختيار ألفاظه لما يناسب لون العصر ذا الفخامة، وطوع ألفاظه لتؤدي الغرض الذي أراد توصيله.

(1) الديوان، ص 232-233.

(2) المصدر نفسه، ص 24.

(3) المصدر السابق، ص 335- الضريب: الثلج.

الأسلوب:

والأسلوب هو الفن الذي يتخذه الأديب للإقناع والتأثير⁽¹⁾ ويقول عبد القاهر الجرجاني عنه هو: (الضرب من النظم)⁽²⁾ فالأسلوب طريقة الشاعر في كتابته وهو عالم خاص به، وهو يمثل السمة الشخصية له، ومن منطلق هذه المعاني كذلك من خلال دراسة ديوان الرفاء فهو شاعر دقيق الإحساس، جيد الوصف، أسلوبه سهل، ألفاظه جزلة. وجاء الحديث فيما سبق من وصفوا شعره بهذه الصفات، والحديث عن أسلوبه كغيره من شعراء العصر العباسي طبع عليه العصر رونقه الجديد، وحمل أسلوبه أنواعاً وأشكالاً من البديع واستمد من الماضي التليد والجديد المشاع، فأخرج شعره باقة ورد. أولاً وقفت على التكرار وما به من حلاوة، وتقوية للمعنى، كما أشار إلى ذلك المرشد⁽³⁾.

قال الشاعر :

وثنوبُ الصَّبَّاحِ جَديدُ الضَّيِّاءِ	ألمَّ وثنوبُ الدُّجى مُخلِقٌ
وليس بـبـرقِ خفى من خفاءِ	يُضئ لنا الخيفَ إيماضُه
وكم يقظَةٌ عصفتُ بالوفاءِ	وفاءً تصرَّم عن يقظَةٍ
بُقربِ الوصالِ وبُعدِ الجفَاءِ	تولَّتْ عهدكُ محمودَةً
عليه وداءٌ بعيْدُ الدَّواءِ ⁽⁴⁾	وأبقتُ أسيَّ ليس يقضي الأسي

(1) الأسلوب، أحمد الشايب، دراسة نقدية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966م، ص45.

(2) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص469.

(3) المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب، ج89/2 وما بعدها. .

(4) الديوان، ص13.

فتكرار الكلمات : الصدر، والعجز قوي المعنى، وأدى إلى جرس موسيقي منتظم.

وقال:

طوى الدهرُ الجديدَ من التصابي وليسَ لِمَا طوى الدهرُ انتشارُ⁽¹⁾

قال :

فاشربْ على الورْدِ قبلَ فرقتِه فالوردُ من شأنِ سيرِه العَجَلُ⁽²⁾

قال: في مقارنة للكلمات وإطلاق حرف معين:

وأعينُ تأنفُ من إعضائِها صافيةِ الأُجفانِ من أقذائِها
تُردي بناتِ الغُدرِ في أثنائِها يَحملُها طَبُّ بحسَمِ دائِها
مجدِّ ما رثَ من أعضائِها يجذبها والرِّزقُ في أحشائِها⁽³⁾

فقوله أعضاء وأقذاء، أعضائها، وأحشائها مع وجود الهاء أعطى نغماً رناناً؛ وأدى إلى تقسيم موسيقي عذب، وهذا دأبه في كثير من شعره، ولعل استخدامه للتكرار جاء مناسباً، فكثيرين يرون أن كثرة الإسراف في التكرار غير محبب.

وهناك طريقة اتخذها لمدح الأمراء والوزراء تليق بمكانتهم فاختره لهم صفات الشجاعة والكرم، الأصل الكريم وما معروف لدى العرب، يختار لهم (أسود، شهاب، ويدعو لهم بالحياة، والبرق) وأن كان هذا المدح من أجل التكسب أو لغيره، فقد اختار له أسلوباً جميلاً.

وأسلوبه مصبوغ بألوان البديع والمحسنات التي تقوي الصورة، وتظهر إحساس الشاعر وذاته، نضرب مثلاً بأبيات يصف فيها الشيب، قال :

(1) الديوان، ص .

(2) المصدر نفسه، ص386.

(3) المصدر السابق، ص23.

أَخْلَقَ بَغَائِبِ رُشْدِهِ أَنْ يَقْدَمَا
 وبما تساقطَ من زِنَادِ مَشِيئِهِ
 مَثَلَتْ لَهُ مِرَاتُهُ فَبَكَى وَكَمْ
 لَحَظَ السَّوَادَ مُودِّعاً فَأَنَابَهُ
 مَا كَانَ أَوَّلَ مَنْ رَأَى حَرَمَ النَّهْيِ
 أَمَّا وَحَلِيُّ الْعَارِضِينَ تَقَافُهُ
 كَانَ الْهَوَى صُبْحاً بَلِيلَ شَبَابِهِ
 وبواصلٍ من غِيهِ أَنْ يَصْرِمَا
 فِي حَالِكِ الْفَوْدَيْنِ أَنْ يَتَضَرَّمَا
 مَثَلَتْ لَهُ مِرَاتُهُ فَتَبَسَّمَا
 نَعَساً وَمَالَ عَلَى الْبِيَاضِ مُسَلِّمًا
 فَنَصَا بِهِ بُرْدَ الْحَرَامِ وَأَحْرَمَا
 فَلَنَحْكُمَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَقَوَّمَا
 فَدَجَى بِإِصْبَاحِ الْمَشْيِبِ وَأَظْلَمَا⁽¹⁾

هنا يصف الشيب، وذاك البياض الذي خيم بعد السواد.

وما ترتب على ذلك من ذهاب زمن الشباب ونضاره، وموقع المذات، وهو يصف هذا الزمن القادم وتباشيره، ولكن تحس نبرة حزن وشجن في هذه الأبيات وقد كساها أيضاً صدق عاطفي، وفيه كذلك وقفة يراها وكأنه يخاطب كل إنسان ألم به الشيب يجب أن يتخذ حذاً للانقياد وراء اللهو وخطواته.

وأسلوبه لا يخلو من حكم، خرجت من نفس عانت الحياة وأدركت كنهها قال
 خُذَا مِنَ الْعَيْشِ فَالْأَعْمَارُ فَانِيَةٌ وَالذَّهْرُ مُنْصَرِفٌ وَالْعَيْشُ مُنْقَرِضٌ⁽²⁾
 قال:

قَوِّضْ خِيَامَكَ عَنْ دَارٍ ظَلِمْتَ بِهَا
 وَارْحَلْ إِذَا كَانَتْ الْأَوْطَانُ مَضِيعَةً
 وَجَانِبِ الذُّلِّ إِنَّ الذُّلَّ يُجْتَنَبُ
 فَالْمَنْدَلُ الرَّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبٌ⁽³⁾
 قال:

صَرَفْتُ عَنْ الْكَثِيرِ الْوَفْرِ طَرْفِي
 وَكَمْ مِنْ نُطْفَةٍ عَذُبَتْ وَطَابَتْ
 وَهَا أَنَا لِلْقَلِيلِ الْوَفْرِ رَاجِي
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَحْرِ أَجَاجٍ⁽⁴⁾

(1) الديوان، ص 399.

(2) المصدر نفسه، ص 268.

(3) المصدر السابق، ص 33.

(4) المصدر السابق، ص 116.

قال:

صَرِيحُ النَّوَائِبِ مَنْ لَمْ يَكُنْ جَلِيداً عَلَى الْهَوْلِ مِنْهَا صَبُوراً⁽¹⁾
وفي شعره اقتباس من القرآن الكريم:

قال:

رَبِّياً أَخَاضَتْنا عَلَى ظَمَأِ الْهَوَى مِنْ وَعْدِهَا الْمَمْطُولِ لَمَعَ سَرَابِ
لِلَّهِ أَعْرَابِيَّةٌ غَدَرَتْ بِنَا إِنَّ النَّفَّاقَ سَجِيَّةُ الْأَعْرَابِ
في هذين البيتين اقتبس من قوله تعالى: (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا)⁽²⁾.

وقال:

جِبَالُ أَعْدَائِهِ بَرٌّ يَسِيحُ بِهِ وَبَرُّهُ لَامْتِنَاعٍ عِنْدَهُمْ جَبَلُ
فَالصَّافِنَاتُ حَشَايَاهُ وَإِنْ قَلَقَتْ وَالسَّابِغَاتُ وَإِنْ أَوْهَتْ لَهُ حُلُّ
في هذين البيتين اقتباس من قوله تعالى: (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ
الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ)⁽³⁾.

قال:

قَائِلٌ إِنْ نُذِرُ الشَّيْبَ بَدَتْ فِي عِذَارِيهِ وَمَا تُغْنِي النُّذْرُ
وفي هذا البيت اقتباس من قوله تعالى: (فَمَا تُغْنِ النُّذْرُ)⁽⁴⁾.

وقال:

صَنَائِعُ اللَّهِ لَا نُحْصِي لَهَا عَدَدًا فَنَحْمَدُ اللَّهَ حَمْدًا دَائِمًا أَبَدًا
وفي هذا البيت اقتباس من قوله تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا
تُحْصُوهَا)⁽⁵⁾.

(1) الديوان، ص 225.

(2) سورة التوبة، الآية (97).

(3) سورة ص، الآية (31).

(4) سورة القمر، الآية (5).

(5) سورة النحل، الآية (18).

واستقى من التراث العربي:

قال:

فكَمْ لَيْلَةٍ شَمَّرْتُ لِلرَّاحِ رَائِحاً
وبتُ لَغِزْلَانِ الصَّرِيمِ مُغَازِلَا(1)

غزلان (الصريم)

قال:

نحنُ أغراضُ خُطوبٍ إن رَمَتْ
حَيَّرَتْ فِي دِقَّةِ الرَّمْيِ نُعْلُ(2)

ونعل قبيلة اشتهرت: بحسن الرماية

متوشحين بكلِّ أبيضٍ مُرَهَفٍ
نَطْوِي عَلَى المَدْحِ الصُّدُورَ وَإِنَّمَا
نَيْطَتْ حَمَائِلُهُ بِأَبْيَضِ أَزْهَرِ
تُطْوِي عَلَى أَمْثَالِ يُمْنَةٍ عَبْقَرِ(3)

يمنة: برد يمانى وادى عبقر موضع مشهور عندهم بأنة كثير الجن

ويُلْمُ مِنْ شَعَثِ العُلَى بِشَمَائِلِ
وفصاحةٍ لو أَنَّهُ نَاجَى بِهَا
أَحَلَى مِنَ اللَّعْسِ المُمْنَعِ وَاللَّمَى
سَحْبَانَ أَوْ قُسَّ الفَصَاحَةِ أَفْحَمَا(4)

سحبان بن وائل وقس بن ساعدة اشتهرا بالفصاحة

وَقَتَّكَ مِنْ عَثْرَةِ الرَّدَى عَصَبٌ
إِنْ عَثَرُوا قَلْتَ بِالسَّمَّاحِ لَعَا(5)

(لعا) تقولها العرب كدعاء بمعنى أنعشك الله وأقامك من عثرتك

ومن أثر الثقافات الجديدة:

قال:

جَلَوْنَا بِهِ الكَاسَاتِ وَالْأَفْقُ عَاطِلٌ
فصَافِحَ مِنْهَا الشَّرْبُ كُلُّ مَشْوَقَةٍ
إِلَى أَنْ تَبَدَّى الأفقُ فِي حُلَّةٍ تُجَلَى
عَلَيْهَا رِجَالُ الفُرسِ يَقْدُمُهُم كِيسَرِي(6)

(1) الديوان، ص362..

(2) المصدر نفسه، ص377-.

(3) المصدر نفسه، ص179..

(4) المصدر نفسه، ص400، ،

(5) المصدر نفسه، ص276.

(6) المصدر نفسه، ص7.

وقال:

وروضةً أدريونَ قد زُرَّ وسَطُها نوافجُ مسكٍ هيَّجتَ قلبَ مُهتاجٍ⁽¹⁾
وورودها في الديوان حيث ذكرت في البحث، من أثر الثقافات الجديدة،
فكل ما جاء به العصر العباسي تنويع الطعام واهتمام به والملابس المرصعة
والأعياد غير المعروفة للعرب والمسلمين، وكثير الحديث اكتفى بضرب
المتلين السابقين.

ولكن أسلوبه لا يخلو من الضعف في بعض المواضع ولكل شاعر علو
وانخفاض، وكذلك في الديوان هناك هنات مثل الإقواء⁽²⁾.

قال -

خَالِيَّ إِنَّ الْغَيْثَ أَوْلَاهُ قَطْرُ ونارُ الهوى قد صار نُخَانَهَا جَمْرُ⁽³⁾

ورغم هذا وذاك فأسلوب السري سهل، نهل من التراث العربي واستقى
من الجديد ولبس ثوبه وتأثر بالقرآن الكريم، وكان أسلوبه سهلاً جميلاً،
ووضحت صورته ومعانيه فجاءت الصورة الفنية تنبئ عن شاعر مقدر
أسلوبه أسلوب فني.

(1) الديوان، ص 117.

(2) الإقواء: مثلاً أن تأتي بالفتح لأحرف الروي المكسورة، أو بالضم للمنصوب، وهكذا. انظر المرشد،
ج 1، ص 43.

(3) وفي هذا البيت إقواء ينبغي لفظه (جمر) لأنها خبر لصار ولكن جاءت حركة الروي الفتح.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأحمده حمداً كثيراً أن يسر لي هذا البحث.

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون في ثلاثة فصول تناولت في الفصل الأول عصر الشاعر والتعريف به ويتكون من ستة مباحث الثلاثة مباحث الأولى تضمنت عصر الشاعر والثلاثة الأخرى شملت حياته والتعريف به، وعلاقته بأبناء عصره وحنينه إلى مسقط رأسه، الفصل الثاني تناولت فيه الأغراض الشعرية التي نظم فيها شعره من وصف، ومدح، غزل، لهو ومجون، هجاء ورتاء، وأغراض أخرى. أما الفصل الثالث فقد احتوى على الدراسة الفنية ودورها في شعره، وقد خلصت الدراسة إلى نتائج أجملها في الآتي:

النتائج:

- نظم السرى شعره في معظم الأغراض الشعرية المعروفة وأكثرها وروداً الوصف. كذلك إبداعه في جوانب جديدة مثل الشعر الفكاهي.
- وضع شعره جانب اللهو والمجون، وما دار في العصر العباسي آنذاك (نهل من التراث العربي).
- كان محافظاً لنهج القدماء مع قدره على الاستنباط وتوليد المعاني.
- ونجده كذلك محافظاً لنهج الأوائل.
- لعبت الصورة الفنية دوراً بارزاً في شعره.
- نظم شعره على أحد عشر بحراً، التي جاء ذكرها في البحث هذا يدل على قدرته الفنية. ونجده أهمل البحور الباقية وهي (المديد-المضارع-المقتضب- المجتث-الخبب)

- جاءتة قصائده ومقطوعاته أكثرها من الكامل والطويل.
 - أوزانه موفقة وموسيقاه عذبة وألفاظه جزلة.
 - نجد أنه أكثر من التشبيه، والجناس، والاستعارات مع وجود المحسنات الأخرى.
 - أسلوبه أسلوب فني.
 - شهد له العلماء والكتاب بمكانته الأدبية المرموقة مثل الثعالبي، ابن النديم، العسكري وكبار أهل حلب وبغداد وما جاورها.
- مع هذا هناك بعض الضعف في الديوان، أحياناً تأتي الصورة وكأنها تصوير عادي غير مصبوغ بالبلاغة ولا المحسنات، وأيضاً ترديد المعنى أو الصورة في كثير من القصائد ولكن هذا الترديد يشمل أوزان وقوافي مختلفة مثل وصفه للصياد والشبكة والسفن وغيرها.

التوصيات:

توصي الباحثة بدراسة الجوانب النحوية والصرفية في ديوانه، ودراسة ديوانه الآخر المحب والمحبوب، والمشروب والمشموم.
قدمت بحثي هذا وأنا ما زلت أحبو وأسأل الله أن يوفقني وأن ييسر امرى.. ولكم منى كل الرضا.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	الآية
(3) سورة آل عمران		
44	14	وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ
(6) سورة الأنعام		
35	99	وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ.. الخ
(9) سورة التوبة		
160	97	الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
(14) سورة إبراهيم		
127	1	الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
(16) سورة النحل		
160	18	وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا
(20) سورة طه		
5	29	وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي
(36) سورة يس		
35	34	وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ
127	37	وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ
(38) سورة ص		
160	31	إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِّاتُ الْجِيَادُ

(48) سورة الفتح		
130	10	يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ
(53) سورة النجم		
38	1	وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ
(54) سورة القمر		
160	5	حِكْمَةً بَالِغَةً فَمَا تَغْنِ النَّذْرُ
(82) سورة الانفطار		
117	8	فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ
(3) سورة آل عمران		
120	7	مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	طرف الحديث
44	الخيال معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة
145	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا

فهرس الأعلام

رقم الصفحة	العلم
71	أبا سعيد محمد
80	أبا أحمد طاهر الهاشمي
138-36	إبراهيم أنيس
71	ابو تمام
95-152-126	الجاحظ
132-126-100-74	الجرجاني
-24-115	الخالدي : أبو بكر
-25-115	الخالدي : ابو عثمان
23	الخالديبين هما : أبوبكر وأبو عثمان
119	ابن رشد
120-35-100-95	ابن رشيق
32	الرقاشي
5	السفاح
126	السكاكي
50-48	النويري
70-53-18	سيف الدولة
111	الشمشاطي
108-58-13-6-5	شوقي ضيف
19	الصوبري
136-75-21	العسكري
32	أبو علي: سيف الدولة المداني

95-42-35	قدامة بن جعفر
40-19	كشاجم
75-73	المنتبي / أحمد بن الحسين
105-96	المراغي أبو بكر
90-87	أبو نواس / الحسن بن هاني
100-26	ابن هلال : إبراهيم بن هلال
6	ابي الهيجاء
53-25-19	الوزير المهلبى
87	الوليد بن يزيد بن عبد الملك
89	ابو اليقظان

فهرس المراجع و المصادر

- (1) القرآن الكريم:
- (2) الآداب العربية في العصر العباسي الثاني – محمد عبد المنعم خفاجي.
- (3) الاتجاهات الأدبية في الأدب العربي – أنيس المقدسي، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1967م.
- (4) اتجاهات الشعر العربي في العصر العباسي – محمد مصطفى مدارة – دار المعارف – القاهرة 1963م.
- (5) الأدب العربي ومذاهبه – محمد مندور، ط3، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
- (6) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.
- (7) الأسلوب – أحمد الشايب – مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة – ط6، 1966م.
- (8) إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين – عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق: د. عبد المجيد دياب، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض: 1406هـ – 1986م.
- (9) الأعلام – خير الدين الزركلي، ط10، بيروت: دار العلم للملايين، 1992م.
- (10) أمراء الشعر العربي – أنيس المقدسي – دار العلم للملايين، بيروت: لبنان، 1967م.
- (11) أنباء الرواة على أنباء النحاة – جمال الدين على بن يوسف الفقطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1369هـ – 1995م.
- (12) الإيضاح في علوم البلاغة – للخطيب القزويني – تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط4، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1395هـ – 1975م.

- (13) البداية والنهاية – إسماعيل بن عمر بن كثير ، ط2، بيروت: مكتبة المعارف 1411هـ – 1991م.
- (14) البديع : لابن المعتز، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاطي، ط1، دار الجيل – بيروت : 1990م.
- (15) البلاغة تطور وتاريخ – د. شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة.
- (16) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر – على صبيح – المكتبة الأزهرية للتراث – 1996م.
- (17) البيان والتبيين – للجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب، تحقيق: فوزي عطوة، ط1، دار صعب، بيروت: 1968م.
- (18) تاريخ الأدب : إدوارد براون ترجمة : أحمد كمال الدين حلمي، ط2، مطبوعات جامعة الكويت.
- (19) تاريخ الأدب العربي – عمر فروخ ط1 دار العلم للملايين – بيروت – لبنان 1968م.
- (20) تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي د0حسن إبراهيم حسن ط1 – دار الأندلس بيروت 1967م.
- (21) تاريخ الإسلام السياسي حسن إبراهيم – مكتبة النهضة العربية – القاهرة ط2 1965م.
- (22) تاريخ الحضارة العربية الإسلامية د.بشير هاشم رمضان ط1 – بيروت – دار المدار الإسلامي .
- (23) تاريخ الطبرى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط2 – دار المعارف – القاهرة .
- (24) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ط2 أحمد إبراهيم دار الحكمة بيروت تنمه الإعلام.
- (25) التصوير الفني فى القرآن الكريم: سيد قطب دار الشروق – بيروت 1982م.

- (26) التيارات الأجنبية في الشعر العربي — عثمان موافى — دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1973م.
- (27) تيارات ثقافية بين العرب والفرس أحمد الحوفى — دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
- (28) الثقافات : أبى حاتم محمد بن حبانى البستي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ — 1998م.
- (29) الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصدائها: صالح بيلو، ط1، مكة المكرمة، 1408هـ — 1988م.
- (30) حديث الأربعاء — طه حسين — دار المعارف — القاهرة — 1952م.
- (31) حركة التجديد في العصر العباسي : محمد عبد العزيز الموافى، ط6، دار غريب — القاهرة.
- (32) حصار بغداد في العصر العباسي، حسين أمين، مجلة المؤرخ مج 23 — عدد 2 سنة 1990م.
- (33) الحضارة العربية الإسلامية، شوقي ابو خليل، ط1، دار الفكر، دمشق — 1994م.
- (34) الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري — أحمد زكي — دار المعارف — مصر 1971م.
- (35) الحيوان — للجاحظ — عمر بن بحر بن محبوب شرح عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الكتاب العربي 1969م.
- (36) الخصائص — أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد على النجار، ط2— دائرة المعارف الإسلامية.
- (37) دلائل الإعجاز — عبد القاهر الجرجاني، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت: 1995م.
- (38) الديارات — أبى الحسن على بن محمد — تحقيق : كوركس عواد، ط2، مكتبة المتنبي، بغداد 1996م.

- (39) ديوان أبو فراس الحمداني، تحقيق عبد الجليل حسن — مكتبة الأقصى، عمان : الأردن 1981م.
- (40) ديوان بن المعتز ، شرح يوسف شكري، ط1، دار الجيل، بيروت.
- (41) ديوان دعبل بن علي الخزاعي، مجيد طراد، دار الثقافة، بيروت: لبنان.
- (42) ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح محمود طه ، دار الفكر، بيروت: 1995م.
- (43) ديوان السرى الرفاء، كرم البستاني، دار صادر، بيروت، 1996م.
- (44) ديوان الصنوبري، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت: لبنان.
- (45) ديوان كشاحم (محمد الحسين) تحقيق: عبد الواحد شعلان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1997م.
- (46) ديوان المتنبي احمد بن الحسين، أبو الطيب المتنبي، ط2، شركة البابي الحلبي، القاهرة.
- (47) ديوان المحب والمحبوب، ط1، دار الجيل، بيروت: لبنان.
- (48) ديوان المعاني — أبو هلال العسكري، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، 1981م.
- (49) الرثاء — شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر.
- (50) الرثاء في الشعر الجاهلي : يحي الجبوري، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، 1973م.
- (51) رسائل في اعجاز القرآن الكريم — محمد خلف ومحمد زغلول سلام، ط2، دار المعارف — القاهرة — 1974م.
- (52) زهر الربيع — أحمد الحمالوي، تحقيق مجدي فتحي عبد السيد، المكتبة التوفيقية، مصر.
- (53) سر الفصاحة — لابن سنان الخفاجي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1982م.
- (54) سير أعلام النبلاء — محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

- (55) شذرات الذهب في أخبار من ذهب — شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1998م.
- (56) شعر الحرب في أدب العرب — زكي المحاسني، دار المعارف — مصر — 1961م.
- (57) شعر الطبيعة في الأدب العربي : سيد نوفل، ط2، دار المعارف، القاهرة: 1952م.
- (58) الشعر العباسي الرؤية والفن — عز الدين إسماعيل، دار المعارف، مصر: 1980م.
- (59) الشعر العباسي نحو منهج جديد — يوسف خلد، دار غريب للطباعة والنشر — القاهرة.
- (60) الشعر العباسي الأسس الجمالية. عز الدين إسماعيل — المكتبة الأكاديمية — 1994م.
- (61) الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني — سعود محمد عبد الجبار — مؤسسة الرسالة — بيروت: الطبعة الأولى، 1981م.
- (62) الشعر والشعراء — أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1962م.
- (63) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية — أبو النهر إسماعيل بن حماد الجوهري — تحقيق: عبد الغفور عطا، ط2، دار العلم للملايين — بيروت: 1984م.
- (64) صحيح مسلم للإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بشر الإمام النووي — دار الفكر — القاهرة: 1989م.
- (65) الصناعتين — أبو هلال العسكري، تحقيق : مفيد قميحه، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1320هـ — 1971م.
- (66) الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ، الأصول والفروع، دار الفكر العربي اللبناني، 1986م.

- (67) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور — دار الثقافة للطباعة — القاهرة: 1974م.
- (68) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي — مكتبة الأقصى، ط2، 1984م.
- (69) ضحى الإسلام ، أحمد أمين، كتب مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة.
- (70) طبقات فحول الشعراء — محمد بن سلام الجمحي، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني — القاهرة.
- (71) العصر العباسي الأول — د. شوقي ضيف، ط6، دار المعارف — مصر: 1996م.
- (72) العصر العباسي الثاني — شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، القاهرة: 1996م.
- (73) عصر الدول والأمارات : شوقي ضيف، ط4، دار المعارف — القاهرة.
- (74) العمدة في محاسن الشعر ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين، عبد الحميد طه، بيروت: دار الجيل، 1401هـ — 1981م.
- (75) عيار الشعر — محمد بن طباطبا العلوي، تحقيق: عباس عبد الستار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1982م.
- (76) الفخري في الآداب السلطانية، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا — بيروت — دار صادر للطباعة، 1386هـ — 1966م.
- (77) فصول في الشعر ونقده — شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1965م.
- (78) فن المدح وتطوره في الشعر العربي — أحمد أبو قحافة، ط1، دار الشروق — القاهرة: 1962م.
- (79) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، مصطفى الشكعة — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة.
- (80) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر 1965م.

- (81) الفهرست — أبي إسحاق إبراهيم بن النديم، ط2، دار المعرفة، بيروت: 1997م.
- (82) في النقد الأدبي : شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1962م.
- (83) القافية في العروض والآداب، د. حسنين نصار، دار المعارف، القاهرة: 1980م.
- (84) القاموس المحيط — مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: أنيس محمد الشامي، القاهرة: دار الحديث 2008م.
- (85) القصيدة المادحة ومقالات أخر — عبد الله الطيب، ط2، دار الأصالة — الخرطوم: 2004م.
- (86) لسان العرب — جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، ط1، بيروت: دار صادر للطباعة، 2000م.
- (87) اللغة الشاعرة — عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1960م.
- (88) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها — د. عبد الله الطيب، ط2، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، 1979م.
- (89) مروج الذهب ومعادن الجوهر — للمسعودي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، المكتبة التجارية بمصر .
- (90) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص — عبد الرحيم بن أحمد العباسي — تحقيق محي الدين عبد الحميد — عالم الكتب، بيروت: 1317هـ — 1947م.
- (91) المعجم الإسلامي : إعداد أشرف أبو الذهب، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2002م.
- (92) معجم البلدان — ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ط2، بيروت: دار صادر للطباعة، 2007م.
- (93) معجم قبائل العرب — عمر رضا كحالة.

- (94) معجم المؤلفين، تراجم مصنعي الكتب العربية — عمر رضا كحالة، ط1، بيروت : مؤسسة الرسالة، 1414هـ — 1993م.
- (95) المعجم الوسيط . إبراهيم أنيس وآخرون، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1962م.
- (96) مفتاح العلوم — للسكاكي. دار الكتب العلمية بيروت، ط2.
- (97) ملامح الأدب في العصر العباسي، عبد الهادي عبد الله عطية — جامعة الإسكندرية — مكتبة المعرفة.
- (98) منهاج البلغاء وسراج الأدباء . حازم القرطاجني ، تحقيق: محمد الحبيب، دار المغرب الإسلامي، بيروت 1986م.
- (99) الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي، تحقيق أحمد صقر — دار المعارف — القاهرة — 1960م.
- (100) الموسوعة العربية الميسرة.الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ط2، بيروت: دار الجيل، 2001م.
- (101) موسيقى الشعر العربي — د. إبراهيم أنيس، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية 1965م.
- (102) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغريدي الأتابكي — ط1، وزارة الثقافة، القاهرة.
- (103) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب — أحمد بن محمد التلمساني المقري — تحقيق حسان عباس، دار صادر، بيروت: 1967م.
- (104) النقد الأدبي : محمد غنيمي هلال. دار العودة، بيروت: 1987م.
- (105) النقد الأدبي — بدوي طبانة — مطبعة مخيمر بمصر 1954م.
- (106) نقد الشعر — قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي — القاهرة : 1962م.
- (107) نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، ط1، دار الكتب المصرية — القاهرة.

- (108) الوساطة بين المتنبي وخصومه – للقاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البيجاوي، ط3، القاهرة، 1951م.
- (109) الوصف – لجنة من أدباء الأقطار العربية، دار المعارف – القاهرة: 1960م.
- (110) وصف الطبيعة عند كشاجم، صالح علي – مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية بالجامعة الأردنية، 1999م.
- (111) وفيات الأعيان وأنباء الزمان – أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، تحقيق: يوسف على طويل ومريم قاسم طويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان.
- (112) يتيمه الدهر – لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي – المكتبة التجارية – مطبعة حجازي – القاهرة.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	الاستهلال
ب	الإهداء
ج	الشكر والعرفان
د	المستخلص باللغة العربية
هـ	المستخلص باللغة الإنجليزية (ABSTRACT)
المقدمة	
الفصل الأول	
1	عصر الشاعر و التعريف به
5	المبحث الأول : الحياة السياسية
10	المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية
13	المبحث الثالث : الحياة الثقافية
16	المبحث الرابع : التعريف بالشاعر
23	المبحث الخامس : العلاقة بينه وبين الخالدين
27	المبحث السادس : الحنين إلى الوطن
الفصل الثاني	
34	الإغراض الشعرية
35	المبحث الأول : وصف الطبيعة
68	المبحث الثاني : المدح
83	المبحث الثالث : الغزل
87	المبحث الرابع : اللهو والمجون
95	المبحث الخامس : الرثاء
100	المبحث السادس : الهجاء
103	المبحث السابع : أغراض أخرى

116	الفصل الثالث الصورة الفنية
117	المبحث الأول : الدراسة الفنية
138	المبحث الثاني : الموسيقى الشعرية
145	المبحث الثالث : بناء القصيدة
154	المبحث الرابع : اللغة والأسلوب
163	الخاتمة
164	الخاتمة
164-165	النتائج
166	التوصيات
167	فهرس الآيات
169	فهرس الأحاديث النبوية
170	فهرس الأعلام
172	فهرس المراجع والمصادر
181	فهرس الموضوعات